العلمانية

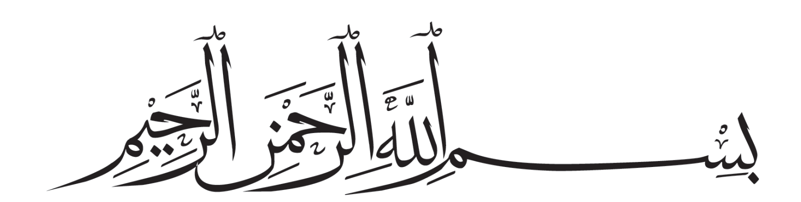
تحارب الإسلام

عيد الدويهيس

الطبعة الأولى

ربيـع الأول ١٤٢٥ هجرية

أبريـل ٢٠٠٥ ميـ دية


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس

مــقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله أما بعد

فإن هذا الكتاب سلط الأضواء على جوانب مختلفة من حرب العلمانية على الإسلام فهي أحيانا تحاربه بصورة مباشرة وأحيانا كثيرة تحاربه بطرق غير مباشرة ، والحرب بين الإسلام والعلمانية حرب قديمة وستبقى مستمرة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها لأن الصراع بين الحق والباطل صراع أبدي ولعل أخطر جوانب الحرب العلمانية الحرب الفكرية والغريب أن الكثير من البشر لم يكتشفوا الفساد الفكري العلماني لأنهم يتعاملون مع شعارات وأهداف جميلة كالحرية والعدل والمساواة دون أن يتعمقوا في معانيها ونتائجها ، وما الذي يثبت أن المعاني العلمانية هي الصحيحة؟ وقد دخلت في حوارات مع أخوة أعزاء اقتنع بعضهم بأن العلمانية هي المبادئ الصحيحة وأنها تعني العلم والحضارة والعدل . . . . .الخ ولم أناقش في هذا الكتاب العلمانية بصورة عميقة وجذرية لأنني تطرقت لذلك في كتاب « عجز العقل العلماني » والذي أعتقد أنه من أفضل الكتب التي أثبتت جهل العلمانية وضياعها ولكنه لم يأخذ حقه من الاهتمام وأكرر ما قلته مرارا أن العلمانية استطاعت بأدلة مزورة إقناع مئات الملايين من البشر بأنها المبادئ الصحيحة وقد حاولت من خلال كتبي أن أثبت أنها العدو الأول للعقل والإسلام فالعلمانية بلا أي مبالغة هي أكبر خطر يواجه البشرية في هذا العصر وهي أكبر وأطول عملية تزوير في تاريخ البشر ولا أطالب المخلصين إلا بأن يتعمقوا في دراستها وخاصة في مبادئها الأساسية فمثلا مبدأ

أما «فصل الدين عن الدولة » هو شيء أمر الله سبحانه وتعالى الرسل والبشر بإتباعه والعكس هو الصحيح ولا أطالب الباحثين عن الحق إلا بتسليط أضواء العقل والتفكير والحوار على العلمانية والمبادئ الدينية خاصة وأن الأغلبية الساحقة لم تتعمق في قضية المبادئ بل انشغلت بقضايا سياسية أو اجتماعية أو شخصية وانشغلت الحكومات والدول بالصراعات السياسية والاقتصادية وآن الأوان أن نعطي الأولوية للبحث عن المبادئ الصحيحة لأن من يبني بنيانه على مبادئ خاطئة يخسر الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١٥٣)﴾ سورة الأنعام .

وفي الختام أحب أن أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب واسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم واسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين .

عيد بطاح الدويهيس

الكويت في ٢١ ذي القعدة ١٤٢٥ هجرية

٢ يناير ٢٠٠٥ ميلادية

العلمانية تحارب الإسلام

كتب الأخ العزيز الدكتور إسماعيل الشطي بجريدة الوطن بتاريخ ٦ يناير ٢٠٠٤ مقالا بعنوان «هل العلمانية تناوئ الإسلام»؟ وتطرق فيه إلى مواضيع كثيرة لعل أخطرها الفكرة الأساسية للمقال وهي أن العلمانية لا تناوئ الدين بل تتعامل معه بكثير من الاحترام كما ذكر وقال تتبرأ العلمانيـــة من كل قرار يهضم حق الدين . ولأنني أحد من يتهمون العلمانية بأنها العدو الأول للإسلام أجد نفسي مضطرا للاعتذار للعلمانية أو لتقديم الأدلة التي تثبت اتهامي واخترت الاختيار الثاني لأنه الاختيار الصحيح علميا وإليكم الأدلة :-

١ - ولدت وخرجت العلمانية من خلال الصراع مع الكنيسة ورجال الكنيسة فهي رضعت العداء للدين ومن ينتمي له من عقائد ومبادئ ونظم سياسية فالمبدأ الأساس بل الوحيد لها هو فصل الدين عن الدولة أو اللادينية أي هي الاتجاه المعاكس والمخالف للدين فالمبادئ العلمانية كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والنازية وغيرها تشترك في إبعاد الدين عن الدولة ولكنها تختلف فيما بينها في عقائدها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية أي الذي يجمعها هو رفضها للدين ولهذا علينا ألا نستغرب عندما نجد كثيراً من العلمانيين في الدول العربية يتحالفون فيما بينهم لا يجمعهم إلا العداء للإسلام والمسلمين ففصل الدين عن السياسة أو الدولة معناه فصله عن الحياة وما فيها من عقائد وسياسة واقتصاد واجتماع فلم تترك العلمانية للدين أي مجال من هذه المجالات أليست هذه حرباً واضحة وصريحة .

٢ - الصراع بين العلمانية الرأسمالية والإسلام صراع حتمي لأن الإسلام دين ودولة وشريعة

والعلمانية تريد أن تفصله عن الدولة والسياسة والتشريع أي عندنا فكر ونظام إسلامي وفكر ونظام علماني وهما متناقضان فاما أن تكون الدولة إسلامية أو علمانية فمن الطبيعي أن يكون الصراع بينهما لأن الإسلام يدعو للإيمان والتوحيد والعلمانية تدعو للكفر والشرك والإسلام يدعو لتطبيق الشريعة والعلمانية ترفض تطبيق الشريعة وتتبع مبادئ الإسلام من قال الله سبحانه وتعالى وقال رسوله وتتبع مبادئ العلمانية من أقوال الفلاسفة ونتائج التصويت والآراء الشخصية والحلول الوسط والإسلام قائم على تعظيم الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعته والعلمانية قائمة على اعتبار هذه القضايا هامشيــــة وأحيانــا أساطير وخــرافات ورجعيــة والإسلام يدعــو للأخلاق الفاضلــة والعلمانيــة تسمح وتحمي الفساد الأخلاقي باسم الحرية الشخصية وهذه الاختلافات ليست اجتهادية بل أساسية فبها نعرف التوحيد من الشرك والحق من الباطل والمؤمنين من الكافرين فالعلمانية تقف إذن موقف المناهض لقضايا الإسلام الأساسية وبالتالي فالصراع بينهما شئ حتمي فالبيئة العلمانية أنتجت الشيوعية التي اعتبرت الدين أفيون الشعوب بل نفت حتى وجود الله سبحانه وتعالى فهي ثمرة طبيعية لفصل الدين عن الدولة لأن العلمانية هي التي شجعت على حرب الدين وعزله والتجرؤ على عقائده وأهله ورفض الدين هو رفض للخالق ومما يثبت ذلك هو انتشار عدم الإيمان بوجود الخالق في الدول الغربية حاليا والعلمانية أشغلت أوقات الناس بالمال والاقتصاد والشهوات والأفلام والغناء حتى لم يبق لديهم وقت لأن يفهموا الحياة على حقيقتها ولماذا خلقنا الله؟ وكيف نعبده؟ وما ينطبق على الإسلام ينطبق على المسيحية ولكن الصراع بينهما محدود لأن المسيحية تتبنى «ما لله لله وما لقيصر لقيصر» وما تفعله فرنسا حاليا وما فعلته تركيا في عهد أتاتورك وأعمال وأقوال كثير من

العلمانيين وخاصة العرب منهم تثبت عداء كثير منهم للإسلام وأهله قال الدكتور محمد جابر الأنصاري : «إن هذه النظم «العلمانية الرأسمالية» على ليبراليتها وتسامحها النسبي لا يمكن أن تتسامح إلا مع من يقبل قواعد اللعبة في النظام الديمقراطي العلماني ويسلم بأصولها فهذه النظم عبر صراعها المصيري مع خصومها التاريخيين من إقطاعيين وكنسيين وفاشيين وشيوعيين لم تسمح لأي قوة منهم بالخروج على أصول لعبتها وإذا قبلت بهم فبعد تهشيمهم وإخضاعهم لمنطقها السياسي» «جريدة القبس ١٧ يناير ٢٠٠٤» فحرية فرنسا التي اتسعت للإلحاد والكفر والزنا والمجلات الجنسية لم تحتمل قطعة قماش تغطي بها الطالبة المسلمة شعرها أليست هذه حربا صريحة للدين؟ .

٣- تجسد ذكاء بل خداع العلمانية الرأسمالية في عدم إعلانها الحرب على الدين فهي على استعداد لحمايته والدفاع عنه واحترامه إذا استسلم لها وقبل باحتلالها وترك السلطة والتشريع لها بل هي تعلن إيمانها النظري به ويلتزم بعض العلمانيين ببعض عقائد الدين وعباداته ويفخرون بإسلامهم أو مسيحيتهم والإيمان بجزء من الدين كفر قال تعالى : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ (٨٥) سورة البقرة ومن يظن أن شريعة الله سبحانه وتعالى لا تصلح للإنسان المعاصر أو يظن أن لديه مبادئ وأحكام أرقى وأعدل وأرحم وأكثر إنسانية مما أمرنا الله به فهو كافر قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : «إن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى» وأقوال علمائنا كثيرة ذكرت بعضها في كتاب «العلمانية في ميزان

العقل» فـارجع إليها إذا شئت وعلماؤنا لم يتسرعوا في الحكم على العلمانية بل عرفوا حقيقتها ولم ينخدعوا بكلامها المعسول فالعلمانية سببت فتن كثيرة وحروباً عالمية وتفككاً اجتماعياً ومنهجها الفلسفي يجعلها خارج نطاق الحق والصواب واليقين وتعيش في عالم من الظن والشك والتناقضات والآراء فهي أشد أنواع الجهل خطورة لأنها تغطي جهلها بغطاء من الكتب والحوار والنقاش والقراءة والجدل والشعارات الجميلة كالحرية والعدل والمساواة أما قول الدكتور إسماعيل : «احتكار العلمانية الليبرالية للسياسة لم يلغي الأديان أو يحاربها بل تعاملت معها بكثير من الاحترام» فأقول السجان عندما يتعامل مع السجين باحترام فإن هذا ليس دليلاً على أن السجين لم يسجن ظلما أو أن السجان ليس بمجرم أما إلغاء الأديان فهذا أمر صعب بل مستحيل لأن الدين شئ فطري ونذكر الدكتور الشطي أن كفار قريش كانوا سيجعلون السلطة أو المال للرسول ﷺ لو تخلى عن الدين الشامل الذي يدعو له ولكنه لم يقبل فهم أعطوه أكثر مما تعطي العلمانية المعاصرة للدين فالدين مقبول عند العلمانية إذا اقتصر على الصلاة وأحكام الزواج ودفن الموتى بل تحاول أن تقنع الناس بأن هذا هو الدين وهي بالتأكيد لا تريد أن يعرف الناس المعاني الصحيحة للتوحيد والكفر .

٤- قال الدكتور إسماعيل «إن جوهر العلمانية يسعى لتحقيق المساواة بين أفراد الوطن ورفض أي انتماءات أخرى» ، وذكر أن العلمانية اهتمت بالحقوق والواجبات بين الفرد والسلطة وأقول أن أحد الاختلافات الجوهرية بين الإسلام والعلمانية هو في تعريف وحدود العدل والمساواة والحرية وحقوق الإنسان وصلاحيات السلطة وغير ذلك وبكلمات أخرى هل المساواة الصحيحة هي المساواة العلمانية أو هي المساواة الإسلامية؟ وأقول أن المساواة العلمانية السياسية المطلقة ليست هي المساواة الصحيحة وكذلك

الحرية العلمانية الكبيرة ليست هي الحرية الصحيحة لأنها حرية تسمح بحرية الفساد أيضا فليس صحيحا أنه كلما زدنا جرعة الحرية كلما كنا أقرب للصواب وباختصار المساواة الصحيحة هي التي لديها أدلة تثبت أنها صحيحة وليست التي تبدو أنها جذابة ويكفي أن نقول أن العلمانيين يقولون أن تعريفهم للمساواة أو الحرية هو رأي ولهذا اختلف العلمانيون كثيرا فيما بينهم في تعريف الحرية وحجمها في حين أن الحرية الإسلامية تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله وهي حقيقة وليست رأي وتبقى نقطة هامة وهي أن حجم المساواة الإسلامية كبير ويتسع في جوانبه العقائدية والسياسية للآخرين بصورة معقولة ومقبولة .

٥ - يخطئ كثيرون عندما يربطون بين العلمانية وأمور ليست منها كالديمقراطية أو التقدم التكنولوجي أو الأسلوب العلمي أو أهمية القطاع الخاص بدليل أن هناك دولاً علمانية رأسمالية ولكنها ليست ديمقراطية كما نشاهد في كثير من الدول النامية كما أن الدول الشيوعية والاشتراكية دول علمانية لأنها تفصل الدين عن الدولة ولكنها ليست ديمقراطية بل إن العلمانية الرأسمالية أقنعت الكثيرين أنها قائمة على العقل والعلم في عقائدها ومفاهيمها للحرية والعدل والمساواة أي هي المبدأ الأكثر عقلانية وعلمية في حين أنها قائمة على آراء الفلاسفة والتصويت والحلول الوسط والهروب من إعطاء أجوبة علمية على القضايا العقائدية بحجة أنها قضايا فلسفية أو ما وراء الطبيعة (ميتافيزيقا) أو هامشية أو ميئوس من حلها أما القضايا الاجتماعية فهربت من إعطاء أجوبة علمية عليها بحجة أنها حرية شخصية واقتنع بما تراه وافعل ما تشاء فكأن الحقائق وليست الاجتهادات في هذا المجال فردية في حين أنه لا يوجد إطلاقا في العلم شيء اسمه الحقائق فردية واثبات تناقض العلمانية مع العقل والعلم بحاجة إلى

صفحات كثيرة وشرحت ذلك في كتابين ألفتهما ولكن مشكلة الكثيرين أنهم لا يقرؤون ولا يتعمقون ولا يناقشون وعندما تقول العلمانية أنها قائمة على العقل والعلم والتسامح والحضارة فالمقصود أن الدين قائم على الإيمان الأعمى والتقليد والتعصب والجمود بل أحيانا تقول أنه أساطير وخرافات .

٦- سيطرة أي نظام إسلامي أو علماني على الحكم لا يعني إلغاء الآخرين كليا بل تبقى التكتلات الدينية والطائفية والعرقية قوى لها أثرها في القضايا السياسية والمالية وتسعى كل دولة عاقلة لعدم استفزاز القوى الرئيسة داخلها إذا لم يكونوا معارضين لنظامها فالعلمانية ليست أول من يعترف بحقوق و وجود من يناقضه عقائديا أو سياسيا ولا أدري لماذا ربط الدكتور إسماعيل بين الوطن والمواطنة والعلمانية فالانتماء للوطن أو للأمة هو شئ موجود في النفوس ومرتبط بقضايا كثيرة ولا يتأثر إلا قليلا بنوع الحكم سواء كان إسلاميا أو علمانيا ولن يعتبر المسيحي العربي غير مواطن في الدولة العربية إذا كان نظامها إسلامي وإذا قلنا ذلك فلنقل أن المسلم سيعتبر نفسه مواطنا من الدرجة الثانية في الدولة العلمانية وكذلك سيعتبر أغلب المواطنين أنفسهم مواطنين درجة ثانية في دولة شيوعية فالوطنية موجودة على مدى التاريخ البشري وليست اختراعاً علمانياً والناس يختلفون في مستواهم المعيشي وشهاداتهم ومناصبهم وأعراقهم ومساكنهم وجمالهم . . . . .الخ فلماذا لا نسعى لإلغاء هذه الاختلافات حتى لا يكون لدينا مواطنين درجة ثانية وثالثة ورابعة وإذا أضفنا لذلك أن الغالبية الساحقة من العرب هم مسلمون فإن حقيقة الأمر أن الأغلبية الساحقة عندنا سيكونون مواطنين درجة أولى إذا طبقنا الإسلام في حين لو طبقنا العلمانية فستصبح الأغلبية الساحقة هم مواطنون درجة ثانية .

٧- من الأخطاء الشائعة الظن أن العلمانية هي الحل الوسط لاختلاف الأديان وهذه ليست مشكلة عربية لأن الأغلبية الساحقة مسلمون بل تصل نسبة المسلمين في أغلب دولنا إلى ٩٥٪ أو أكثر فالعلمانية جعلت من نفسها الحل الوسط والحكم فهي فعلا ليست حلاً وسطاً بين عقائد الإسلام وعقائد المسيحية بل هي متناقضة معهما وترفض قبول حتى التشابه بينهما من عقائد وأخلاق وأحكام فالعلمانية إذن مبدأ ثالث وهو يتصارع معهما وليس جهة محايدة أو حلاً وسطاً والحل الوسط ليس هو الميزان لتحديد الحق من الباطل بل الميزان الأدلة العلمية التي تثبت صواب أو خطأ العلمانية أو الإسلام أو المسيحية أو غير ذلك .

٨- قال الدكتور إسماعيل «كل الجماعات الإسلامية السلمية قبلت مفهوم الديمقراطية العلماني الليبرالي» وأقول ليست عندنا كمسلمين مشكلة مع الديمقراطية فالديمقراطية شئ والعلمانية شيء آخر وجوهر الديمقراطية هو رأي الأغلبية وحقوق الأقلية وهذا جزء من ديننا فالتشابه بين الشورى الملزمة والديمقراطية كبير جدا ولا شك أن الغرب أكثر وعيا وتطبيقا «للشورى الملزمة» منا نحن المسلمين وهذا لا يعني أن الديمقراطية الغربية هي أفضل النظم الديمقراطية ولهذا قال عنها ونستون تشرشل «أنها أفضل السيئين» والمشكلة ليست في فكرنا الإسلامي بل في فهمنا له والتزامنا به وأضيف إلى ذلك لا نخجل كمسلمين أن نعترف للغرب بما نجح فيه ولا نرفض أن نستفيد من التجارب البشرية ومن مختلف الشعوب فالحكمة ضالة المؤمن فليس كل ما في أمريكا باطل وخطأ وليس كل ما في أمريكا صنعته العلمانية وليس كل ما تقوله العلمانية خطأ .

كيف تحارب العلمانية الإسلام ؟

حرب العلمانية للدين وخاصة الإسلام حرب غير معلنة ولكنها حرب واضحة وتتضح من خلال ما يلي :-

١ - لا يحتاج الإنسان لكثير من الجهد ليعرف التناقض والعداء والحرب بين الإسلام والعلمانية فالعمود الفقري للإسلام وكل الأديان السماوية هو معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وتعظيمه وعبادته وطاعته والخضوع إليه لأن هذا هو الهدف الوحيد من خلق الإنسان قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٥٦) سورة الذاريات ، والعلمانية لا يهمها هذا الموضوع أبدا فهي لا تريد أن تعرف الله سبحانه وتعالى ولا يهمها أن تعرف الإيمان من الكفر والتوحيد من الشرك والطاعة من المعصية كما أن علاقتها بالأنبياء مقطوعة فهي لا تريد أن تعرف سيرتهم ولا ماذا قالوا وليسوا لها و لأتباعها قدوة وعند العلمانية الدين الصحيح والدين المنحرف وأقوال الفلاسفة وعقائد الزنادقة كلها متساوية ولا فرق بينها فلا فرق بين الحق والباطل وبين النور والظلمات والأسوأ من ذلك أنها لا تريد معرفة الحق لأنها لا تريد اتباعه أصلا والمنطق الذي تستند إليه «أزعجتمونا بعقائدكم وعباداتكم أيها البشر والحل هو أن نكفر بكم جميعا وأن نعتبر الهروب من تحكيم العقل والأدلة العلمية بينكم هو الحضارة والتسامح والواقعية» وهذا الذي تفعله العلمانية هو الكفر والإلحاد والتمرد على الله سبحانه وتعالى ولهذا قال عنهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله «أكفر من اليهود والنصارى» فاليهود والنصارى يريدون رضى الله ومحبته وطاعته في كل ما أمر أما

العلمانيون فلا يريدون ذلك بل يؤمن بعضهم ببعض العقائد والعبادات والعلمانية ترفض أن يكون للدين الصحيح أو الخاطئ دور في تكوين الدولة أو في تشريع القوانين فكل شيء مصدره ديني مرفوض بل ترفض حتى أن يكون الدين أحد مصادر التشريع فالعلمانية إذن متمردة على أوامر الله ونهيه وتشجع العصيان وكثير من أعمال وأقوال العلمانية هي الكفر بعينه ومن الأشياء التي أنبه لها أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يعني فقط الإيمان بوجود الله كما يظن كثير من العلمانيين لأن كفار قريش وكثير من الكفار يؤمنون بوجود الله ولكنهم كفروا لأنهم لا يصفونه بصفاته وينسبون إليه الولد أو يتهمونه بالبخل أو يرفضون بعض أو كل أوامره أو أحكامه أو يعادون الأنبياء والمؤمنين ويضطهدونهم .

٢ – فصل الدين عن الدولة هو إبعاد ورفض للدين وهدف أي حرب هي إبعاد الطرف الآخر عن أرض أو مصالح أو نظام حكم أو غير ذلك والأصل في الحرب هو إبعاد الطرف الآخر وليس القضاء عليه نهائيا وبالتالي فهدف العلمانية إبعاد الدين عن السياسة والدولة والاقتصاد والدستور والقوانين أي عن مجالات رئيسة كثيرة وهذه حرب على الدين لأن هذه المجالات من ضمن مجالات الدين الرئيسة فهي المجال الذي يتصارع فيه الإيمان مع الكفر والمسلمون مع الكافرين فإذا كانت العلمانية ترفض الالتزام بمعاني الإسلام للتوحيد والعبادة والحرية والعدل والمساواة والحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية والأسرية فماذا بقي من الدين مقبول؟ ومتى سيمكن تطبيق هذه المعاني إذا أبعدناه عن حياتنا الدنيوية؟ ولنتذكر دائما أن الدين هو أمر الله سبحانه وتعالى ورسالتة للبشر فلماذا نرفض أمر الله ورسالته؟ وتحاول العلمانية أن تقنع الناس أن الدين قضية شخصية بين العبد وربه ولا علاقة له بالسياسة والاقتصاد والعقوبات

والحقوق والواجبات وأحيانا تقول الدين قضية هامشية وأحيانا هو قضايا غيبية و(ما وراء الطبيعة) فلا يجوز أن نشغل عقولنا به وكل هذا حرب وتشويه للدين وحقائقه وأهدافه وهو في نفس الوقت حصار له وعزل من خلال «إقناع الناس بمفاهيم باطلة بل كاذبة» أما من الناحية السياسية فكل الأحزاب السياسية مقبولة من شيوعية ورأسمالية وغيرها ما عدا الأحزاب الدينية فهذه أحزاب متهمة بأنها تتاجر بالدين كأن لا يوجد حزب واحد صادق في انتمائه للدين وهي تتهم الدين بأنه سيؤدي إلى التعصب وتفرق الشعب حتى لو كانت نسبة المسلمين ٩٥٪ كما نشاهد في أغلب دولنا وهذا ينطبق أيضا على الشعوب المسيحية .

٣- لم يقتصر تشويه العلمانية على الإسلام بل امتد حتى لرجاله من علماء وملتزمين فهي لا تفرق بين المسلمين المعتدلين وهم الأغلبية الساحقة وبين متطرفين لا يشكلون حتى ١ ٪ من المسلمين فالحرب على الإرهاب تشمل الجميع بصور مختلفة وهي تتهم علماء الإسلام بالجمود والتخلف والسعي وراء مصالح سياسية أو مادية فأحيانا تتهم الصادقين منهم بأنهم من وعاظ السلاطين وعملاء أمريكا وأنهم منافقون فلما سقطت الشيوعية أصبحوا يتهمونهم بالإرهاب والتطرف والعلمانيون هم أعداء المسلمين في كل الدول العربية . فأحيانا يسمون أنفسهم تقدميين أو ديمقراطيين أو اشتراكيين وغير ذلك بل تجد العلمانيين على اختلاف مدارسهم يشتركون في شئ واحد وهو موقفهم الرافض للمسلمين ولو كان العلمانيون صادقين في اتهامهم للمسلمين بأنهم متطرفون ويتاجرون بالدين لكان الواجب أن يكون العلمانيون هم أهل الالتزام الصحيح بالدين ولكن هذا لم يحدث بل نجد العلمانيين السياسيين يتحالفون مع أنظمة ظالمة ومع الفساق في سبيل تشكيل جبهة عنكبوتية

نصفها على الأقل ليس لهم أخلاق أو حرص على المصلحة الوطنية ومن يرفض ويعارض ويعادي المسلمين المعتدلين لا شك هو من الكفار أو المنافقين أو في أحسن الأحوال من الجهلاء وإذا كان الإسلام «الدين» لا يتحرك وحده بل يتم ترجمته في رجال ونساء من ملتزمين ودعاة فإن تشويه هؤلاء هو حرب غير معلنة على الدين قال تعالى في الحديث القدسي : «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» فهؤلاء هم ورثة الأنبياء وهذا لا ينفي أن يكون في بعض المسلمين نقاط ضعف كبعض الاجتهادات الخاطئة أو غير ذلك ولكن يبقون هم أفضل البشر إذا كانوا ملتزمين وأكرر ما قلته ٩٥٪ إن لم يكن أكثر من المسلمين هم معتدلون وليسوا متطرفين ومع هذا تتهم العلمانية المسلمين بالتطرف وتحرض الحكومات عليهم بل المجتمع الدولي وهذا لا يحدث فقط من العلمانيين الغربيين بل يحدث حتى من العلمانيين العرب .

٤ - تقول العلمانية أنها لا تشجع الفساد الأخلاقي وهي صادقة في ذلك ولكنها تسمح به في الدول العلمانية وتحميه بحكم القانون ومفاهيمها الخاطئة عن الحرية الشخصية وهي تسمح بالأفلام الجنسية والمجلات الجنسية وفي نهاية اليوم كما يقول الإنجليز يجد الفساد بيئة مثالية في الدول العلمانية فهي لا تشجعه صراحة ولكنها تشجعه ضمنا والعقل البشري والفطرة البشرية يرفضان ذلك ولذلك نجد المافيا الجنسية تستغل النساء الضعيفات والمنبوذات أما علية القوم حتى لو كانوا علمانيين حتى النخاع يرفضون هذا الجزء من الحرية الشخصية لأخواتهم وبناتهم ولا شك أن الحرية الصحيحة لا نخجل منها ولا يتم رفضها .

٥ - العقائد والمبادئ التي تسعى لها العلمانية مخالفة للإسلام وضد ما يدعو له الإسلام في كثير من الأحيان فكثيراً ما تسمع من الأمريكيين مثلا تمتع بالحياة فأنت تحيا مرة واحدة

وهذا يعني تمتع بالملذات الجنسية في حين أن الإسلام يعتبر هناك حياة أكبر وأهم وأن الدنيا مزرعة الآخرة وأن التمتع بالدنيا له ضوابط وأن الزنا حرام وكذلك الخمر وتجد العلمانية تعطي المال أهمية كبيرة فهو القضية التي تتسلط عليها الأضواء السياسية والاقتصادية وهو رمز القوة والعلو «فمن معه دولار قيمته دولار» بل تجرد العلمانية إلى درجة كبيرة الحياة السياسية بل الحياة كلها من المبادئ فهم لا يعترفون بالأخلاق والمبادئ وحتى تكون سياسياً ناجحاً فاقتنع أن الغاية تبرر الوسيلة وإذا أضفنا إلى ذلك ما يراه البشر من تصرفات أمريكا التي جعلت مصالحها حتى لو كانت غير مشروعة هي التي تحركها فهي لا تدافع عن الديمقراطية والحرية في العالم بل تتحالف مع أشد المستبدين والظالمين وهي تتلاعب بالألفاظ والكلمات ومعانيها بطريقة مكشوفة فهي تريد أن تحارب الإرهاب دون أن تحدد معانيه وهي تقوم بحروب «وقائية» حتى لا يعتدي عليها فهي تحاكم النوايا وتعاقب على الظن وعموما فمبادئ العلمانية متناقضة مع مبادئ الإسلام بل إن الإسلام يضع ضوابط كثيرة على الأمور المباحة فالمسلم لا يبذر ماله كيفما شاء ولا يضيع عمره كما يريد حتى لو كان في شيء مباح كالسفر أو النوم أو الأكل أو حفلة زواج أما العلمانية فكل هذا شيء مقبول فأنت تعيش مرة واحدة فعش كما تشاء وأنت حر في حياتك فحتى خالقك وخالق الكون والحياة لا تطيعه .

٦ - هل فعلا تركت العلمانية الحياة الشخصية للدين ؟ الجواب لا أبدا فهي كما ذكرت أعلاه فتحت الأبواب لإقناع البشر بعقائد منحرفة وسخيفة وأخلاق فاسدة كل هذا باسم الحرية فالعلمانية تدخلت كعقائد وقوانين في الحياة الشخصية من خلال الحقوق والواجبات الزوجية والأسرية ومن خلال ما يسمى جهلا أو كذبا بتحرير المرأة ومن خلال السماح بالزنا والشذوذ الجنسي ومن خلال الإعلام الفاسد فهي تريد أن تفتح

الأبواب للكفر والفساد والشهوات وغيرها وتحميها بالقوانين ثم تقول أننا لا نحارب الدين فمن شاء أن يتمسك بالدين فليتمسك بل وجدنا أكثر من ذلك فالعلمانية التركية ترفض نجاح نائبة لأنها محجبة والعلمانية الفرنسية تقول لا أريد أن أرى طالبات محجبات لأن هذا ضد العلمانية فالعلمانية لا تريد أن ترى الدين في المدرسة ولن نعجب إن قالت غدا أنها لا تريد أن ترى الحجاب حتى في الأسواق أو ترى المساجد في المدن لأن هذه تسبب الفرقة بين الناس فهي لم تستطع أن تتحمل الشكل الخارجي للدين فكيف يظن البعض أنها ليست ضد جوهر الدين وما لا تعرفه العلمانية أن الدين أقوى وأكبر مما تظن لأن الله سبحانه وتعالى يحميه وينصره متى ما وجد المؤمنين به قال تعالى : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢١) سورة يوسف ، قال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (٥١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (٥٢)﴾ سورة غافر .

لماذا نحارب العلمانية ؟

قبل أن أذكر الأسباب التي تدعو لمحاربة العلمانية لا بد أن أذكر أن المبادئ العلمانية كثيرة ومتناقضة ولكنها جميعها منحرفة وهي تختلف في درجة انحرافها فالعلمانية الرأسمالية أفضل من العلمانية الشيوعية وانحراف العلمانية الرأسمالية أو غيرها لا يعني أنه ليس لها إيجابيات فالعلمانية الرأسمالية ليست شراً كلها وكذلك الشيوعية فوجود بعض الإيجابيات لا يعني أن المبدأ صحيح فالخمر مثلا لها إيجابيات لمن يزرع ثمارها ويصنعها ويبيعها ولكن سلبياتها تجعل العقلاء يرفضونها كما أن المجرم القاتل قد يكون بارا بوالديه وكريماً وذا تخصص علمي نادر ولكن هذه الإيجابيات لا تمنع من معاقبته بالإعدام وهو أشد أنواع العقوبات وبالتالي فالقول أن للعلمانية الرأسمالية إيجابيات مثل حرية الرأي والحرية العقائدية والمساواة وغير ذلك ليس دليلاً على براءة العلمانية لأننا لا نرفض إيجابياتها ولا ننكرها بل أغلبها جزء لا يتجزأ من الإسلام وقد يقول قائل أن المسلمين لا يطبقون هذه المبادئ وأقول كل مسلم ملتزم وكل حكومة مسلمة ملتزمة تطبقها أما من ابتعد من المسلمين عن الإسلام نتيجة ارتداده أو ضعف إيمانه أو جهله فهؤلاء لا يمثلون الإسلام . وتعالوا لنسلط الأضواء على الأسباب التي تدعونا لمحاربة العلمانية وهي كثيرة لعل أهمها ما يلي :-

١ - أكبر وأخطر سلبيات العلمانية أنها العدو رقم واحد للأديان السماوية وخاصة الإسلام فهي أبعدت الناس عن خالقهم ودينه ورسله وهذه ليست سلبية ثانوية أو هامشية بل هي أكبر جريمة في حق البشر لأنها إبعاد لهم عن مصالحهم الدنيوية والأخروية فمنبع الخير والسعادة هو القرب من الله سبحانه وتعالى ومعرفته وطاعته ومنبع الشر والشقاء

هو البعد عن الله سبحانه وتعالى ومعصيته وقد تطرقت لهذا الموضوع في مقالات سابقة فالعلمانية هي الكفر والإلحاد وليس هناك جريمة وانحراف أكبر من الكفر والإلحاد فالعلمانية لا تريد معرفة الله ولا رضاه ولا شريعته ولا تريد طاعته قال تعالى : ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (٣)﴾ سورة محمد .

٢ - العلمانية هي المنبع لكل المبادئ الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والعرقية والإباحية . .الخ فمثلا اقتنع الألمان بإستخدام العقل العلماني بتفوق العرق الألماني ولو كانوا يحتكمون للإسلام لعرفوا أن البشر متساوون عرقيا وأكرمهم عند الله أتقاهم والفكر النازي أضر البشرية ضررا كبيرا بما دمره في الحرب العالمية الثانية والفكر الشيوعي الاستبدادي هو أيضا فكر علماني أنتجته عقول الفلاسفة وسيطر على دول كثيرة مستغلا الفقر والاضطهاد وجهل الناس وأدى هذا الفكر إلى مصائب هائلة في الحريات والمال وانهار هذا الفكر لفشله ومخالفته للعقل بل وحتى للفطرة البشرية أما الانحرافات الفكرية في أمريكا فأدت إلى ضياع الدولة الأمريكية وتخبطها وسيطرت الأغنياء عليها وتفرعنها على العالم فهي الدولة الاستعمارية الأولى وتفرض قراراتها على دول كثيرة ودخلت في حروب كثيرة معلنة وغير معلنة ضد حريات الشعوب وتطارد من تشاء باسم الإرهاب وتسجن من تريد بلا محاكمة وتدبر الانقلابات والتغيرات السياسية وترفض قرارات الأمم المتحدة فهي تريد الشعوب عبيدا لها وهي تفعل ذلك لأنه ليس عندها مبادئ إسلامية تبين لها العدل والمصالح الحقيقية وحقوق

الشعوب فهي دولة تفعل ما تريد وتبرر ما تفعله بكلام علماني مرفوض عقلا وشرعا .

٣- لا يقتصر خطر العلمانية على مستوى الدول والحكومات والسياسة بل هي المدمر الأول للحياة الشخصية والاجتماعية فالفرد العلماني فرد غامض لا تعرف عقائده ، واقتناعاته ، وأخلاقه ، ولا تعرف ذلك إلا من خلال المعايشة وأنا هنا لا أتكلم عن الجانب العملي بل عن الجانب النظري فالعلمانية لا تحرم الخمر أو الزنا أو الكذب أو قطيعة الرحم أو الانغماس في الشهوات أو الحسد والغيبة والغرور والنفاق ولا تمنع الأب من التخلي عن واجباته الأسرية أو أن يمارس الجنس ويرمي طفله الرضيع في الشارع فالعلمانية أنتجت في الغرب الملايين من الأبناء غير الشرعيين وهذا من أكبر الجرائم في حق البشرية وأنتجت العقائد الشاذة وأنتجت الأنانية والمادية والذل وأنتجت ارتفاعاً هائلاً في نسبة العنوسة والطلاق والقلق والأمراض النفسية والقسوة والفساد الأخلاقي وقطيعة الرحم وشرب الخمر وتعاطي المخدرات وما نقوله ليس اتهامات باطلة أو مبالغ فيها بل هو واقع تثبته الإحصائيات والأرقام ويعرفه كل من عاش في الغرب والسؤال هل اتباع العقل يؤدي إلى كل هذا الشقاء؟ وأقول نعم اتباع العقل العلماني يؤدي إلى ذلك أما اتباع العقل الصحيح فسيوصلنا للحرية الحقيقية ولنتذكر أن الإنسان العاقل يرفض «الحرية العلمانية المزورة» لأنها تسمح بممارسة الكثير من الانحرافات .

٤ - إذا كان العلمانيون الصادقون ينحرفون بحسن نية لاقتناعهم بأن العلمانية مبدأ صحيح فإن من فسدت نواياهم يجدون في المبادئ العلمانية وعقائد الفلاسفة ما يصلح لأن يكون غطاء فكريا لأعمالهم وأقوالهم ويخدع هؤلاء كثير من الناس لان انحرافات هؤلاء مستورة بتبريرات فكرية علمانية خاصة وان العلمانية ليست ذات ملامح

محدودة متفق عليها يعرف الناس أن من ينحرف عنها ليس علمانياً صادقاً ولولا التبريرات العلمانية لما استطاع كثير من المنحرفين على مستوى الحكومات أو الأفراد تبرير انحرافاتهم فكم شاهدنا من يبرر الكذب أو العدوان أو الفساد الأخلاقي فتجد الفاسد يقول أن ما أفعله هو حرية شخصية وتجد الكاذب يعتبر كذبه ذكاء وشطارة وتجد الولايات المتحدة تبرر حروبها وقتل الأبرياء بمحاربة الإرهاب .

٥ - زرع العلمانيون العرب الفتن العقائدية والسياسية والاجتماعية في كثير من دولنا بأفكارهم واتهاماتهم وأحزابهم ومن وصل للحكم منهم ارتكب من الجرائم ما جعل بعض شعوبنا تترحم على أيام الاستعمار واختلفوا فيما بينهم وانتهكوا حقوق الشعوب وبديهيات الحرية وحاربوا الإسلام وأهله وجعلوا الساحة العربية حقولاً لتجاربهم الفاشلة وأصبحت أمتنا ضعيفة منهكة بل أيضا يائسة والعلمانيون هم أساتذة التذمر واليأس لأن انتقاداتهم بحكم مرجعيتهم الفلسفية تجعلنا نرى السلبيات ولا نرى الإيجابيات فعندهم دولنا رجعية واستبدادية أما علماء الإسلام فهم متخلفون ومتعصبون والجماعات الإسلامية إرهابية أو متاجرة بالدين أو غير ذلك بل حتى العمل الخيري لم يسلم من عدائهم وتهجمهم وهم بالإضافة إلى ذلك طابور خامس كان يدافع أغلبه عن روسيا وعقائدها وأصبح اليوم يدافع عن أمريكا وعقائدها وهم في مقدمة المدافعين عن الفساد الأخلاقي بحجة الحرية الشخصية والمدافعين عن كتاب زنادقة بحجة حرية الفكر وفوق كل هذا هم خليط من الرأسماليين والاشتراكيين والشيوعيين والإباحيين والمعقدين .. الخ وبالتالي فليس عندهم مبادئ متفقون عليها ومثل هؤلاء لن ينجحوا كفريق في إدارة مزرعة أغنام ومع هذا يريدون أن يكونوا قادة شعوب وأمة .

إيمان العلمانيين

كتبت الأخت مها الحمود مقالاً في القبس بتاريخ ٦ سبتمبر ٢٠٠٤ بعنوان «الجماعة يحتاجون للقراءة» وتعتقد الأخت مها أننا لا نقرأ أو لم نفهم العلمانية والليبرالية وملاحظاتي على ما كتبت الأخت مها هي :

١ – قالت الأخت مها «أما مفهوم العلمانية فهذا المصطلح تعرض لتشويه وتحريف شديدين في تعريفه فالمتأسلمون يعرفونه بأنه «حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة والتمسك بالحياة الدنيا وحدها» مستندين بذلك إلى ترجمة غير دقيقة ومبتورة «فالعلمانية حسب ما عرفها جون هوليوك ١٨١٧–١٩٠٦ بأنها «الإيمان بإمكان إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو بالرفض» وهي ببساطة تعنى فصل الدين عن الدولة مع احترام جميع المعتقدات الدينية والعقائدية والثقافية . أي أنها دولة قانون» وأقول تعريف العلمانية بأنها فصل الدين عن الدولة هو الذي نقوله وهو ما يعرفه الجميع فليس هناك تشويه وتحريف لمصطلح العلمانية . وتحاول العلمانية جاهدة أن تقنع الناس أنها ليست ضد الدين وفي نفس الوقت ليست معه وأنها تريد أن تحل المشاكل التي يواجهها الإنسان سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية من خلال العقل وهذا الكلام الجميل إذا تعمقنا فيه كما تطالبنا الأخت مهى وهذا ما فعلناه منذ سنوات طويلة من خلال القراءة والبحث والتفكير هو الكفر والضياع بعينه وإليكم بعض الأدلة التي تثبت ذلك .

(أ)– تتهم العلمانية الدين بصورة غير صريحة بأنه ليس قائماً على العقل والعلم بل هو

إيمان لا يستند إلى أدلة عقلية فهو لا يحقق سعادة الفرد والدولة وأحياناً تصرح بأن الدين منبع التخلف والرجعية والتعصب والجمود العقلي ولهذا تسعى لفصله عن الدولة والسياسة حتى لا يفسدهما وفي نفس الوقت لا تتعمد استفزازه بصورة مباشرة بل تقدم المساعدات المالية للمساجد والكنائس . وأنا هنا لا أدافع إلا عن الدين الإسلامي وأقول أنه قائم على العقل والعلم في حين أن العلمانية هي عدو العقل والعلم الفكري .

(ب)- لا يوجد موقف محايد بين الدين وأقصد به الإسلام وبين الكفر والعلمانية هي اللادينية فإذا لم نتبع الإسلام فنحن نتبع الكفر قال تعالى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فأتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون(١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (١٩) سورة الجاثية . وترفض الدولة العلمانية اتباع الشريعة الإسلامية وهي دولة تأخذ مبادئها وقناعاتها وأحكامها من عقول الفلاسفة أو التصويت البرلماني أو غير ذلك حتى لو تعارضت هذه المبادئ والأحكام مع الإسلام أو المسيحية فرفضها للإسلام واضح وصريح خاصة في مجال الدولة والسياسة والقانون .

(ج)- احترام العلمانية لكافة المعتقدات الدينية هو شئ صحيح ظاهرياً ولكن إذا تعمقنا في هذا الاحترام سنجد أن معناه إذا تركت الأديان للعلمانية الدولة والسياسة والسلطة فهي محترمة أما إذا لم تفعل فهي لن تكون محترمة بل ستقاتلها العلمانية فهي أشبه بالمحتل الذي سيحترم من لا يقاومه وسيقتل أو يسجن من يقاومه .

(د)- إذا كانت العلمانية تؤمن كما قالت الأخت مها بإمكان إصلاح الإنسان من خلال

الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان بالقبول والرفض فإن الإسلام يقول أن هذا منهج خاطئ فالإيمان بالله سبحانه وتعالى هو العمود الفقري لإصلاح الإنسان والمجتمع والدولة والسياسة ولهذا بعث الله سبحانه وتعالى الرسل والأديان السماوية قال تعالى ﴿الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ ، فالإيمان بالله هو منبع كل خير وسعادة وراحة نفسية والعلمانية لا تتصدى لقضية الإيمان بالقبول وبالتالي فهي ليست من أهل الإيمان .

(هـ)- قالت الأخت مها «فالعلمانيون والليبراليون ليسوا كما يدعى شيوخنا كفاراً وملحدين» وأقول أقوال علمائنا في كفر العلمانين واضحة ومشهورة وتستند إلى آيات قرآنية صريحة فهذا التكفير لم يصنعه «المتأسلمون» وكذلك من العدل والعلم ألا يصدر «المتغربون» فتاوى بإيمان العلمانيين قال تعالى ﴿فأسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ .

٢- قالت الأخت مها «فمفهوم الليبرالية هو مصطلح سياسي واقتصادي ظهر في أوروبا في القرن السابع عشر بهدف إقامة دولة برلمانية وينادي بحرية الفكر والعقيدة وحرية المرأة والتعددية السياسية والمطالبة بالإصلاح التعليمي وعدم تدخل الدولة في الشئون الاقتصادية إلا في أضيق الحدود فالليبرالي يعني متفتح الذهن غير متعصب ومنحازاً للإصلاحات» وأقول هل المسلم الملتزم منغلق الذهن ومتعصب ومنحاز للفساد ، وإذا كانت الليبرالية تعني ما تقوله الأخت مها فنحن نتفق معه ضمن ضوابط الإسلام وهذا التعريف لليبرالية يختلف عن تعريف العلمانية الذي ذكرته الأخت مهى أما إذا كانت العلمانية والليبرالية وجهان لعملة واحدة وهي حصان طرواده الذي تحاول أن تدخل

منه العلمانية إلى مجتمعاتنا فهي مرفوضة وأسال الأخت مهى هل كل ليبرالي علماني أم لا وما هو أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟ لأنني لا أري فرقاً بينهما على أرض الواقع .

٣- قالت الأخت مها : «لا يمكن أن نعيش في عصر العولمة والتكنولوجيا وثورة المعلومات بالطريقة نفسها التي كان يعيش فيها أسلافنا السابقون» .

وأقول نعم للتطور التكنولوجي والعمراني والإداري . . الخ أما مبادئنا وأحكامنا الأساسية فلا تتغير وما يتغير هو اجتهاداتنا فليس معني التطور أن نقلد الغرب في مفاهيمه للحرية الشخصية أو الحقوق والواجبات الزوجية أو في علمانيته فمرونة الإسلام ونظام الحكم الإسلامي لا تعني إن فصل الدين عن الدولة أمر مقبول لأن نظام الحكم سيكون نظاماً علمانياً وليس إسلامياً ولا يحق للعلمانية أن تعتبر نفسها دولة قانون لأن الدساتير والقوانين موجودة في الدول العلمانية والإسلامية فتطبيق القانون على الجميع أمر لا يختلف عليه العقلاء من المخلصين «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» .

٤- اعتبرت الأخت مها الشيخ محمد عبده رحمه الله من دعاه الليبرالية والعلمانية وأقول الشيخ محمد عبده كان ضد التقليد والجمود المنسوب للدين وكان أيضاً ضد التغريب والعلمانية فلم يطالب بفصل الدين عن الدولة ويمكن مراجعة كتاب الدكتور محمد عمارة والذي عنوانه «الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين» .

٥- تعتمد العلمانية في مبادئها على المكر والخداع فهي تقول أنها ليست ضد الدين في حين أنها عدوته الرئيسة وتقول أنها لا تشجع الفساد الأخلاقي ومع هذا تدافع عنه بحجة حماية الحرية الشخصية فهي أكبر المشجعين له عملياً وتنسب لها الثمار الطيبة للعلم

المادي والقطاع الخاص والديمقراطية وهذه أمور لا تعارضها الأديان بل هي جزء من الإسلام وتدعى أنها تعتمد على العقل في حين أنها تحتكم للتصويت وتقول أنها علمية في حين أنه لا يوجد في العلمانية لا علم ولا علماء بل آراء وفلاسفة وضائعون والشيء الوحيد الذي نجحت فيه العلمانية هو تشويه خصومها بالحق والباطل مما أدي إلى ابتعاد كثير من البشر عن الحقائق الفكرية التي جاءت بها الأديان السماوية مما أدي إلى ابتعادهم عن خالقهم .

الدولة الإسلامية دولة مدنية

الدول العربية هي دول تريد نظريا الالتزام بالمبادئ الإسلامية وتنص كثير من دساتيرها على ذلك وجميعها تعلن إيمانها بالإسلام وكذلك تفعل الشعوب الإسلامية والتي هي أهم وأقوى بكثير من الحكومات أما من الناحية العملية فهناك انحرافات كثيرة على مستوى الحكومات والشعوب والأفراد ولا نجد في شعوبنا عقائد قوية أخرى ناهيك عن أن تنافس الإسلام فالساحة هي الإسلام بنسبة ٩٠٪ أو أكثر فلا توجد جذور شعبية للفكر العلماني بمدارسه المختلفة سواء كانت رأسمالية أو شيوعية أو اشتراكية أو عرقية أو غير ذلك فشعوبنا لم تواجه تناقض أو حتى أزمة بين الإسلام والحياة وما حدث من نجاحات جزئية في بعض الفترات لبعض العلمانيين في الوصول إلى الحكم أو للتأثير عليه حدث من خلال خداع الشعوب بأن هذه المبادئ لا تعارض الإسلام ومن خلال التآمر الأجنبي وإحدى القضايا التي يثيرها العلمانيون هي أن الدولة العلمانية دولة مدنية وأن الدولة الإسلامية دينية بالمفهوم الغربي لكلمة دولة دينية أي دولة يحكمها رجال الدين وتتكلم بالنيابة عن الله أي اجتهاداتها أوامر إلهية وأن الشعب لا دور له ولا دور للعقل . .الخ

وتعالوا نناقش هذا الموضوع من خلال النقاط التالية :-

١ -لا يوجد في الإسلام مصطلح اسمه «رجال دين» فلا توجد طبقة رجال دين وعلماء الإسلام منهم الأستاذ الجامعي والمدرس والقاضي والسياسي والتاجر والعامل . . . . الخ ولم يأمرنا الله سبحانه وتعالى بأن يتولى المناصب القيادية في الدولة الإسلامية علماء الإسلام فدور علماء الإسلام في الدولة أشبه ما يكون بالخبراء الدستوريين في الدولة الحديثة فدورهم تفسير وشرح الإسلام (الدستور) لأهل السياسة والشعب وما

نقـوله هو المطبق في أغلـب الدول الإسـلامـيـة قـديمـا وحـديـثـا فـدور الـعـلمـاء هو دور استشاري وهذا لا يتعارض مع وجوب الالتزام بما هو معلوم من الإسلام على مستوى الدولة والحكومة والأفراد فالإسلام هو الدستور والقوانين التي يجب أن نسعى لتطبيقها قدر ما نستطيع أي هو حقائق وليس أفراداً أو طبقة أو حزباً .

٢- اختـيـار الحكام والحكومـات هو بيد الشـعـب المسلـم قـال تعـالـى : ﴿وأمـرهـم شـورى بينهم﴾ (٣٨) سـورة الشـورى ، وهذه القـضـيـة لا خـلاف عليـهـا بين المسلمين ولا يقـوم علماء الإسلام باختيار الحاكم بل يختاره عامة المسلمين أو من ينوب عنهم من أهل الحل والعقد وكـذلك مـن حـق المسلمين عـزل حكامهـم فـدور الشعب كبير جـدا فـــي الإسلام وهـو دور لا يقـتـصـر على اختيـار الحـاكم بـل كل أمورهم شـورى بينهم سواء كانت هذه الأمور سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فالشورى ملزمة والشعب هو الذي يحدد صلاحيات الحاكم وبالتالي لا توجد سلطة للعلماء على الحاكم بل من واجب العلماء وغيرهم طاعة الحاكم والحكومة في ما يحقق مصالح الدين والوطن ونحن نتحدث هنا عن الطاعة السياسية وليست الفكرية .

٣- علماء الإسلام في دورهم الدستوري والقانوني على مستوى الدولة كخبراء دستوريين أو حتى في دورهم الفكري لا يتكلمون بـالنيابة عن الله سبحانه وتعالى بل يـشرحون ما هو معلوم مـن الدين ويجتـهدون فـيما استجد مـن أمور واجـتهـادات تحتمـل الصواب وتحتمل الخطأ وهي غير ملزمة للدولة أو الأفراد ومن يخالف اجتهاداتهم وفتاويهم فليس بالضرورة يخالف أمر الله أما ما هو معلوم من الدين بالضرورة فهو واضح في آيات جاءت بلسان عربي مبين وفي أحاديث نبوية مفهومة ولا خلاف بين المسلمين على فهمها وتطبيقها وإذا أضفنا لذلك أن كبار علمائنا حذرون في اجتهاداتهم ولا

يتعصبون لها وهم أكثر الناس التزاما بنظام الدولة وأكثر الناس زهدا في المناصب والسياسة بمفاهيمها الدنيوية فكيف ستكون الدولة الإسلامية دولة دينية يتكلم فيها العلماء بالنيابة عن الله سبحانه وتعالى ناهيك أن يحكموا بالنيابة عن الله .

٤ - دور علماء الإسلام هو في تقييم مواد الدستور ومقترحات القوانين من الناحية الشرعية ولا دور لهم في الجوانب السياسية والإدارية والفنية والسياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية فالحكومات هي التي تقدر أوضاعها السياسية ومصالح الدولة وهي التي تضع خططها الخمسية والسنوية ولا يتدخل العلماء في أولويات التنمية أو اعتماد الميزانية أو الرقابة الإدارية على الجهاز الحكومي أو الخاص وليسوا هم من يصدر الأحكام القضائية على المتهمين أيا كانت تهمتهم وليسوا هم من يضعوا أهداف البحث العلمي وأولوياته . . . . . الخ ، فالحكومة والمجالس التشريعية والسلطة القضائية هم المسئولون عن ذلك ولكن دور العلماء هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي لبيان الانحرافات الواضحة وإذا تأملنا في ذلك وجدنا دورا كبيرا للعقل والتفكير والاجتهاد للمسئولين في الحكومة والمتخصصين في السياسة والاقتصاد والإدارة والاجتماع وغيرهم في وضع الأهداف واتخاذ السياسات والقرارات المناسبة وما ذكرنا من مجالات هي مجالات كثيرة جدا لا دور للعلماء فيها ناهيك أن تكون الكلمة الأخيرة لهم فيها فكيف إذن تكون الدولة الإسلامية دولة دينية يكتم أنفاسها علماء الإسلام بتدخلهم في كل كبيرة وصغيرة مما يقع خارج اختصاصهم .

٥ - لو أخذنا الكويت كمثال للدول الإسلامية لوجدنا الدستور ينص على أن دين الدولة الإسلام و وجدنا مجالس الأمة المنتخبة وعلى مدى عقود تطالب بالالتزام بالإسلام ووجدنا أمير الكويت حفظه الله ينشئ لجنة لاستكمال تطبيق الشريعة الإسلامية و

وجدنا الشعب في مؤتمر جدة يتفق على ضرورة الالتزام بالشريعة الإسلامية ووجدنا الصبغة الإسلامية هي السائدة بل الكاسحة في انتخابات طلبة جامعة الكويت ولا توجد أي قوة رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ولا توجد كلمة علمانية في دستور الدولة ولا قوانينها ولا قراراتها ولا توجد حتى كلمة فصل الدين عن الدولة والسياسة بل لا تطرح هذه الأمور ناهيك عن أن تناقش ومن المعروف أن الشعب الكويتي هو من أكثر الشعوب التي تتمتع بحرية الرأي فرأيه لم يأت نتيجة إكراه ولو أعطيت الحرية لكل الشعوب العربية والإسلامية لكانت مطالبتها بالإسلام عالية و واضحة ورفضها للعلمانية واضحا ولكن لن يراه من أعمى الله سبحانه وتعالى بصائرهم قال تعالى : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (٤٦) سورة الحج . ما ذكرته يكفي كل عاقل ليقتنع بأن اتهامات العلمانيين للدولة الإسلامية أنها دولة دينية يحكمها علماء الإسلام هو اتهام لا يخرج عن الجهل الشديد بالإسلام الذي يحاربونه أو الحقد والكذب وكلا الأمرين لا يجدر أن يكون من صفات المصلحين كما يوضح أن المبادئ الإسلامية هي المسيطرة في دولنا وهذه الحقيقة الواقعية الواضحة لم تكتشفها حتى الآن أغلبية العقول العلمانية .

٦ - بالتأكيد أن الدولة العلمانية ليست الدولة المناسبة ليس فقط لأن الأغلبية الساحقة من العرب مسلمون يعتبرونها كفرا وزندقة وسيعادونها بل أيضا لأنه عندما نقول دولة علمانية فإننا نفتح الباب للصراع الفكري فقد تكون دولة علمانية رأسمالية أو دولة علمانية شيوعية أو غير ذلك وهذه عقائد ليست لها قواعد شعبية فالدولة ستكون بلا قواعد أو أن تكون دولة علمانية بلا هوية فكرية تحاول أن ترضي الجميع فيسخط عليها الجميع فالموقف الفكري هو أساس البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي فلا يمكن

أن يكون البناء بلا أساس فكري أما مسألة وجود غير المسلمين فهذه ليست مشكلة حقيقية لأن المساواة الحقيقية ليست المساواة المطلقة كما أن التمييز بين المواطنين مسلمين وغير مسلمين من الناحية السياسية محدودة فيمكن أن يكون من غير المسلمين وزراء ونواب ولكن لا يكون منهم الحاكم مثلا والغريب فعلا أن العلمانية اللبنانية قبلت أن يكون الحاكم مسيحيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا ورئيس النواب مسلما شيعيا فهل هذه المساواة العلمانية ولماذا لا يجعلوها مساواة مطلقة والشعب اللبناني يقرر بالانتخابات .

٧- عندما يقال حكومة مدنية فالمقابل لها حكومة عسكرية وليست حكومة إسلامية أي يجب أن يقولوا حكومة علمانية أو حكومة إسلامية لأن كليهما حكومة مدنية ومن الخطأ القول بأن الحكومة العلمانية هي دولة القانون والحكومة الإسلامية دولة الشريعة فالحكومة الإسلامية دولة قانون تستمد قوانينها من الشريعة وما لا يعارضها في حين أن الحكومة العلمانية دولة قانون تستمد قوانينها من التفكير الفلسفي وهنا نقطة مهمة جدا وهي أن كثيرا من العلمانيين ممن يزعمون إيمانهم بالديمقراطية يعلنون وصايتهم على الأمة أو شعوبها فيقولون الدولة العلمانية هي الدولة الصحيحة ويحاولون فرضها بالقوة في حين أن بدهيات الحرية والديمقراطية تقول يجب أن نسأل الأمة أو الشعب هل تريدون دولة إسلامية أو دولة علمانية ؟ ونحن نطالبهم أن يقبلوا حكم الأغلبية هذا إذا كانوا فعلا يؤمنون بحرية الشعوب في تقرير مصيرها .

٨- أعتقد أن كل مسلم يفضل أن يعيش في ظل دولة مسيحية ملتزمة بالأخلاق الفاضلة وتهتم بالجوانب الروحية والعبادات على أن يعيش في دولة علمانية أسكرها الكفر والشرك والزندقة وعبادة المال وتحمي الفساد الأخلاقي وتعتبره «حرية شخصية» ولو

كان العلمانيون يحتكمون إلى العقل لقالوا يجب أن نطبق المبادئ التي يثبت العقل صوابها فإذا ثبت أن العلمانية هي المبادئ الصحيحة طبقناها وكفرنا بالإسلام وإذا كان الإسلام طبقناه وكفرنا بالعلمانية وهكذا مع المسيحية وغيرها ولكنهم يرفضون الحل العقلي العلمي وهذا أمر شرحته بالتفصيل في كتب ومقالات يمكن الرجوع إليها ويكفي أن أقول أن من اقتنع عقليا بوجود الله سبحانه وتعالى يرفض العلمانية لأنها ترفض أن يكون للدين الصحيح «وليس الخاطئ فقط» طاعة في الدولة والسياسة والتشريع أليس هذا كفرا وعصيانا وتمرد على الله سبحانه وتعالى ورسله وكتبه .

أوهام فصل الدين عن الدولة

اقـتنع العلمـانيين أنه لا أحـد لديه الحق في القـضـايا الفكرية الكبرى «العـقـائدية» وبالتـالي لا داعـي للالتـزام بهـا أو السـعي لتطبيـقـهـا في مجـال الدولة والقـانون ويعـتبـرون التمسك بهـا نوعـاً من التعصب أو الجمود والانغلاق وهذا معناه لا توجد مبادئ لأن المبادئ هي عـقائد وأخلاق وأحكام نعتـقـد أنها صـواب وليست أشـياء لسنـا متـأكدين منهـا تحتمل الصـواب والخطأ وهذا الاقـتـناع يفـرض عليـهم ألا يتـعـصبـوا ويتـمسكوا بالعـمـود الفـقـري لمبادئهم ألا وهو «فـصل الدين عن الدولة» فهـذا رأي وليس حقـيـقة ومـا دام رأيـاً فهو يحـتمل الصواب والخطأ ولكن يتعاملون معه كأنه حقيـقة فكرية كبرى لا يأتيها الباطل من بين يديها أو خلفـهـا وتعـالـوا نسلط الأضـواء على هذه العـقيـدة لنعرف كم هي باطلة وذلك مـن خلال النقاط التالية :-

١- الأدلة العقلية الصحيحة التي تثبت وجـود الله سبحانه وتعالى وصدق الأنبياء من خلال مـعـجـزاتهم وغيـرها تـدعو إلى تطبيق الدين في مـختلف جوانـب الحيـاة بما فـيهـا الدولة والحياة السياسية فالأديان السماوية والأنبياء والمؤمنون مقتنعون تماما أن العلمانية (فصل الدين عن الدولة) عقيدة خاطئة وعارضـوها وحـاربوها على مدى التاريخ البشري لأنها كفر وفي المقابل لا يؤيدها إلا الفلاسفة من غير المؤمنين الإيمان الكامل الصحيح وغيرهـم من الضائعين .

٢- المعنى الـصـحـيح لفـصل الدين عن الدولـة أن الله سبـحـانـه وتعـالـى لـم يعطنا قـوانين وتشـريعات لتطبـيـقهـا على مستوى الـدولة أو أن ما أعطانا لا يصلح لـلتطبيق ولا يحـقق العدل والرحـمة والإنسانيـة فالسبب الأول تنفيه الآيات القرآنيـة الصريحة وأقـوال علماء

المسلمين المتخصصين في هذا المجال وأيضا مطالبة العلمانيين بفصل الدين عن الدولة أي هذا اعتراف منهم أن له علاقة بالدولة أما السبب الثاني فهو اتهام صريح لله سبحانه وتعالى بالجهل والظلم تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وهذا كفر ما بعده كفر وهو جهل ما بعده جهل .

٣- قدمت الشيوعية العلمانية أدلة غير صحيحة لإثبات صواب الشيوعية كنظرية دارون لتنفي وجود الخالق وتثبت أن الحياة مادة فهي حاولت أن تثبت من خلال «أدلة عقلية» صوابها أما الرأسمالية العلمانية فلم تقدم أي دليل على صوابها أبدا فهي لا تستند في «الإيمان بفصل الدين عن الدولة» بوجود الخالق أو بآية قرآنية أو بقول نبي أو حتى بعدم وجود خالق وبالتالي لا توجد أديان سماوية أو أن الخالق لم يرسل أديان أو أنبياء أو غير ذلك هي لم تستند إلى أي دليل عقلي والدليل الذي استندت إليه هو أن رجال الكنيسة في العصور الوسطى ظلموا وانحرفوا وحاربوا بعض الحقائق المادية وهذا دليل على انحراف تطبيقي للمسيحية وهذا الانحراف التطبيقي يحدث في كل الأديان السماوية والعقائد العلمانية فليس كل من يعلن إيمانه بالمبادئ دينية أو علمانية يلتزم بها فهناك المنافقون والمتعصبون والجهلاء وإذا استندوا إلى وجود أخطاء في المسيحية فهذا بحد ذاته ليس دليلاً على أن الإسلام به أخطاء وكذلك فإثبات وجود أخطاء في المسيحية لا يصلح لأن يكون دليلاً على أن السير في الاتجاه المعاكس هو الصحيح .

٤- من المداخل التي يسوق فيها البعض فصل الإسلام عن الدولة هو أنه ليس ضد الإسلام ولا يريد فصله بل هو ضد إسلام الخوارج والمتطرفين والإرهابيين والمحافظين . . . . . . لخ وهناك من يقول أي إسلام تريدون؟ لأن في الساحة أنواع كثيرة من الإسلام فهناك فرق إسلامية وهناك جماعات إسلامية وبينهم تناقض واختلاف وبالتالي فمن حق

العلمانيين التهرب من التمسك بالإسلام ومن حقهم صناعة إسلام يتناسب مع أطروحتهم العلمانية وأقول إن حقيقة العلمانيين أنهم لا يريدون الإسلام الصحيح وهم ليسوا تابعين لأي راية ترفع الإسلام بصدق سواء كانت متساهلة أو معتدلة أو متطرفة فعقائدهم ومبادئهم تنطلق مما قاله الفلاسفة وعلاقتهم حتى بالعبادات الإسلامية كالصلاة والصوم والحج والحلال والحرام معدومة أو شبه معدومة وبالتالي لا يحق لهم اتهام البعض أنهم خوارج إذا لم يكونوا هم أصحاب علي كرم الله وجهه لأن العلمانيين أشد بعدا عن الإسلام من الخوارج أو غيرهم من المسلمين أما اختلاف المسلمين فليس عذراً لأن يتركوا الإسلام ويكفروا به فالإسلام واضح وموجود في القرآن وأحاديث الرسول وعلماء الإسلام معروفون واللغة العربية معروفة ولها علماؤها أما الاختلافات بين المسلمين فكثير من اختلافاتهم اجتهادية كما أن المسلمين متفقين على مبادئ وقضايا كثيرة منها أن الإسلام دين ودولة وهم متفقون على قضايا ومبادئ أكثر من تلك التي يتفق عليها العلمانيون بل لا يوجد مبدأ واحد يتفق عليه العلمانيون فحتى وجود الله سبحانه وتعالى مختلفون حوله فما بالك بما دون ذلك فوحدة العلمانيين كبيت العنكبوت أي هي وحدة مبنية على السراب والأوهام والأحلام .

٥- استناد العلمانية إلى إثبات صواب «فصل الدين عن الدولة» بذكر إيجابيات ذلك ليس دليلاً عقليّاً حاسماً ومقبولاً فالخمر لها إيجابيات ففيها فوائد للمزارعين ومن يتاجر بها فهي أوجدت فرص عمل للملايين من البشر وتدر إيرادات مالية على بعض الدول وقد يرى فيها البعض أنها لذيذة أو تنسيه همومه ولكن مضار الخمر والميسر الكثيرة جعلت الله سبحانه وتعالى يحرمها قال تعالى : ﴿يسئلونك عن

الخمر والميسر قــل فيهما إثـم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقـون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ (٢١٩) سورة البقرة واقتنعت العلمانية الأمريكية في أوائل القرن العشرين بمضار الخمر وبأنها شر فمنعتها قانونيا ثم تراجعت عن هذا المبدأ الصحيح واعتبرت شربها جزءاً من الحرية الشخصية وذكر الإيجابيات الصحيحة والوهمية للزنا ليس دليلاً على أنه صواب وحرية شخصية فالقول أنه يؤدي إلى التمتع بالجمال وفي الغالب بلا تكاليف ولا مسئوليات أو غير ذلك ليس دليلاً على صواب الزنا لأنه يؤدي إلى خلط الأنساب والعزوف عن الزواج وتحطيم الأسرة والحب والبيئة التربوية الصحيحة للأطفال كما يؤدي إلى الغيرة والانتقام والأمراض الجنسية . . . . الخ ونعود لقضية العلمانية ونقول ذكر إيجابيات فصل الدين عن الدولة بالقول أن ذلك سيقضي على الحروب الدينية ويجعل المواطنين سواسية أمام القانون وغير ذلك فهذه ليست كلها إيجابيات حقيقية وأثبت ذلك مرارا وحتى لو كان بعضها إيجابيات حقيقية فإن السلبيات أكثر بكثير جدا فالدولة ستكون بلا حقائق علمية فكرية لا في القضايا الكبرى ولا حتى في أي جانب تشريعي فهي ستتحرك بناء على التصويت وآراء الشعب أو قوى متنفذة فيه ولن يشعر المسلمون بأن الدولة العلمانية هي دولتهم بل يؤمنون أنها دولة كافرة فلن يدافعوا عنها بل سيحاربونها لأنها تتناقض مع عقائدهم وإيمانهم فالسلبيات كثيرة ووزن الإيجابيات والسلبيات ثم ترجيح كفة على أخرى أمر تختلف فيه العقول وهو ليس الأسلوب الصحيح لمعرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ وهو أسلوب الفلاسفة والعلمانيين ولهذا كانوا أكثر الناس كلاما ونقاشا وجدلا بيزنطيا والخلاف بين الفلاسفة

والعلمانيين أن الفلاسفة تركوا اختلافاتهم بدون حسم بينهم أي بدون وصول للنتائج النهائية في حين أن العلمانيين الغربيين حسموها على مستوى الدولة بالتصويت وليس بالعقل وتركوها على المستوى الشخصي بدون حسم حتى يومنا هذا والنتائج النهائية على مستوى الفرد والدولة هي نتائج ظنية وليست يقينية ولهذا يعتبرون العقائد والمبادئ والتشريعات آراء وليست حقائق وأقوالاً وأكرر ذكر الإيجابيات والسلبيات ليس دليلا علميا على صواب العلمانية أو الدين أو غير ذلك بل علينا أن نبحث عن الأدلة العلمية فإذا أثبتنا أن وجود الله سبحانه وتعالى حقيقة علمية وإذا أثبتنا صدق محمد ﷺ بأدلة علمية فإن أمر العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية قد حسم ولا يوجد طريق آخر للوصول للحقائق الفكرية الكبرى ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

المنهج الأمريكي لتعليم الإسلام

رغبة أمريكا في تغيير تدريس المناهج الإسلامية في الدول الإسلامية موضوع بحاجة الى مناقشته بصورة هادئة وعميقة وأرى أن الموضوع بحاجة لأن يعالج من عدة زوايا منها :

١ - وجود التطرف وعلى مدى التاريخ هو حالة طبيعية في كل العقائد والأفكار الدينية والعلمانية ففي كل فكر هناك معتدلون ومتساهلون ومتطرفون فقد وجد تطرف شيوعي كما شاهدنا في روسيا والصين وألبانيا واليمن الجنوبي وتطرف عرقي في ألمانيا النازية وإيطاليا موسيليني وجنوب أفريقيا ووجد تطرف رأسمالي علماني في أوروبا تجسد في استعمار دول في أسيا وأفريقيا لمدة ثلاثة قرون والتطرف ظاهرة موجودة وستبقى ولا يمكن القضاء عليها نهائيا ولا يوجد عاقل يعارض تعليم الأديان السماوية وتعليم حقوق العمال وفوائد القطاع الخاص أو حب الوطن أو غير ذلك حتى لو تطرف بعض الطلاب وتحولوا إلى شيوعيين لاقتناعهم المتطرف بحقوق العمال أو تحولوا إلى عنصريين لفهمهم الخاطئ لحب الوطن وبالتالي فالمناهج الإسلامية يجب أن تبقى حتى لو تخرج منها من يفهم الإسلام بصورة خاطئة وفي تاريخنا الإسلامي ظهر الخوارج وكانوا متطرفين إلى درجة أنهم يتهمون الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بأنه لا يلتزم بالإسلام وهؤلاء سببوا فتنة عظيمة ، وللخوارج امتدادات في عصرنا هذا وهم يتهمون الملتزمين بالإسلام ممن لا يؤيدون فهمهم للدين بالنفاق والجبن والانحراف عن الدين وموقفهم من أنظمة الحكم في الدول الإسلامية موقف عدائي حتى من يلتزم منهم بالإسلام .

٢ - من العدل والموضوعية أن نفرق بين الفكر المعتدل والفكر المتطرف لأنهما فكران

مختلفان حتى لو استخدما نفس الأهداف والشعارات ووجد بينهما تشابه كبير لأن المشكلة هي في الاختلاف بينهما . والفكر الإسلامي المعتدل هو الخير والنور والعلم والعدل والحرية أما المتطرف فهو شر وكارثة ويضر المسلمين أكثر مما يضر غيرهم ويجب أن يحاربه المسلمون قبل غيرهم ومحاربة التطرف الإسلامي أو أي فكر متطرف هو بتعليم الإسلام بصورته الصحيحة لأن الاعتدال هو منهج الله سبحانه وتعالى والأنبياء قال تعالى : ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ «١٤٣» سورة البقرة وما خالفه تطرف وانحراف فتعليم الإسلام بطريقة صحيحة فيه خير لنا وللعالم بما فيه أمريكا وإذا كان الأنبياء لم يأتوا بالفكر المعتدل فلا أحد عنده هذا الفكر . لتتذكر أمريكا أنه لا يوجد في المتطرفين إلاّ نادراً من هو خريج الكليات والجامعات الإسلامية .

٣- لا يوجد اختلاف على أن الأغلبية الساحقة من الذين يتعلمون الإسلام يكونون معتدلين في أفكارهم وعقائدهم فالمتطرفون لا يشكلون حتى ١ ٪ ممن درسوا المناهج الإسلامية وقد شاهدنا حتى علماء أفغانستان وفي ظل حكم طالبان يستنكرون هجمات ١١ سبتمبر ويعطون توصية بإخراج أسامة بن لادن من أفغانستان ولكن أعداد المتطرفين قد تزيد كثيرا إذا حدث تعليم الإسلام بطريقة أمريكية لأن الشباب سيبحث عن الإسلام في أماكن أخرى وسيشرح لهم بصورة سرية وسيكون فيها بالتأكيد تطرف من البعض وهذا سيؤدي إلى زيادة نسبة التطرف عن المعدلات الطبيعية والعلانية من أشد أعداء التطرف والسرية هي البيئة التي يعيش فيها لأنه يسمع فيها من طرف واحد .

٤ - هل من الممكن تغيير تعليم المناهج الإسلامية؟ الجواب نعم إلا أن الذي لن يتغير بالتأكيد هو أن فهمنا للإسلام الصحيح سيبقى كما هو لأن المصادر الأخرى للتعليم

متوفرة فالقرآن الكريم موجود في كل بيت مسلم وهناك أكثر من نصف مليون مسجد وعشرات الملايين من الكتب الإسلامية وعشرات الآلاف من العلماء والخطباء وعشرات الملايين من المتدينين ولا يمكن تجفيف هذه المنابع بكل أموال أمريكا وقوتها فلتتواضع أمريكا كثيرا و لتقتنع بأن العقائد هي شئ داخل النفوس والعقول ولا يمكن تغيرها بالقوة والمال فهذه منطقة حرة وستبقى حرة .

٥ - إذا كانت المناهج الأمريكية الإسلامية المستهدفة تريد أن يتعلم المسلمون أن لا فرق بين المسلم والكافر وبين الإسلام والعلمانية وبين العفاف والفسق وبين الإيمان والإلحاد وبين الكعبة والبيت الأبيض وبين أبو بكر وأبو جهل وبين الجهاد والاستسلام . . . . الخ فالسؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكن إقناع المسلمين بذلك تعليميا خاصة وأن ثقة المسلمين بأنفسهم وتاريخهم وعقائدهم كبيرة جداً؟ ولا أستغرب أن المناهج الأمريكية ستجعلهم يبتسمون ويضحكون ولن يعتبروها مادة علمية . فالاختلاف الفكري والتصادم العقائدي بين الإسلام والعلمانية كبير ولا يوجد فيه حل وسط ولا يمكن تغييره ولكن يمكن تقليل مساحة العداء لأمريكا بتقليل استفزاز أمريكا للمسلمين فكريا وسياسيا ويخطئ من يعتقد أن المسلمين ضعفاء فكريا واجتماعيا وأنه يمكن تغيير فكرهم وإيجاد حركة «إصلاحية فكرية» من داخل البيت الإسلامي أو من خارجه كما حدث مع المسيحية في البروتستينية فالفكر الإسلامي واضح الأسس والمبادئ ولا مجال للتلاعب فيه . فالمسلمون ليسوا سطحيين أو يتبعون الخرافات أولا يحتكمون الى العقل في مبادئهم بل هم أساتذة العلم الفكري .

٦- نعلم أن جزءاً من سيادة أي دولة اختيار مناهج التعليم فيها ونعلم أن الحرية فطرة في النفوس وأن أي شعب حي يرفض التدخل في شؤونه السياسية والاقتصادية

والتعليمية . . . . . . الخ فأمريكا بحاجة إلى الاعتداء على سيادة أربعين دولة حتى تستطيع فرض التعليم الأمريكي للإسلام وهل ستقبل شعوب هذه الدول الاستسلام للتدخل الأمريكي والتنازل عن سيادتها وحريتها الفكرية والسياسية والوطنية وكيف ستقابل أمريكا المقاومة الشعبية؟ والنتيجة النهائية ستكون هي أن أعداء أمريكا سيصبحون أكثر عددا وقوة وانتشارا . . . . . ولتتذكر أمريكا أن عداءها ومطاردتها لأسامة بن لادن جعله يوجه لها ضربة كبيرة فهل هي قادرة على معاداة أكثر من ألف مليون مسلم؟

٧- أقترح على أمريكا حتى تنشر الحب والسلام في العالم أن تبدأ في تغيير عقائدها العلمانية لأنها تتهم الأديان وأصحابها بأنهم متخلفون وظلاميون ورجعيون فتزرع الكراهية بين البشر ولان العلمانية في اعتقادنا كمسلمين كفر وزندقة وفكر شيطاني وعليها كذلك أن تغير مناهج النقد العلماني لأنها تثير فتنا كثيرة باتهاماتها الباطلة .

٨- من الإنصاف أن نقول أن المتطرفين إسلاميا هم أصحاب نوايا صادقة وأن كثيراً منهم على استعداد في سبيل ما يؤمن به من مبادئ للتضحية بأرواحهم وعلى المسلمين والعالم أن يستفيد من إخلاصهم في زمن كثر فيه أصحاب المصالح والشهوات من مال ومناصب وفسق والمطلوب هو فتح حوار علمي وهادئ معهم يقوده علماء المسلمين الواعين المخلصين وسيقتنع كثير من المتطرفين إن شاء الله بأن تطرفهم مخالف للإسلام .

٩- من السذاجة أن تقتنع أمريكا أن الإرهاب هو القضية رقم واحد في العالم فهذه ردة فعل انفعالية لأحداث ١١ سبتمبر فالإرهاب لا يشكل حتى أحد الأولويات العالمية والتطرف في التعامل مع الإرهاب هو إرهاب بحد ذاته وتطرف يجب أن يوضع حد له وتطرف

أمريكا جعلها تضحي ببعض مبادئها وبحقوق الإنسان مما جعلها تضر نفسها أكثر مما ضرها ابن لادن فمعالجة الإرهاب تحتاج الى الحكمة التي لا أظن أنها موجودة في أمريكا لأننا نسمعها تهدد عدة دول وتنظيمات بالحرب فمن حقها أن تعاقب من يعتدي عليها لا أن تعادي دين من يعتدي عليها وشعوبهم وأمتهم . ومن الخطأ أن تعتقد أمريكا أن قوتها العسكرية والاقتصادية قادرة على تحقيق ما تريد وإذا كانت أمريكا جادة فعلا في محاربة الإرهاب فعليها أن تتساءل لماذا أصبحت هي المستهدفة باعتداءات ١١ سبتمبر هل حدث ذلك بسبب عدلها ومواقفها النبيلة أم لأنها كثيرا ما وقفت ضد حريات الشعوب وحقوقها كمواقفها المؤيدة لإسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وغير ذلك كثير . أما إذا كانت أمريكا تستغل مكافحة الإرهاب لتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية لها فتستنزف هذه الدولة وتهدد تلك وهذا أمر أخر .

١٠ - العلمانية قائمة على فصل الدين عن الدولة وعلى رفض تدخل الدين في شئون الدولة والعلمانية الأمريكية الجديدة تريد التدخل في شئون الدين وهي تتدخل في الحريات البدهية للآخرين وهذا يتناقض مع مبادئها «المعلنة» في الحرية ولا أدري كيف «ستفرض أو تقنع» أمريكا أهل الاختصاص هل بالتهديد أو القصف الجوي للاجتماعات التعليمية حتى يوافقوا على المناهج الأمريكية بلا قيد أو شرط .

١١ - يجب أن تعرف أمريكا أن أغلب مناهج التعليم الإسلامي في الوطن العربي والإسلامي لا تدرس الإسلام بطريقة جهادية أو عنيفة أو ثورية أو تصادمية فما تريده أمريكا تم عمله ولكنه لم يؤد الى القضاء على الإرهاب بل زاده وأنها بالنسبة للأغلبية الساحقة من المسلمين ليست المرجع الأساس لتعلم الإسلام وأن هذا الوضع هو السائد منذ نصف قرن على الأقل .

كيف نتعامل مع العلمانيين؟

اقتنع بالعلمانية أعداد هائلة من البشر فأمريكا علمانية وكذلك أوربا والصين وروسيا والهند وغيرهم وبالتالي فالعلمانية وباء أصاب عقولاً كثيرة بأمراض الفلاسفة من ضياع وتناقض وجهل وجدل وحيرة وهذا وضع يتطلب من المسلمين حشد كثير من طاقاتهم في مكافحة هذا الوباء وتقليل ضحاياه وأهم وسيلة لتحقيق ذلك هو تأهيل أعداد كبيرة من المسلمين بتعليمهم كيف يثبتوا للبشر فساد العلمانية وفشلها وصحيح أنه عندنا علم القرآن والسنة وعلماء مسلمون إلا أن الصحيح أن كثيراً من المسلمين بل حتى دعاتهم وعلماؤهم غير مؤهلين لمناقشة العلمانية بعمق وشمولية بدليل أن كثيراً من الكتب التي تم تأليفها من مسلمين ليست شاملة وليست عميقة هذا إن لم تكن فيها أخطاء وقدرتها على إقناع العلمانيين محدودة . وبداية نقول أن منهجنا الإسلامي هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة واللين فنحن نريد الخير للبشر ونريد الحوار العلمي الذي ليس فيه تجريح أو إرهاب فكري أو عناد أو جدل وما نقوله لا يتعارض مع الصراحة والوضوح وتسمية الأشياء بأسمائها فالباطل باطل والخطأ خطأ والجهل جهل وتعالوا لنقسم العلمانيين إلى فئتين :-

أ- **العلمانيون من غير المسلمين** : هؤلاء بحاجة إلى جهود هائلة تبين لهم خطأ العلمانية وصواب الإسلام ومن واجب المسلمين علماء وغير علماء تفنيد العلمانية من خلال الصحافة والتلفزيون والإنترنت والمقابلات الشخصية ويمكن أن يكون للمثقفين المسلمين وخاصة من يتقن منهم اللغة الإنجليزية دورا كبيرا وليس بالضرورة أن يكون المسلم عالما حتى يدعو لله بل بإمكانه أن يقرأ عدة كتب متميزة في العلمانية ليكون

قادرا على تفنيد العلمانية ونحتاج أعداداً كثيرة من المسلمين لهذه المهمة من خلال دورات تدريبية عالية المستوى ومن خلال تدريس كتب عن العلمانية ومما أقترحه في التعامل مع العلمانيين من غير المسلمين ما يلي :-

١- من أكبر الأخطاء التي يرتكبها المسلمون هو تركيز جهودهم على الدفاع عن الإسلام لا على الهجوم على العلمانية وما دام أن الشبهات والاتهامات التي يثيرها العلمانيون كثيرة فإن المدافعين لن يخرجوا من خنادقهم ولن يحققوا نصرا على العلمانيين ولكن إذا استخدموا أسلوب الهجوم فقد اختصروا الطريق كثيرا خاصة إذا ركزوا جهودهم على الأسس التي تنطلق منها العلمانية وأثبتوا أنها مناقضة للعلم والعقل ومن الضروري أن نبتعد كثيرا عن النقاش في الفروع والجزئيات فالفائدة محدودة من مقارنة الحرية في الإسلام مع الحرية في أمريكا أو مقارنة العقوبات عند الطرفين أو غير ذلك .

٢- من الضروري أن نبتعد عن النقاش في ما هي إيجابيات وسلبيات الحرية الأمريكية مقارنة بالحرية الإسلامية؟ فكل شئ له إيجابيات وسلبيات فحتى الخمر والزواج والعزوبية فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هو الدليل على صواب هذا المعنى أو ذاك للحرية؟ وهذا يتطلب مناقشة أصول المبادئ لا فروعها لأن مناقشة قضية الحرية بصورة مباشرة ستكون محدودة النتائج في الغالب فالعلمانية الشيوعية مثلا قائمة على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى فإذا ثبت أنه ليس لها أدلة عقلية علمية صحيحة فكل البنيان الشيوعي ينهار بما فيه الحرية الشيوعية ويجب على المؤمنين بوجود الله أن يعطوا أدلتهم بصورة صحيحة وواضحة أما العلمانية الرأسمالية فهي قائمة على أن هناك اقتناعات

خاطئة في الدين المسيحي وهذا بحد ذاته ليس دليلاً على صواب العلمانية الرأسمالية أي السير في الاتجاه المعاكس للدين فهي لم تثبت بالأدلة العلمية أن العلمانية الرأسمالية هي الصحيحة ولم تثبت كذلك أن هناك اقتناعات خاطئة في الإسلام .

٣ - يتطلب النقاش مع العلمانيين والمتأثرين ساعات طويلة بل أحيانا أياماً لأنه نقاش لمواضيع كثيرة تتعلق بالأديان السماوية والعقل والعلم والفلسفة والسياسة والواقع والتاريخ . . . . .الخ لهذا نحتاج كثيراً جدا من اللقاءات والمؤتمرات والندوات والبرامج التلفزيونية والكتب المتميزة حتى نضع النقاط على الحروف وإذا أضفنا لذلك وخاصة مع العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية من العرب ظلمات من المعلومات الخاطئة والأخبار الكاذبة والاتهامات الباطلة من أعداء المسلمين التي صبغت واقعنا وتاريخنا وعلماءنا وحكوماتنا وقوانا السياسية . . . . . الخ باللون الأسود وبالتالي فالحوار مع هؤلاء يتطلب كثيراً من الوعي والمعرفة والحكمة والصبر واللين والحلم .

٤ - من أهم نقاط قوة العلمانيين أنهم يعيشون في عالم من تشويه الآخرين بالاتهامات ويعيشون في عالم من الشعارات والآمال والوعود فهم أهل جدل لا علم وأهل كلام لا أفعال وبالتالي فإجبارهم على توضيح ملامحهم الفكرية وبرامجهم السياسية سيؤدي إلى بيان جهلهم وعجزهم كما أن الضغط عليهم لتحديد مبادئهم وموقفهم من المبادئ والأحداث سيثبت للناس اختلافهم وجهلهم وتناقضهم .

ب- **العلمانيون المسلمون** : إذا كان المسلمون الملتزمون ليسوا صفا واحدا بل ألوان من العقائد والاجتهادات والآراء السياسية والتي بعضها يضر الإسلام والمسلمين بتطرفها أو جهلها أو بتركيزها على بعض جوانب الإسلام فإن الغالبية العظمى منهم معتدلون في إسلامهم وجسدا واحدا يشد بعضه بعضا أما العلمانيون المسلمون

في عالمنا العربي فليسوا صفا واحدا بل التناقضات بينهم جذرية ويمكن تصنيفهم إلى ما يلي :-

١- **الليبراليون المسلمون** :وهم مسلمون مقتنعون بأن هناك إيجابيات كبيرة في النظام الأمريكي والأوربي وخاصة ما يتعلق فيهما بالديمقراطية وحرية الرأي السياسية وتطبيق القانون على الجميع والليبراليون المسلمون مؤمنون بالإسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة وكافرون بالعلمانية (فصل الدين عن الدولة) ويرفضون الضياع العقائدي والفساد الأخلاقي والتفكك الاجتماعي في الدول الغربية ومطلوب من هؤلاء أن تكون مواقفهم واضحة ومعلنة حتى لا تستغلهم الفئات الليبرالية الأخرى ولهذا يجب أن يكون صوتهم عاليا لأنهم الأغلبية في اعتقادي .

٢ - **الليبراليون الضائعون** : وهؤلاء الليبراليون ليس لديهم فهم صحيح للإسلام أو العلمانية أو كليهما فلا يرون أن هناك تعارضاً بين الإسلام والعلمانية وهم يريدون أن يكونوا مسلمين علمانيين ويعتبرون العلمانية هي الأسلوب العلمي أو العلمية أو التقدم التكنولوجي أو الديمقراطية أو حرية الرأي أو كل ذلك أو بعض ذلك وهم يظنون أن فصل الدين عن السياسة قضية لا تتعارض مع الإسلام بل تحمي الإسلام .

٣- **الليبراليون الفاسدون** : وهم أفراد ليسوا ليبراليين على الحقيقة بمعنى أنه لا يهمهم من الليبرالية الديمقراطية والدفاع عن الحريات بل يهمهم منها أنها المظلة التي يستطيعون من خلالها فتح الأبواب للفساد الأخلاقي أو المالي أو تطبيق اقتناعاتهم العنصرية أو تسويق أطروحتهم السياسية المعارضة لمصالح الوطن والأمة العقائدية أو السياسية أو الاقتصادية وهؤلاء يفتقدون الغطاء الفكري المقبول لمبادئهم ولا يجدون في الساحة الفكرية والسياسية إلا المظلة الليبرالية ليستظلوا بها والغريب أن الليبراليين الصادقين لا

يعارضون هؤلاء مع علمهم بعنصريتهم أو انحرافاتهم الأخلاقية وذلك لاقتناعهم أنهم أقرب لهم من الإسلاميين في حين أن التحالف مع الفاسدين خسارة فكرية وسياسية كبيرة لأن نواياهم فاسدة .

٤- **الليبراليون العلمانيون** : وهؤلاء الليبراليون هم بالاسم مسلمون ولكن حقيقتهم أنهم منافقون يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر فهم يعلمون أن هناك تناقضاً بين الإسلام والعلمانية وهم لا يؤمنون بأن الإسلام الدين الحق وفي نفس الوقت لا يعلنون صراحة كفرهم بالإسلام وإيمانهم بالعلمانية وعداؤهم لا يقتصر على الجماعات الإسلامية بل يشمل الدين فهم يحاربونه بكل أسلوب مع ادعائهم الإيمان به فعقائد الإسلام محل تشكيك وأحكامه يتهمونها بالتطرف أو المثالية ويوجهون اتهاماتهم لعلماء الإسلام ويعادون العمل الخيري ويتحالفون مع أعداء الأمة فهم طابور خامس لا يترددون في ممارسة الخيانة العقائدية والسياسية وهؤلاء لا يحاولون أن يخدعوا الشعوب فقط بل أيضا يحاولون أن يخدعوا الفئات الأخرى من الليبراليين فلا يكشفون كراهيتهم للإسلام إلا لمن يثقون فيهم وهم يحاولون أن يستغلوا ما لديهم من إيجابيات وطنية أو شخصية لإقناع الناس بوطنيتهم وإخلاصهم ولا شك أن من ليس مخلصاً للإسلام هو أكبر أعداء الأمة وحدث أكثر من مرة أن استغل هؤلاء جهل الناس بهم وأعلنوا بعد أن وصلوا للحكم علمانيتهم وعادوا الإسلام والمسلمين كما فعل مصطفى كمال في تركيا فهؤلاء لا تنكشف حقيقتهم إلا بعد أن يشعروا بأنهم أقوياء بمناصبهم أو تحالف مع أعداء الأمة .

إذا كانت هذه الفئات الرئيسة لليبراليين فإن التعامل معهم يجب أن يكون مختلفاً فالليبراليون المسلمون جزء لا يتجزأ من المسلمين وهم لديهم وعي فكري وثقافة عالمية

ولهم دور كبير في تطوير واقع الأمة السياسي إن شاء الله إذا تحالفوا مع علماء الإسلام والقواعد الشعبية ومطلوب منهم أن يكونوا أول وأكبر أعداء الليبراليين العلمانيين أما الليبراليون الضائعون فمشكلتهم الجهل وهم بحاجة لمن يحاورهم ويناقشهم أما الليبراليون الفاسدون فهم كغيرهم من المنافقين ممن يرفعون شعارات إسلامية أو وطنية أو يعلنون انتماءهم لنظام حكم أو حزب أو جماعة أو غير ذلك وهؤلاء مطلوب نصحهم وكذلك معاقبتهم وفضح فسادهم وإحراجهم ورفض أن يكون لهم دور فكري أو سياسي أما الليبراليون العلمانيون فهم منبع الشر والفتن واليأس والاختلافات والاتهامات والتشويه والنفاق والخيانة فلا بد من محاربتهم بكل الوسائل حتى تكون التكلفة الفكرية والسياسية والاجتماعية والشخصية عليهم غالية جدا .

الديمقراطية أو العلمانية

كتب الأخ عبد اللطيف الدعيج مقالاً في «القبس» بتاريخ ٢٠ يوليو ٢٠٠٤ بعنوان «مرحباً بمن صبأ (٢)» . قال فيه «أما عن احتكار الديمقراطية فهي فعلاً محتكرة على العلمانيين والليبراليين ، ولا لبس في هذا ولا مواربة . . نعم ، حتى الآن الديمقراطية يجب أن تبقى محتكرة على العلمانيين والليبراليين ، وهذا الذي اسعى شخصياً إليه ، ولكن أبوابها مشرعة لكل من يؤمن عن حق بالتعددية وباحترام حق الآخر في الوجود والتعبير» .

وقال في مقال آخر بعنوان «مرحباً بمن صبأ(٣)» «ولكن ليس من حق الحركة الدستورية ولا غيرها أن تسن قانوناً يفرض على الآخرين ، وفي أماكنهم الخاصة اتباع أخلاق ومعتقدات أو طرق إيمان أو تدين الحركة . . هذا ما نختلف عليه ، وهذا ما نحظر بسببه على الحركة الدستورية الإسلامية وبقية حركات التعصب الديني أمر دخول النادي . الإيمان بالتعددية وبحق الاختلاف هو الشرط الأساسي لدخول النادي الديمقراطي» ، وقال «لا تزال الحركة تمارس الفكر الشمولي ، ولا يزال ممثلوها في البرلمان يخضعون الغير إلى منطق الأمس وعقليته» . وأقول يجب أن نشكر الأخ عبد اللطيف على صراحته ووضوحه لأن هذا من الأساسيات المطلوبة لأي حوار علمي . . وتعليقي على ما قاله الأخ عبد اللطيف هو في النقاط التالية :

١ - تعني الديمقراطية قضيتين رئيستين هما الحكم للأغلبية ، ومن حق الأقلية إبداء الرأي وحرية التعبير . . .الخ . فهذا هو جوهر الديمقراطية وهي قريبة جداً مما يسمى في الإسلام بالشورى الملزمة ، ودرجة التشابه بينهما تصل إلى ٩٠٪ إن لم يكن أكثر ، ولا

توجد عندنا كمسلمين مشكلة مع الديمقراطية ، بل أذهب إلى القول أن الشورى الملزمة أكثر فائدة وتطوراً من الديمقراطية الغربية ، لأنها تدعو إلى اقتصار الشورى على أهل العلم والإخلاص ، فإذا اقتصرت الانتخابات مثلاً على ٢٥٪ من الناخبين الأكثر وعياً وعلماً وإخلاصاً ، فلا شك أن النتائج ستكون أفضل من مشاركة الجميع ، بمن فيهم غير الواعين وغير المخلصين ، بشرط أن يمثل هؤلاء ٢٥٪ الطيف الشعبي باقتناعاته وأعراقه بصورة تتناسب مع قوتهم الشعبية .

٢- قال بعض علمائنا أن الشورى ملزمة للحاكم وقال أخرون أنها غير ملزمة وأنا أرى أن الأدلة التي ذكرها من يرون أن الشورى ملزمة أقوى ، والشورى على كل حال جزء من الإسلام ، وواجبنا أن نسعى إلى تطويرها وتقنينها والالتزام بها ، فهذه إحدى نقاط ضعف المسلمين الرئيسة في عصرنا هذا . أما الديمقراطية فهي ليست جزءاً من العلمانية ، فالعلمانية تعني فصل الدين عن الدولة لا الديمقراطية ، وهذا الفصل قد يؤدي إلى الديمقراطية أو حكم الفرد أو حكم الحزب الواحد أو العرق الواحد أو الطبقة الواحدة . والدول الغربية هي دول علمانية ديمقراطية . ويقول الأخ عبد اللطيف لن تكونوا ديمقراطيين حتى تكونوا علمانيين أولاً ، وهذا ليس بصحيح فبإمكاننا أن نوجد دولاً إسلامية ديموقراطية كماليزيا واليمن ، أي نوجد دولاً تلتزم بالإسلام ، الذي يكون الالتزام برأي الأغلبية في القضايا الاجتهادية من سياسية واقتصادية وتشريعية جزءاً منه ، وهذه القضايا مجالها واسع جداً . . الخلاف الفكري إذا ليس مع الديمقراطية ، بل مع العلمانية التي كانت تختبئ خلف الديمقراطية وحرية الرأي ، فحقيقة الاختلاف هي بين الإسلام والعلمانية ، فالعلمانيون والمتأثرون بالعلمانية لبسوا عن علم وبعضهم عن

جهل أقنعة الديموقراطية والعقل والعلم والحرية ، فظن الناس أن هذه القضايا التي يختلفون فيها مع الاتجاه الإسلامي والمسلمين ، في حين أن المشكلة الحقيقية هي - كما قال الأخ عبد اللطيف - في «منطق الأمس وعقليته» . وأقول اقتناعات العلمانيين وما فيها من كفر وشرك هي امتداد لأقوال فلاسفة قدماء وعقلية الأمس ، فلا جديد في المبادئ الفكرية فالحق قديم ، وكذلك الباطل والعلمانية هي امتداد للفلسفة ومفكرو العلمانيين هم الفلاسفة سواء كانت علمانية رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية أو انتقائية أو غير ذلك ، فالجوهر واحد ، وهو الاعتماد على العقل المجرد الرافض للدين سواء كان ديناً صحيحاً أو خاطئاً ومساحة الرفض (اللادينية) تتسع وتضيق من علمانية إلى أخرى ومن علماني إلى آخر .

٣- أهم أساس في الديموقراطية هو الحكم لأغلبية الشعب . . والأخ عبد اللطيف يقول الديموقراطية محتكرة على العلمانيين والليبراليين ، ولكن سيقبل بفتحها إذا اقتنعنا بمفاهيمه العلمانية بالتعددية وباحترام حق الآخر في الوجود والتعبير ، وأقول أي ديموقراطية ستكون موجودة في الوطن العربي ، وأعداد العلمانيين لا تصل إلى واحد في المائة من شعوبنا ، إنهم حتى أقل مما يمكن أن نطلق عليه كلمة أقلية ولا أدري من هو الذي أعطي الأخ عبد اللطيف «وكالة الديموقراطية» حتى يدخل من يشاء فيها ويخرج من يشاء . وبالتأكيد أن الأنظمة الاستبدادية في العالم تطبق حالياً ديموقراطية أكبر حجماً من الديموقراطية ، التي سيطبقها الأخ عبد اللطيف لو حكم ، بل إن هذه الأنظمة أكثر حرية وأرحم ، لأنها يهمها السيطرة على المصالح المادية والمناصب في حين أن الأخ عبد اللطيف يريد أن يسيطر على عقول وعقائد الناس قبل أن يسمح لهم بممارسة

الديموقراطية ، فالبعض يؤمن بالديمقراطية إذا كانت ستحقق مصالحه ، وإلا فهي مرفوضة والدكتاتورية أحسن منها . أما الأخ عبد اللطيف فهو يريد أكثر من ذلك بكثير وهو أن لا يدخل النادي الديمقراطي إلا من أعلن أنه علماني ، وبالتالي سيضمن أن أراءه علمانية لا أنه يؤمن بالديمقراطية . والطريف أنه من أشد الرافضين إلى إقصاء الآخر ، فهو يرفض إقصاء الأقلية والفرد ومع هذا يدعو صراحة إلى إقصاء الأكثرية ما دامت ليست علمانية . وليتذكر الأخ عبد اللطيف أن أي ديمقراطية حقيقية في الوطن العربي سيكون فيها المسلمون الأكثرية ، ولهذا أنصحه بألا يحفر قبره بيديه بالدعوة إلى الديمقراطية .

٤ – العلمانيون هم أكثر الناس هرباً من الحقائق الفكرية ، بل قالوا لا توجد حقائق فكرية إنما توجد أراء ، فهم أعداء العلم والحق وهم يؤمنون أن العقل عاجز عن الوصول إلى هذه الحقائق ، ولهذا يلجأون إلى الديمقراطية والتصويت في كل قضاياهم ولا يلجاؤن إلى العقل . فالعقل العلماني عجز عن معرفة الحق من الباطل في القضايا العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والسياسية . فقالوا عن القضايا العقائدية قضايا غيبية وفلسفية لا نتدخل فيها ، فليعتقد الإنسان العلماني ما شاء فيها . أما القضايا الشخصية فقالوا تدخل في الحرية الشخصية ، فالفضيلة حرية شخصية والرذيلة مقبولة لأنها حرية شخصية . أما القضايا التشريعية من سياسية واجتماعية واقتصادية فيحتكمون فيها للتصويت لعجز العقل العلماني عن إثبات الحق من الباطل فيها بالأدلة العقلية . فالواجبات الزوجية وحدود الحرية الشخصية والعقوبات . . .إلخ يتم تحديد الحق من الباطل بالتصويت لا العقل ، فالعلمانية لا تحتكم أبداً للعقل ، بل للتصويت

في النظم الديمقراطية أو لرأي الحاكم أو رأي الوزارة أو رأي الفرد إذا كانت القضية شخصية . أما العقل المسلم فلا يلجأ إلى التصويت في كثير من القضايا لأنه يعرف الحق من الباطل فيها ، من خلال آية قرآنية أو حديث نبوي ، ولم يعلن العقل العلماني أبداً موقفاً مؤيداً للإيمان بالله أو موقف المؤيد والمقتنع بالفضيلة وبخطأ الفساد الأخلاقي ، فهذه الأمور الواضحة عقلياً لا يؤيدها ، فالإيمان والكفر عنده متساويان ، ويقف منهما على الحياد ، وكذلك يساوي بين الفضيلة والرذيلة وهذا ما جعل بعض المسلمين يرفضون الديموقراطية لأنهم ظنوا أنها تشجع الفساد الأخلاقي والإلحاد ، في حين أن هذا التلوث سببه العلمانية لا الديموقراطية لأن ضياعها جعلها تحول للديموقراطية قضايا مرفوضة عقائدياً وأخلاقياً . وأقول باختصار العلمانية شيء والديموقراطية شيء آخر .

٥- عندما تكون هناك ديموقراطية ستكون هناك تعددية في الأحزاب والأفراد والصحف والآراء ، فالفكر الإسلامي يتسع لكل المسلمين و٩٥٪ من شعوبنا مسلمون ، وسيكون الحكم من نصيب الأكثر شعبية بين المسلمين . أما العلمانية فهي كفر وشرك بنصوص القرآن الكريم ، وبالتالي فالمسلمون يرفضونها وأي استفتاء حر سيثبت ذلك ، فالمسلم يعلم أنه لا يمكن أن يكون علمانياً ، فتعدديتنا لا تتسع للإلحاد والكفر . وعدم تمسك كثير من العرب بالإسلام ليس راجعاً لاقتناعهم بالعلمانية أو لكفرهم بالإسلام ، بل هو نتيجة جهل بالإسلام ونتيجة عصبيات عرقية ومصالح وشهوات ، فمن الخطأ أن يظن العلمانيون أن الانحرافات عن الإسلام مؤشرات للاقتناع بالفكر العلماني . فالقرن العشرون كان قرن ضعف وجهل واستعمار وضياع عقائدي ، والحاضر والمستقبل غير الماضي القريب فالوعي الإسلامي ازداد كثيراً والصحوة الإسلامية في كل مكان ، ولن

يوقفها العلمانيون ومن ورائهم أمريكا وأوروبا ، وكذلك لن يوقفها المتطرفون من المسلمين وثقتنا بالله سبحانه وتعالى ثم بمبادئنا الإسلامية وبأمتنا وتاريخنا وعقولنا وقوانا الشعبية كبيرة جداً ، وهذا ليس كلاماً حماسياً بل هو واقع ، وهذا لا يعني أنه لا توجد صعوبات كبيرة أمامنا والأخ عبد اللطيف يعلم أن تأثيرنا في الواقع الكويتي مثلاً أكثر بكثير من تأثير العلمانيين والليبراليين ، علماً بأن المسلمين حتى الآن لا يخططون ولا يعملون بصورة صحيحة أو متطورة فكيف تكون النتائج لو خططوا واجتهدوا؟

٦ - لا نحتاج إلى موافقة من الأخ عبد اللطيف حتى نطبق الديموقراطية ، ولا نحتاج إلى اعترافه بنا كديموقراطيين . وبالتالي فليست عندنا مشكلة في عدم قبوله لنا ، بل هو الذي يواجه المشكلة لأننا لن نقبله والعلمانيين في نظامنا وحياتنا السياسية وأمتنا العربية لا فكرياً ولا سياسياً ، ونحن نضع الشروط لأننا نملك القوة البشرية والقوة الفكرية والثقة الكبيرة . . .إلخ ونعلم أن الأغلبية الساحقة ممن يسمون علمانيين وليبراليين ليسوا علمانيين حقيقة ، بل مسلمين يريدون الديموقراطية وحرية الرأي ولا يؤمنون بعقائد العلمانية وفسادها الأخلاقي . أما العلمانيون الحقيقيون فهم قليلون وضعفاء ومتناقضون فكرياً وسياسياً وتنظيمياً . . . فهذا رأسمالي وطني وهذا رأسمالي أمريكي ، وهذا اشتراكي والرابع شيوعي والخامس فاسق والسادس عنصري والسابع مغرور . أما البقية فهم مشغولون بأموالهم أو حياتهم الشخصية ، وأغلبيتهم ليسوا على استعداد للتضحية ليس بحياتهم ، بل حتى بمالهم ووقتهم ، وأنا لا أبالغ فيما أقول وليحدد لي الأخ عبد اللطيف من هم العلمانيون الحقيقيون في الكويت؟ ، وماذا حققوا من إنجازات وطنية خلال السنوات العشر الماضية؟ ، بل ليحدد من الذين يرون من

الشعب الكويتي أن الديمقراطية ، التي يسعون إليها يجب أن تقتصر على العلمانيين والليبراليين ، وليعتبر نتيجة ذلك مؤشراً على نجاح أو فشل الأفكار التي يدعو إليها منذ سنوات طويلة وأقول النتيجة معروفة ، وليتذكر أن لمن يخالفونه عقولاً وثقافة وعلماً وخبرات سياسية وإخلاصاً وذكاء .

٧- لا شك أن هناك غياباً كبيراً للشورى (الديمقراطية) في واقع أغلبية الدول العربية ، وهذا راجع إلى عوامل كثيرة ، منها عدم تركيز علماء المسلمين ودعاة الإسلام على الشورى وضرورة الالتزام بها ، كما أن هناك فهماً خاطئاً لموضوع الديموقراطية والشورى والأحزاب السياسية ، وبعض علماء الإسلام مشغولون بالقضايا العقائدية والاجتماعية والتربوية على حساب القضايا السياسية ، كما أن أغلب مجتمعاتنا لم تطور أنظمتها بشكل عام ، وليس السياسية فقط ، فهناك تخلف في الأنظمة الاقتصادية والإدارية والتعليمية . . . الخ والمسلمون اليوم بحاجة إلى ثورة هائلة تجعل الشورى من أهم أولوياتهم ، ليس فقط في المجال السياسي ، بل في كل المجالات الإدارية والاجتماعية والعلمية والإعلامية . . .الخ فالشورى إحدى الفرائض الغائبة .

٨ - قال الأخ عبد اللطيف أنه يرفض أن تفرض الحركات الإسلامية معتقداتها وأخلاقها على الآخرين ، وأقول نحن نطالب بالالتزام بالقرآن والسنة . أما اجتهادات الحركات الإسلامية والعلماء والحكومات ، وغير ذلك فهي تخضع في القبول أو الرفض لرأي الأغلبية . أما موضوع فرض الآراء فهو مطبق في الديموقراطيات العلمانية ، فالأغلبية تفرض قرار الحرب على الأقلية التي ترفض الحرب ويلتزم الجميع بذلك فالأغلبية بالتصويت تضع الدستور والمبادئ وتغيرها كما تشاء ، وتفرضها على الجميع ، فمجال

حركة الأغلبية الغربية كبير وأكبر بكثير من مجال حركة الأغلبية المسلمة ، وفكرنا الإسلامي شامل وواضح في جوانب كثيرة منه ، وهذا ليس خطأ أو تخلفاً ، بل يعني أننا نعرف الحق من الباطل في مواضيع كثيرة . والغريب أن العلمانيين يريدون فرض النظام العلماني على أمة الغالبية الساحقة منها مسلمون ويعارضون النظام الإسلامي ، ويعتبرون ما يفعلونه حرية وعدلاً ومنسجماً مع تقرير الشعوب لمصيرها ، بل يطالبون أميركا بفرض «الإصلاح» على الدول والشعوب العربية ، فهم يكفرون بمبادئهم من ديمقراطية وحرية رأي وقوانين الأمم المتحدة إذا كانت ستؤدي إلى خسارتهم العقائدية أو السياسية ، وهذا ما قاله الأخ عبد اللطيف لا للديمقراطية إذا لم تكن تخدم مبادئه واقتناعاته ، وهذا ما فعلته أنظمة عربية علمانية أو شبه علمانية في القرن العشرين .

لا حريـة لأعداء الحريـة

كتب الأخ علي أحمد البغلي في جريدة القبس بتاريخ ٢٣ نوفمبر٢٠٠٣ مقالا بعنوان «لا حرية لأعداء الحرية» تطرق فيه إلى مواضيع كثيرة ومما قال «هناك فرق بين الديمقراطية والنظام الليبرالي الدستوري والأخير هو فقط الضامن للحريات الأساسية» وقال «فالديمقراطية يجب أن تكون للمؤمنين بها وليس العكس» وقال «فالقاصي والداني كانا يعرفان أنه لو استتبت الأمور للحركة الأصولية الممثلة بجبهة الإنقاذ في الجزائر للإمساك بمقاليد الأمور لاستأصلت باقي الاتجاهات الأخرى الليبرالية وغيرها» وقال «هل بعد وصولهم «الأصوليون» يقبلون بتعددية الأحزاب والأفكار وحرية الصحافة؟ وهل سيطبقون على المسيحي في بلدانهم قانون أهل الذمة الإسلامي أم قوانين ومواثيق حقوق الإنسان التي صوتت عليها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨؟ وهل سيعتبرونه مواطنا أم غير مواطن؟ وهل سيقبلون بتفسير آخر للإسلام والقرآن غير تفسيرهم؟ هذه الآراء بحاجة إلى تعليق طويل سأحاول أن أختصره في النقاط التالية :-

١ - الأخ علي البغلي يريد منا أن نطبق «النظام الليبرالي الدستوري لأنه الضامن للحريات الأساسية» بكلمات أخرى يريد منا أن نقتنع ونؤمن بالتعاريف والمعاني العلمانية للحرية والمساواة وحقوق الإنسان وإلا فلن يسمح للأصوليين «الإسلاميين» بالوصول للسلطة وما أعرفه أن فرض مبادئ محددة على الشعب يتعارض مع الديمقراطية وبدهيات الحرية وإذا كان الشعب الأمريكي حدد مبادئه ودستوره وحدود حريته فلماذا يحرم ذلك على شعوبنا فإذا كانت شعوبنا لا تريد المفاهيم الليبرالية فهي حرة والأخ علي يقول ارفضوا الديمقراطية إذا كانت ستؤدي إلى وصول الأصوليين للحكم فهو يريد

استئصال الأغلبية حتى لا تقوم الأغلبية باستئصال الليبراليين أو غيرهم من الأقليات كما يظن أنه سيحدث وهو لن يحدث بالصورة التي يتوقعها لأن حجم الحرية الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام كبير جدا والأفضل لواقعنا أن نخسر «المبادئ الليبرالية» من أن نخسر الديمقراطية بل أذهب إلى أبعد من ذلك سنخسر «المبادئ الليبرالية» إذا خسرنا الديمقراطية والأمثلة كثيرة في واقعنا العربي على هذه الحالة ولعل ما حدث في الجزائر يثبت مرارة أن تتحكم الأقلية بالأكثرية ويثبت أن الحكومة الجزائرية رفضت إجراء تحقيق دولي في المذابح التي حدثت فأين الحد الأدنى من الحرية وحقوق الإنسان .

٢ - نتفق مع الأخ علي بأن الديمقراطية وحدها لا تكفي لبناء المجتمع ونقول لا بد من مبادئ أخرى ولكن لا نرى أن المبادئ الليبرالية هي التي نحتاجها لأنها أولا هي باعتراف أصحابها أراء بشرية تصيب وتخطئ وثانيا أن عندنا حقائق ونوراً وهدى متمثلة في عقائد وأخلاق وأحكام أمر بها الله سبحانه وتعالى وهي تحدد لنا الحريات الأساسية الصحيحة والمفاهيم الصحيحة للعدل والمساواة والحقوق والواجبات وما أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وما معهم من معجزات إلا ليقتنع البشر أن المبادئ التي جاء بها الرسل ستحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة فهي التي يجب أن نعض عليها بالنواجذ لا المبادئ الليبرالية .

٣ - أعتقد أن الأصوليين سيقبلون بتعددية الأحزاب والأفكار وحرية الصحافة إذا لم تخرج عن المبادئ الإسلامية فمثلا حجم حرية الصحافة الإسلامية كبير ولكنها ليست مماثلة للحرية الأمريكية التي تسمح بالمجلات الجنسية والإثارة الجنسية ولا أعتقد أن هذه الحرية هي التي يريدها العقلاء بل يريدون حرية نقد الحاكم والحكومة والقوى السياسية

والمسئولين وهذه لا تتعارض مع الإسلام بل هي جزء منه كما قال أحد الحكام المسلمين : «لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها» أما التعامل مع حقوق الإنسان أو قانون أهل الذمة الإسلامي أو التعامل مع المسيحيين فأنا اسأل الأخ علي : هل تريد منا أن نرفض ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به ونقبل ما يضعه البشر من مواثيق وقوانين حتى لو تعارضت مع ما أمرنا الله به . وأقول المسلم ليس مسموحا له أن يفعل ذلك واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وإذا كنا نريد أن نتبع العقل السليم ألا يقول هذا العقل أن الله سبحانه وتعالى هو العليم والحكيم والقوي والعزيز والجبار والرحيم والرحمن وبالتالي شريعته أرقى مما يمكن أن يصل إليه البشر بعقولهم التي ليس فيها إلا علم قليل وجهل كثيرقال تعالى : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ كما أنها عقول تتأثر بالنفوس وما فيها من إخلاص وموضوعية فما أوتي البشر كلهم من آدم عليه السلام إلى آخر رجل هو علم قليل لم نعرفه لو لم يهدنا الله إليه ويقول العقل السليم أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يهلكنا في أقل من ثانية أليس من العقلانية أن نطيعه ونعبده كما يأمرنا ولا يقتصر معنى العبادة على الصلاة والصوم لأن العبادة هي الإيمان والاعتقاد بصفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه واتباع شريعته فعقائد الإسلام وأحكامه ليست من اختراع علماء الإسلام أو الأنبياء بل هي ما أمرنا الله سبحانه وتعالى قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾(٣٣) سورة الأنعام فالتفريق بين المسلم والمسيحي جزء من دين الله سبحانه وتعالى و وصف المسيحيين واليهود بأهل الذمة جزء من الإسلام واتباع شريعة الإسلام والكفر بما يعارضها أمر لا يختلف عليه المسلمون فهذه ليست اجتهادات يمكن أن نقبلها أو نرفضها وما نقوله لا يتعارض مع

درجة عالية جدا من المساواة بين المسلمين وغيرهم في كثير من الأمور فالمساواة المطلقة ليست هي المساواة الصحيحة أما أن نقول فرعون كموسى وأبو جهل كمحمد ولا وزن للعقائد والأديان ونقول لا فرق بين شريعة الله وشرائع الكفر فهذا ليس ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى أو فعله الأنبياء أو اتبعه المؤمنون .

٤ - قال الأخ علي «وهل سيقبلون تفسيراً للإسلام والقرآن غير تفسيرهم» وأجاب بالنفي على ذلك وأقول نعم لن نقبل تفسيراً غير تفسيرنا لأن المسلمين من إندونيسيا إلى المغرب لا يوجد عندهم تفاسير متناقضة وعلم التفسير يدرس في جامعات سعودية ومصرية ومغربية وغيرها والأهم من ذلك أن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ جاءت بلسان عربي مبين وتم ذكر ذلك في أكثر من آية في القرآن وما أقوله لا يتعارض مع وجود اختلاف في تفسير بعض الآيات بما لا يخرج عن مبادئ الإسلام فعقائد الإسلام وأحكامه وأخلاقه معروفة وسيرة الرسول ﷺ معروفة ومكتوبة وتبين كيف تعامل مع كثير من القضايا العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فلا يوجد تناقض أو غموض قال رسول الله ﷺ : «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» ولكن حقيقة الأمر أن العلمانيين يريدون أن يعطوا تفسيرات جديدة أو قل كاذبة للآيات القرآنية تتناسب مع مبادئهم وأهوائهم العلمانية حتى يوهموا المسلمين أن مبادئهم لا تتناقض مع الإسلام فكأن المطلوب أن يشرح غير الطبيب للأطباء علم الطب وأن يشرح الرأسمالي للشيوعيين ما هي الشيوعية أو العكس أما إذا كان الأخ علي يقصد تفسيرات شاذة أو متطرفة لجماعات إسلامية متطرفة فهذه لا تجد تأييداً عند عموم المسلمين ورفضها علماء المسلمين وبالتالي فلا يوجد مشكلة تواجه علماء المسلمين والمسلمين وحكوماتهم في تفسير القرآن والإسلام

حتى يتم طرح سؤال مثل «هل سيقبلون تفسير غير تفسيرهم؟» .

٥ - دافع الأخ علي عن شعار «لا حرية لأعداء الحرية» ، وأقول ماذا إذا كان أعداء الحرية العلمانية هم الأغلبية الساحقة من الشعب كما نرى في واقعنا العربي هل يفرض عليهم الاستبداد أم نزج بهم في السجون أم سنفصل ديمقراطية تحرم منها الأحزاب الإسلامية ويفسح المجال فيها للأحزاب العلمانية التي تفتقد جميعها وبلا استثناء إلى أي جذور شعبية والحمد لله أننا عرفنا من خلال مبادئنا الإسلامية أن الشعوب حرة في أن تؤمن أو تكفر وكذلك الأفراد ولا يفرض الإيمان بالله وهو أهم من الحرية أو حتى الحكم الإسلامي على شعوب لا تريده فنحن لا نتبع شعار «لا حرية لأعداء الله» فشريعة الله سبحانه وتعالى تعطينا مفاهيم راقية للحرية وأرقى بكثير من المفاهيم العلمانية ولكن الله سبحانه وتعالى علمنا أنه إذا أردنا الحق والنور والهدى والصواب والعقلانية والسعادة فطريق ذلك هو التمسك بالمبادئ الإسلامية وأخبرنا أن هناك ثواباً وعقاباً في الدنيا والآخرة مرتبط باختيارنا و وهبنا العقل حتى نميز به بين طريق الخير وطريق الشر .

عن أي حرية تتكلم؟

كتب الأخ عبد اللطيف الدعيج في مقاله الذي جاء بعنوان «تجرعوا السم الذي كنتم تروجون» ، والمنشور بتاريخ ٢ مايو ٢٠٠٤ في جريدة «القبس» أفكار بحاجة إلى مناقشة من خلال النقاط التالية :-

١ - قال الأخ عبد اللطيف : «واحتراما لعقول الناس وصدقا مع الذات ، المفروض أن تعلن (السلفية العلمية) عن أي حرية تدافع؟ وأي رأي تصون؟» هذا السؤال أوجهه للأخ عبد اللطيف عن أي حرية رأي تدافع أنت؟ والسؤال الأهم ما الذي يثبت أن الحرية التي تدافع عنها هي الحرية الصحيحة؟ أي ما هي الأدلة العلمية التي تثبت صواب مفاهيمك للحرية؟ أقول ذلك لأن في الساحة مفاهيم كثيرة متناقضة لحرية الرأي والحرية الشخصية فالساحة العلمانية لديها مفاهيم متناقضة للحرية بعضها يعطيها مساحة أقل من تلك التي أعطتها الشيوعية العلمانية وبعضها يعطيها أكثر مما أعطتها الرأسمالية العلمانية وهناك أراء كثيرة بينهما فما هي الحرية الصحيحة؟ وهذا السؤال بحث فيه الفلاسفة وأبناؤهم العلمانيون فلم يتفقوا على معاني الحرية الصحيحة وحاول كل طرف علماني إقناع بقية العلمانيين بصواب رأيه فباءوا بالفشل الذريع وتم حسم موضوع الحرية على مستوى الدولة بما يحدده التصويت أو الحزب أو حتى الحكومة المستبدة وهذا حل سياسي وليس حل علمي وعقلي وأقول لا أريد اقتناعات فرد بما فيهم الأخ عبد اللطيف أو حتى دولة عظمى أو صغرى للحرية بل أريد الحرية الصحيحة وليت الأمر اقتصر على الحرية بل شمل الضياع العلماني معاني العدل والمساواة والتطرف والإرهاب والعبادة الصحيحة والعلاقة بين الدين والدولة وحقوق الإنسان

والسعادة ومصالح أمريكا المشروعة . . . . . . .الخ ، فالآراء كثيرة ومتناقضة وكلها آراء ظنية تحتمل الصواب والخطأ والأكثر ضياعا من هذا أن تعلن حروب ويقتل الناس وتطبق قوانين وأحكام على الشعوب بناء على آراء ظنية وقد شاهدنا عجز أمريكا كدولة عظمى عن تحديد معنى الإرهاب ومع هذا تحاربه وحتى لو كان ما تفعله أمريكا أمراً مقصوداً سياسيا حتى يخدم مصالحها غير المشروعة فإن عجزها العلمي حقيقي ويثبت أن الغموض والضياع والجهل في المفاهيم المستخدمة يفتح الأبواب الكثيرة أمام أصحاب النوايا الفاسدة سواء كانوا أفرادا أو دولة وكم وزع الأخ عبد اللطيف صكوك ومصطلحات التخلف والتشدد والرجعية والتطرف . . . . .الخ على من يختلف معهم دون أن يقدم أولا إثباتات علمية على صحة مفاهيمه لهذه الكلمات أي أن من يتهمهم بالتخلف أو التطرف قد وزنهم بميزان العلم (الحق) وليس بميزان اقتناعاته الشخصية قال تعالى : ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (٣٥) وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون (٣٦)﴾ سورة يونس وقديما قال الإمام علي كرم الله وجهه : «اعرف الحق تعرف أهله» أي قبل أن تعرف الحق لن تعرف المعتدلين من المتطرفين ولا الظالمين من المظلومين في كثير من القضايا وإذا كانت العلمانية الفرنسية خدعت الناس بشعارات «العدل والحرية والمساواة» فإن المسلمين لا يتعاملون مع شعارات غامضة للحرية فيها أكثر من معنى وكذلك للعدل حتى قال قائلهم نادما «كم من جرائم ترتكب باسم الحرية» إذا كان هذا حدث في الثورة الفرنسية قبل قرون فلا زالت العلمانية تعيش على هذا الشعار وتتجاهل أن مشكلة البشر ليس الاقتناع بأهمية الحرية والعدل والمساواة بل تحديد المعاني

الصحيحة لهم ولا شك أن المعاني الصحيحة هي التي تستند إلى أدلة علمية صحيحة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها أي أن المعاني الصحيحة لها هي التي جاءت في القرآن والسنة أما المعاني العلمانية لها فهي كثيرة ومتناقضة وهي أراء الفلاسفة أو أحزاب أو دول وتناقضها دليل ضياعها وجهلها وهي وبشهادة العلمانيين أنفسهم أراء تحتمل الصواب والخطأ وحصول هذا المعنى للحرية أو ذاك على تصويت شعبي من أي شعب لا يجعلها حقيقة علمية كما أن تبنيها من قبل أمريكا الدولة العظمى لا يغير من باطلها شيئاً فالحرية الحقيقية لا يضرها أن تكفر بها أمريكا .

٢- دخل الأخ عبد اللطيف العمل السياسي منذ سنين طويلة وكنت أتمنى ألا يدخل قبل أن يعرف الحق أي العقائد الصحيحة والمفاهيم الصحيحة للعدل والحرية والمساواة وهذه ليست قضايا فلسفية بل هذه قضايا فكرية هامة لا يمكن تجاهلها أو القفز عليها للتعامل مع الواقع دون علم بها لأن حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة قائمة عليها فمن يتعامل مع المرضى دون معرفة بعلم الطب وحقائقه يفسد أكثر مما يصلح ولن يكتسب خبرة وعلماً صحيحاً حتى لو حاول علاج آلاف الناس فالعلم قبل العمل وما ينطبق على العلوم المادية كالطب وغيره ينطبق على المجال الفكري المتعلق بالعقائد والمبادئ فصدق النوايا ومعرفة بعض الحقائق الفكرية لا يكفي لأنه قد يحارب أجزاء من الحرية الصحيحة وأجزاء من العدل الصحيح لأن مفاهيمه عن الحرية والعدل ناقصة أو خاطئة .

٣-يستطيع العقل أن يذم كل المعاني المطروحة للحرية سواء كانت إسلامية أو علمانية وهذا ليس دليلاً على أنها كلها خاطئة كما أن العقل يستطيع أن يمدح كل المعاني المطروحة للحرية وهذا ليس دليلاً على أن كلها صحيحة فالنقد أو توجيه الاتهامات عملية سهلة

فقد وجدنا عقولاً تمدح الحرية الشيوعية و وجدنا عقول تذم الحرية الإسلامية والحرية الغربية والمشكلة ليست في العقل ولكن سوء استخدامنا له فالواجب أن نعود للأصول والجذور التي تثبت صواب أو خطأ هذا المعنى أو ذاك للحرية لا أن ننتقد معاني الحرية في هذا المبدأ أو ذاك سواء كان دينياً أو علمانياً وأرجو ألا يضع الأخ عبد اللطيف كل البيض في سلة الحرية أو الديمقراطية ليس تقليلا من شأنهما فلا سعادة للفرد والأسرة والدولة بلا إيمان صحيح بالله سبحانه وتعالى وعبادته وتعظيمه وطاعته ولا سعادة بلا قوانين أساسية عادلة تتعامل مع الحياة الزوجية والاجتماعية والحياة الاقتصادية والسياسية ولا حياة لفرد أو أمة بلا أخلاق فاضلة كالصدق والعفاف والأمانة والكرم والشجاعة والوفاء والتضحية ولا حياة للمجتمع إذا تعصب أفراده عرقيا كما أن التعامل الصحيح أي (الإسلامي) مع المال يجعله يثمر خيرا وبركة في حين أن التعامل الخاطئ يجعله شراً وفساداً فالديمقراطية والحرية وحدهما لا تشفيان حتى ربع الأمراض ولذلك نحن بحاجة إلى البحث العلمي عن الحقائق الفكرية بصورة شاملة وعميقة حتى نستطيع أن نبني حياة الفرد والدولة على أسس صحيحة .

٤ - أمامنا طريقان لتحديد المعاني الصحيحة للحرية وغيرها من المبادئ أما طريق الفلاسفة العلمانيين وهو طريق فشل في هذا لأنه أعطى إجابات متناقضة تم حسمها بالتصويت أو برأي حكومة أو غير ذلك والطريق الثاني إتباع الرسل وهو الطريق الصحيح والأخ عبد اللطيف يطالب بأن نحترم الحرية فهي عنده مبادئ لا يجوز أن يتم تغييرها من مجلس أمة أو حكومة أو الشعب في حين أن المبادئ التي يؤمن بها لا تخرج عن احتمالين مبادئ قررها الشعب الأمريكي ومجالسه النيابية أو اقتنع بها الأخ عبد اللطيف لوحده وبالنسبة للقسم الأول وهو الاحتكام المطلق للشعب في تحديد معنى الحرية فهذا

هو الأسلوب العلماني ومع هذا يقبله الأخ عبد اللطيف للشعوب الغربية ويرفضه للشعب الكويتي فهو يكيل بمكيالين في المرجعية كما يقول المثل العراقي «قابل صيف وشتا على فد سطح واحد» ويقول الأخ عبد اللطيف بأن المبادئ «كالحرية» لا يجوز تغييرها بتقليل مساحتها من قبل شعب أو حكومة ويستشهد بالدستور الأمريكي الذي يقيد الكونغرس وأقول الدستور الأمريكي وغيره من الدساتير وضعتها الشعوب فمن حقها أن تغيرها لأنها اجتهادات بشرية تحتمل الصواب والخطأ فلا يجوز منطقيا أن يقيد جيل قديم جيلاً جديداً مفروض أنه تعلم أكثر وقد يرى ضرورة تقليل مساحة الحرية فالأخ عبد اللطيف يعتبر الدستور الأمريكي البشري كتاباً مقدساً وأقول الحرية الصحيحة لا يجوز التلاعب بها من قبل شعوب أو حكومات أو أفراد لأننا مقتنعون بأدلة عقلية أنها حقائق فكرية في حين أن الأخ عبد اللطيف عنده بعض الحقائق الفكرية قابلة للتغيير الشعبي باسم الديمقراطية والليبرالية وفي نفس الوقت بعضها ثوابت لا يجوز تغييرها ومن يحدد هذا البعض أو ذاك هو الدستور الأمريكي الثابت السلفي وعقل الأخ عبد اللطيف المتغير الليبرالي وبالتالي حيرنا معه فينطبق عليه المثل العراقي «بس قلي دينك شنو؟» فالمرجعية الفكرية عندما تكون للعقل العلماني فهي لا شئ لأنه عقل متناقض وعندما تكون للشعب والتصويت فهي متغيرة دوما وعندما تكون للدستور الأمريكي القديم فهي صنم صنعوه بأيديهم ثم عبدوه قال تعالى : ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ (٤١) سورة العنكبوت .

٥ - إذا لم يتم تحديد الحرية الصحيحة وضوابطها على مستوى الفرد والدولة فإنه يسهل أن يتم توجيه الاتهامات للمسلمين بأنهم ضد الحرية الشخصية وأنهم لن يتركوا مجالاً إلا

وضعوا قيوداً عليه سواء كان يتعلق بالملبس أو الاحتفالات أو الاختلاط كما نرى بعضهم يحتكم في مقاييسه على عادات قديمة في المجتمع الكويتي أو على ما تطبقه أمريكا أو غير ذلك والطريف أنهم يستعينون بالعادات إذا وافقت رأيهم ويرفضون ما فيها من الاحتشام والقوامة للزوج وكذلك يفعلون مع الفساد الأخلاقي فيدافعون عنه تصريحا أو تلميحا وفي نفس الوقت يرفضونه لأخواتهم وبناتهم فمرجعيتهم الفكرية مرجعية انتقائية تثبت ضياعهم وتناقضهم واتباعهم الهوى وتثبت أن هدفهم تشويه الخصم لا تحديد منهج الوصول للحقائق الفكرية واتباعها ومبدأنا الإسلامي واضح قال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (١٥٣) سورة الأنعام ويمكن تقسيم قضايا الحرية إلى مجموعتين مجموعة جاءت بها آيات قرآنية وأحاديث نبوية فيجب الالتزام بها كالحجاب وتحريم الزنا والخمر ولا يحق لمن يعارضها أن يتهم المطالبين بها بأنهم يفرضون أراءهم واجتهاداتهم على المجتمع المسلم ومجموعة اجتهادية يمكن قبولها أو رفضها وهذه أمرها متروك لأهل الحل والعقد من المسئولين وعلماء الإسلام والمجالس النيابية .

٦- ليس صحيحاً أنه كلما زادت مساحة الحرية كلما كنا أقرب للحرية الصحيحة فما تثبته الأدلة العلمية أنها الحرية الصحيحة هي الحرية الصحيحة حتى لو كانت مساحتها متوسطة أو حتى قليلة وما زاد عنها لا يكون من الحرية حتى لو كان يبدو جميلا فهو بالعقل قبيح فالزيادة ليست دليلاً عقلانياً فالأكل الكثير والنوم الكثير والدلع الكثير للأبناء . . . . . . الخ كلها انحرافات تضر فهي لا تحقق الصحة أو الراحة أو مصلحة الأبناء فالماء ضروري جدا لصناعة الخبز ولكن إذا زاد عن مقداره الصحيح يتلف الخبز وما ثبت أنها الحرية الصحيحة لا يجوز أن نعود ونشكك في صوابها لأن النقد

والاتهامات يمكن أن توجه لأي مساحة من الحرية نختارها فالعقل البشري قادر على ذم ومدح كثير من الأمور والخطأ ليس في العقل ولكن في عدم فهمنا له وعدم استخدامنا الصحيح وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة والعلمانيون أي الاستخدام الخاطئ للعقل في المجال الفكري وأطمئن الأخ عبد اللطيف بأن مساحة الحرية الإسلامية كبيرة سواء في حرية الرأي السياسية أو حرية الاعتقاد والحوار العاقل بين مختلف العقائد من دينية أو غير دينية أو حرية البحث العلمي ولو اعتبرنا من الحرية التكلم في أعراض الناس لانتشرت الكراهية وزادت المشاكل الاجتماعية وهذا مشاهد في الغرب فمع انتشار الفساد الأخلاقي عندهم إلا أن حرية نشر الأسرار والاتهامات الجنسية تحطم الأسر وتضرها فليس كل ما يعرف يقال كما أن اقتصار الحلال والحرام على القانون كما يحدث في الدول العلمانية كارثة لأن ما نحتاجه من مبادئ «حقائق فكرية» أكبر بكثير من مساحة وسلطة القانون فالإسلام يمنعنا من الكذب والغيبة والنميمة والشتم والتكلم في أعراض الناس واستخدام الألفاظ البذيئة والكلمات العنصرية والسخرية من الآخرين وتوجيه الاتهامات لهم في نواياهم وذممهم المالية فلو جعلناها حرية بلا حدود لحصدنا كثيراً من الشر والشقاء فالحرية الصحيحة لها ضوابط توجهها لما ينفع الناس وتبعدهم عما يضرهم .

٧ - كثيرا ما يطالب الأخ عبد اللطيف بعدم إقصاء الآخر وأقول مبدأ إقصاء الآخر موجود في كل المبادئ الدينية والعلمانية فالدولة العلمانية ترفض المبادئ الأخرى الدينية والعلمانية المخالفة لها فالعلمانية مثلا لا تعتبر الدين حتى مصدراً من مصادر التشريع حتى لو كانت الأغلبية الساحقة من الشعب مسلمين أو مسيحيين وهذا يتناقض مع حريتهم واقتناعاتهم ويقصي مبادئهم عن مجالات سياسية واقتصادية كثيرة فهي لا

تريد أن تستفيد من فكر إسلامي غني جدا بمبادئه واجتهاداته العميقة والكثيرة بل لا تريد حتى أن تستمع له أو تقرأه فالعلمانية تفرض قوانينها في السياسة والعقائد والتجارة والعقوبات على الآخرين ولكن لو فعلت الدولة الإسلامية ذلك فيا للهول وأنا هنا أتكلم عن الدولة الإسلامية الملتزمة بالإسلام الصحيح والمسلم الملتزم بصورة صحيحة فيه من صفات الرحمة والعدل والتواضع والإنسانية . . . . . . الخ ما يجعله أفضل البشر للبشر والمسلمون ينظرون للمسيحيين واليهود بأنهم أهل أديان سماوية في حين أنهم ينظرون لنا بأننا لسنا مؤمنين أما العلمانيون فنعتبرهم ضائعين كمرحلة أولى في حين أنهم يعتبروننا رجعيين ومتخلفين ومتطرفين وإرهابيين وظلاميين ولا نستخدم عقولنا ومن هذا ظنه فيك فصعب أن يبتسم في وجهك ناهيك عن أن يحاورك وإذا كان مبدأ الإقصاء موجوداً عند الجميع فمن هو أكثر إقصاء لمن يخالفه أرجو ألا نتأثر بالإعلام الأمريكي وأوهام التسامح والوسطية وحقوق الإنسان فهم بعيدون عن ذلك إلا إذا تم مقارنتهم بمن هم أسوأ منهم في القتل والتعذيب والتطرف العقائدي والاستبداد السياسي وهذا أمر اعترف أنهم نجحوا فيه فمن يعادي أمريكا ليس له حقوق إنسان كما فعلوا مع الأسرى الأفغان والعراقيين والمعتقلين في سجن «غونتاناموا» والأمريكان ليسوا أهل مبادئ بل أهل شعارات .

هذه هي الأغلال

كتب الأستاذ عبد الله القصيمي سنة ١٩٤٦ كتاباً بعنوان (هذه هي الأغلال) وهذا الكتاب يعطي نموذجاً جيداً للفهم الخاطئ لمثلث الإسلام والواقع والغرب وإليكم رأيي في بعض ما جاء في الكتاب :

أ) **الأحاديث الموضوعة وأقوال مزورة وخاطئة** : قال الأستاذ عبد الله القصيمي روى جماعة فيهم الحاكم وصححه أن الرسول عليه السلام قال (لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة واستعينوا عليهم بالمغزل) . وقال وقد تكلموا كثيراً في تحريم المنطق والفلسفة وألفوا في ذلك كتباً منها كتاب الأسيوطي المشهور (أقوال أهل المشرق في تحريم علم المنطق) وقد حكى هذا الكتاب الإجماع - أو شبه الإجماع - على تحريمه ومن العبارات المشهورة عندهم في هذا قولهم (من تمنطق فقد تزندق) ص ٧٧ وقال (فقد عدوا من شغلوا بعلوم الإغريق - سواء صحية أو رياضية أم فلكية أم فلسفية أم طبية ملاحدة) ص٨٠ ثم قال (ومن اللازم هنا أن نعلم أن القرآن قد أشاد بفضل العلم والعقل أعظم إشادة وعلق عليهما الخير والسعادة والفلاح وامتدحهما بكل أساليب الامتداح وذم الجهل والضعف العقلي بكل عبارة وجعلهما شعار الخيبة والفساد والفسوق والكفر والضلال) ص٨٩ .

التعليق :

١ - العبارة الأخيرة للأستاذ عبد الله تبين الموقف الإسلامي الصحيح من العلم والتعلم والعقل والتفكير وهناك آيات كثيرة تثبت ذلك منها قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦ سورة الحج) . وما ذكره الأستاذ عبد الله من حديث ليس حديثاً صحيحاً ونقول ونكرر الأحاديث الصحيحة معروفة وكذلك الموضوعة والضعيفة . وليس من العقل أن تكون هناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تشجع العلم ثم تكون هناك أحاديث نبوية ترفض العلم . ولو ألفنا كمسلمين أقوالاً وعقائد ونسبناها إلى لفلاسفة العلمانية ثم انتقدناهم بناء عليها لقال العلمانيون هذا ظلم وهذا كذب ونحن على كل حال لسنا بحاجة أن نؤلف لأن فيما قالوه ويرفضه العقل الكثير .

٢- أي أقوال أو اجتهادات صحابة أو علماء مسلمين من أهل السنة والجماعة تعارض آية قرآنية أو حديث صحيح يضرب بها عرض الحائط ومن يعارض منهم حقيقة مادية مثل دوران الأرض حول الشمس كما نسب زوراً للشيخ ابن باز رحمه الله مرفوض وخطأ . نقول ذلك لأن البعض يكذب على علمائنا ولأن علمائنا يخطئون في بعض اجتهاداتهم فهم ليسوا معصومين ولكن هذا لا ينفي علمهم في أشياء كثيرة . والتعلم من الإغريق علوم الطب والرياضيات والفلك أمر واجب ومطلوب أما النهي عن علم المنطق والفلسفة فهو نهي كان هدفه إبعاد من ليس لديه علم بالإسلام عن التأثر بالشبهات والعقائد الفلسفية بدليل أن شيخ الإسلام ابن تيمية الف كتاب نقض المنطق وكذلك فعل الإمام أبي حامد الغزالي وغيرهم كثير . باختصار عندما نمنع السباحة في محيط عن من لا يعرف السباحة فأنت تحمية من الغرق وتبحث عن مصلحته . وكم من طلبتنا ممن درسوا في الغرب في القرن العشرين جاءوا إلينا بأخلاق الزنا ومبادئ التفكك الأسري والاجتماعي والتقليد الأعمى لأمور واضح فشل الغرب فيها في أرقام الطلاق والعنوسة والأبناء غير الشرعيين وانتشار المخدرات فليس كل الناس يستخدمون

عقولهم بصورة صحيحة بل وجدنا من يطالبنا بأن نكون تابعين ومقلدين للغرب في الخير والشر كما فعل الدكتور طه حسين .

ب) **لا تضع الكلمات في فمي** : قال الأستاذ عبد الله القصيمي : «يوجد اليوم قوم يعدون من خيرة المسلمين تعليماً وأخلاقاً ، ينادون ما وسعهم النداء : بأن جماع علل المسلمين هو سفور المرأة واختلاطها بالرجل ويزعمون أنهم لو رجعوا إلى البيت وإلى الحجاب لاستطاعوا بسهولة وبسرعة أن يثبتوا على قمة المجد الدولي» ص١٥ .

التعليق :

١ - أي قارئ للقرآن الكريم ولسيرة الرسول ﷺ يعلم أن الحياة شاملة الجوانب عقائدية وسياسية واجتماعية واقتصادية وأن تحقيق التقدم يتطلب العمل على مختلف الجهات فلم يقل أحد من مثقفي المسلمين ناهيك عن علمائهم أن إذا تحجبت المرأة المسلمة تقدمنا عقائدياً وسياسياً وتكنولوجياً فمن أسماهم الأستاذ القصيمي «خيرة المسلمين تعليماً وأخلاقاً» هم بالتأكيد ليسوا خيرة المسلمين علماً في وقتهم .

٢- كرر الأستاذ القصيمي في كتابه مرات كثيرة مناقشة أراء خاطئة قال بها شخص عامي جاهل أو فئة متخلفة ثم اخذ يسل نقده لهم فهو كما يقول الأمريكان «تضع الكلام في فمي» . فإذا كان هناك جاهل يفهم القضاء والقدر بطريقة خاطئة فهذا لا يحسب على المسلمين وإذا كان هناك مسلم تقي يعتقد أن معنى الزهد رفض العمل والعلم والسعي في الأرض فهذا أمر مرفوض وإذا كان هناك من يرفض علوم الصناعة والأحياء والطب فهذا أمر يخالفه اهتمام المسلمين بهذه العلوم قديماً ويخالف الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٦٠ سورة لأنفال) . وإذا كان هناك مسلمون

يظنون أن الأموات ينفعون ويضرون أو يعشقون التكفير أو مقتنعين باضطهاد غير المسلمين أو غير ذلك فهذه أمور مرفوضه بناء على القرآن والسنة .

٣- لا شك أن للفقر والجهل تأثيراً على بعض علماء المسلمين وأصاب الأمة جوانب من الجمود الفكري فظنوا أن مقاومة نابليون تكون بقراءة البخاري وليس بالأخذ بالأسباب الفكرية والمادية معاً فنقد الإسلام بناء على جمود فكري في بعض الفترات أو على أقوال الفرق الإسلامية أو لعلماء أخطئوا في اجتهاداتهم ليس من الإنصاف لأن ما قالوه انتقده علماؤنا في كتب كثيرة قبل أن يأتي النقد من المستشرقين والزنادقة والضائعين . فالمكتبة الإسلامية مليئة بآراء واجتهادات صحيحة وخاطئة لفرق إسلامية وعلماء وروايات صحيحة وكاذبة للتاريخ فنحن نتكلم عن فترة زمنية تزيد عن ألف وخمسمائة سنة ولا يستطيع المسلمون منع من يريد أن يكتب ويؤلف إذا كتب أراء منحرفة وما نقوله ينطبق حتى على الفكر العلماني بمدارسه المختلفة من رأسمالية واشتراكية وشيوعية ووجودية فهناك من يمثلون الفكر العلماني وهناك من يتبرأ منهم العلمانيون حتى لو كانوا علمانيين .

٤- المطلوب وهذا ما عمله علماؤنا أن نركز جهودنا على معرفة القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والاستفادة من الاجتهادات الصحيحة لكبار العلماء المشهود لهم بالعلم والخبرة لا أن نضيع جهودنا في تقييم ومحاكمة تراث فكري ضخم لنعلق على ما قال هذا أو ذاك فنحن لسنا كالفلاسفة الذين همهم الجدل والقيل والقال بل نريد العلم حتى ننطلق للحياة لنبنيها في مختلف جوانبها بصورة صحيحة نحن نريد أن نبني الحاضر والمستقبل لا أن نعيش في الماضي .

جـ) الرازي المظلوم : قال الأستاذ عبد الله القصيمي : «وأما الشيخ الرازي فيرى أن

أقصى خطـــوات العـقل البـشـري أن يعـجـز مطلقـاً وأن يقع في عـقـال يمنعـه التـفكيـر والعـمل والتقـدم والتـأخـر ومـعنى هذا أن العـقـول كلمـا فكرت وعـملت وحـاولت الإقـدام في مـجـالها ازدادت حيـرة وضـلال وضـعـفـاً جهـلاً وعـجـزاً عن المعرفة» ص ٣٤ .

قال الأستاذ عبد الله القصيمي هذا بناء على قول الرازي

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

التعليق :

١ – أختلف جذرياً مع ما فهمه الأستاذ عبد الله من هذا الشعر حيث أرى أن المقصود أن العقل إذا فكر بطريقة فلسفية علمانية فلن يصل إلا إلى أراء هذا الفليسوف أو ذاك أو الثالث حول العدل أو الحرية أو غيرها من المواضيع كثيرة تتعلق بالوجود والخير والشر والمساواة والرحمة والظلم والحقوق الزوجية العادلة . . . . .الخ . وهذه المواضيع بحث فيها مفكري العلمانية ولم يصلوا في النهاية إلا إلى العجز والاختلاف وأقوال لم يستطع أيا منهم إثبات أن رأيه حقائق فكرية مهما دعمه بأدلة منطقية فالنقد الموجه ليس للعقل والاجتهاد بل للمنهج الفلسفي العلماني الذي وصل في النتيجة النهائية إلى أراء متناقضة وأقوال متصادمة وجدل فلاسفة وهذا ليس علماً بل جهل وضياع والعاقل لا يضيع وقته في قراءة أقوال الفلاسفة والعلمانيين لأنهم باعترافهم أنفسهم هم أهل ظن وأراء وليس علم .

٢- ابتعاد المسلمين عن الفلسفة وعلم الكلام والجدل البيزنطي ومنهم الرازي حدث لأنهم يعلمون أن ما عند القوم أراء وليس حقائق فكرية وهي أراء فيها الصواب والخطأ ونحن كمسلمين لدينا العلم الفكري (القرآن والسنة) فنحن نعرف صفات الله سبحانه وتعالى وسيرة الأنبياء ومناهج الإصلاح والمعاني الصحيحة للعدل والحرية والمساواة ونعرف أين انحرفت اليهودية والمسيحية بكلمات أخرى هل من الحكمة والعقلانية والعقل أن يبحث عالم الفيزياء عن علم الفيزياء عند قوم ضائعين يتكلمون في الفيزياء بناء على أراء وظنون ولم يتبعوا أسلوب التجربة والمشاهدة والاستنتاج فهذا يقول رأيي أن الحديد ينصهر عند مائتي درجة مئوية والسبب كذا وكذا والثاني يقول رأيي أنه ينصهر عند مائتين وخمسين والسبب كذا وكذا . أليست هذه آراء جاهلة وقيل وقال والعقل والعلم بريئان من ذلك .

٣- بعيداً عن الجدل أقول ما الآراء التي علينا أن نتعلمها من الفلاسفة ونتعب عقولنا وعيوننا في دراستها فما قالوه من صواب فنحن نعرفه وما قالوه من خطأ ويظنونه صحيحاً نحن نعرف خطأه ابتداء من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالشرائع والأخلاق وانتهاء بحقوق الميت وكيفية دفنه فنحن لا نحتاجهم أبداً إلا إذا كنا راغبين في الجدل أو إعطاء نماذج عن الجهل الحديث قال باسكال (التفلسف الحقيقي هو الهزء من الفلسفة) وقال (الفلسفة لا تستحق ساعة تعب) فالرازي وغيره من المسلمين ليسوا ضد العقل ولكن ضد الأسلوب الفلسفي في استخدام العقل وأكرر نهي علماؤنا عن الجدل مع الفلاسفة ونهيهم عما يسمى بعلم الكلام ليس عجزاً عقلياً وليس ضد التفكير العلمي ولكن لمعرفتهم أن الحوار العلمي يتطلب مناقشة قضايا محددة تتعلق بأصول المبادئ وما هي أدلتها العقلية لا مناقشة الفروع والجزيئات بصورة مجردة .

٤ - معرفة ما قاله الفلاسفة والعلمانيون وعقائد الشعوب وعاداتها وما حدث في الحضارات السابقة ومعرفة الدول وما فيها من صناعة واقتصاد وسياسة وغير ذلك معرفة ثقافية وليست علمية وأقصد بذلك أنه كلما قرأنا أكثر ازددنا ثقافة وليس بالضرورة علماً فمن يقرأ أقوال العلمانيين في معنى الحرية يجد أقوالاً كثيرة ومتناقضة فهو يعرف ما قال هؤلاء ولكن لن يعرف الحرية الصحيحة فما عنده ثقافة لا علم .

فالإسلام يعطينا حقائق يعطينا علماً يعطينا معرفة حقيقية يعطينا يقيناً أما العلماينة فتعطينا أراء تعطينا جهلاً تعطينا معرفة وهمية تعطينا ظناً وهذا لا يعني أن كل ما تقوله العلمانية خطأ بل لأنها تقول أشياء كثيرة فبعض ما تقوله صحيح لكنها لا تعرف الصحيح من الخاطئ وأنا هنا أتكلم عن عقائد ومفاهيم العدل والحرية والعقوبات العادلة وليس عن مواضيع اجتهادية يختلف حولها كل البشر بمن فيهم المسلمين .

ويظن البعض أن الإسلام لا يعطي معرفة حقيقية ونقول كل ما جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة هو حقائق فكرية أي معرفة حقيقية فعندما يقول صفات المنافقين كذا وكذا فهذا علم ويقين وعندما يقول حدث لموسى عليه السلام مع قومه كذا وكذا فهذه حقيقة وعندما يقول عن الله سبحانه وتعالى عليم وحكيم ورحيم وشديد العقاب فهذه حقائق وغيرها كثير قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الرعد) .

د) المبادئ لا الواقع : قال الأستاذ عبد الله القصيمي «فطبيعة المتدين - غالباً - طبيعة فاترة ، فاقدة للحرارة المولدة للحركة المولدة للإبداع ومن ثمة فإنك غير واجد أعجز ولا أهون من هؤلاء الذين يربطون مصيرهم بالجمعيات الدينية ونرجع لنكرر مرة أخرى أن الدين نفسه لا ذنب له ولكن الذنب ذنب النفس البشرية التي

لم تستطع أن توجد التعادل بين الكفتين» ص ١٨ .

التعليق :

١-شكراً للأستاذ عبد الله لأنه برأ الإسلام من الكسل وأضيف إلى ذلك من بدهيات الإسلام التركيز على «الأعمال الصالحة» التي تشمل الاجتهاد في الدين والدنيا فالمسلم الملتزم بصورة صحيحة هو الأكثر نشاطاً وعملاً واجتهاداً . ومن المعروف أن نسبة الأمية في الوطن العربي في ١٩٤٦ تزيد عن ٩٠٪ وعندما ينتقد الأستاذ عبد الله عقائد واقتناعات شعبية في بيئة غالبيتها الساحقة ريفيون وبدو وبيئة تفقدت المدارس وعلماء الإسلام الواعين فإنه سيجد الكثير من الجهل في الدين والدنيا والسياسة والإدارة والصناعة وغير ذلك .

٢ - بيئة الإبداع الصناعي والتعليمي والعلمي وحتى السياسي والاقتصادي والإداري والتجاري تحتاج دولاً وشركات ومؤسسات ترعاها ولا شك أن منتصف القرن العشرين كانت هذه البيئة شبه منعدمة في الدول العربية نتيجة الاستعمار فلا دولة وطنية . ونتيجة الفقر والجهل والمرض فالإنسان العربي كان يصارع حتى يجد الأكل بل وأحياناً الماء فالمشكلة لم تكن انعدام الرغبة في العلم والإبداع بقدر غياب بيئة التعليم ناهيك عن بيئة الإبداع .

٣- الانطلاق من سلبيات في واقع الشعوب ثم بناء نقد الإسلام عليها أسلوب غير علمي . فليس صحيحاً أن ما يسمى بالشعوب المسلمة ستكون ملتزمة بالإسلام منذ عهد الرسول ﷺ وحتى الآن بل جاءت فترات كان المسلمون بعيدين جداً عن الإسلام حيث وجدنا حروباً وعصبيات عرقية وعبادة القبور وكفراً وزندقة وكذباً ونفاقاً وغير ذلك وهذا أمر مشاهد في عصرنا هذا في بعض البلاد الإسلامية حيث شعوبها من أسوأ

الشعوب في عقائدها وأخلاقها قال تعالى : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾ (١٢٣ سورة النساء) . وقال ابن تيميه رحمه الله (إن الله ينصر الدول الكافرة إذا كانت عادلة ولا ينصر الدول المسلمة إذا كانت ظالمة) فإذا فسدت نوايا المسلمين فسدوا وإذا جهلوا دينهم ضلوا وإذا تركوا العمل فشلوا وليس غريباً أن تحقق الشعوب غير المسلمة النصر عليهم والتقدم العلمي والعسكري والاقتصادي .

هـ- **المسلمون وغير المسلمين** : قال الأستاذ «عبد الله القصيمي» وقد أخذ هذا التفاوت بين الفريقين (المسلمون وغير المسلمين) في الوطن الواحد ومن العنصر الواحد يتعاظم يوماً فيوماً حتى أصبح ملحوظاً أن غير المسلمين يفوقون المسلمين في كل ضروب التقدم وفي كل وجوه الحياة بشدة وقوة سواء في ذلك الجوانب المادية والجوانب المعنوية» ص١٤ .

التعليق

١ - التقدم الصناعي الغربي قائم على قرون من التنافس بين الدول الأوربية المستقرة والحرة في حين أن الدول العربية والخلافة العثمانية دول أضعفها الاستعمار والحروب المفروضة عليها من الدول الأوروبية فمن الطبيعي أن يكون وضعها الصناعي سيئاً جداً في منتصف القرن العشرين حين تم تأليف الكتاب . وجاء وقت ولقرون طويلة كنا متقدمين في مجالات كثيرة وكانت أوروبا متخلفة قال تعالى : ﴿تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران) ومقارنة المسلمين بغير المسلمين يجب أن تكون عادلة فليس من الإنصاف أن نقارن بين أمريكا والدول العربية في مستوى البحث العلمي فالدول العربية اثنتان وعشرون دولة يتآمر عليها الأعداء وأمريكا دولة واحدة متحدة منذ ثلاثة قرون .

٢- الجوانب الفكرية والمعنوية لم تكن سيئة مقارنة ببقية شعوب الأرض كالدول الشيوعية مثلاً فالوعي العقائدي والترابط الأسري والتكافل الاجتماعي أمور عايشناها وسمعناها من آبائنا ولكن هذا لا ينفي وجود سلبيات كبيرة سببها الجهل والفقر .

٣- لا شك أن تعامل المسلمين العرب مع المدارس الحديثة والمفاهيم الحديثة كان تعاملاً حذراً وعدائياً لأنها جاءت من خلال الاستعمار الأوروبي في حين أن غير المسلمين من العرب كانوا أكثر انفتاحاً على التجارة مع أوروبا وأكثر استعداداً لتعليم أبنائهم في مدارس أجنبية وبالتالي أخذوا نصيباً أفضل من المناصب والتجارة كما وجدوا الدعم من الاستعمار بصور مختلفة .

نحن والإبداع والعلمانية

أعطى الدكتور أحمد بشاره نموذجا مثاليا لبعض مثقفينا المتأثرين بالغرب في مقاله «بيئة الإبداع ومعيقاتها ونتائجها» الذي تم نشره في جريدة «القبس» على جزئيين في ١٧ ، ١٨ يناير ٢٠٠٤ ومشكلة العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية أنهم يعرفون الواقع الأمريكي والتاريخ الأمريكي أكثر مما يعرفون الإسلام والواقع العربي والتاريخ الإسلامي فهم يعيشون عزلة حقيقية حتى لو عاشوا عقودا طويلة بيننا وإليكم بعض ما جاء في مقاله :-

١ - ذكر الدكتور أحمد الأخوان رايت وأبحاثهما التي أدت إلى صناعة الطائرة وذكر أنهما من عائلة مسيحية محافظة وأنهما لم يجدا في الكتاب المقدس وذهابهما إلى الكنيسة كل يوم أحد ما يحد من فضولهما العلمي ثم قال «ولم يلجأ الأخوان رايت إلى «مفتي الحي» للسؤال إن كان الطيران حراما أو حلالا» ثم ذكر إن أول معيقات الإبداع عند الفرد في مجتمعاتنا تتمثل في الموروث الديني الذي تغذيه الثقافة الإسلامية السائدة التي يسيطر على تعريفها وحدودها «مشايخ» الإفتاء والمتوددون لهم فهذة المورثات الدينية تضع أول المتاريس أمام حرية الفرد في التفكير غير المحدود» وأقول الحمد لله الذي أعطى الدكتور أحمد براءة جزئية للإنجيل والكنيسة وعلمائها بأنهم لم يحدوا من مجال الإبداع العلمي على الأقل في بعض المجالات العلمية حيث أننا نجد أن العلمانيين يبالغون في حجم معارضة الكنيسة للعقل وللتقدم العلمي بل يجعلون العلمانية هي التي صنعت التقدم العلمي وهذا ليس بصحيح فالتقدم العلمي صنعته الشركات المتنافسة والتنافس الاستعماري السياسي والاقتصادي بين الدول وارتباط البحث العلمي بالصناعة والأرباح وبصفتي أعمل ومنذ أكثر من خمسة وعشرين سنة في معهد

الكويت للأبحاث العلمية ولدي شهادة بكارليوس في الكيمياء وماجستير في علم البلاستك وتخصصت في مجال التخطيط للبحث العلمي وقرأت القرآن وأصلي في المسجد فلم أجد يوما ما من علماء الإسلام من يرفض البحث العلمي في الطيران أو الزراعة أو البترول أو غير ذلك إذا استثنينا الاستنساخ البشري أو ما شابهه بل على مدى تاريخنا الإسلامي ولأكثر من خمسة عشر قرنا لم نجد مشكلة حدثت بين علماء الإسلام وعلماء المادة فحرية التفكير والبحث العلمي غير محدودة فكيف تكون أول المعيقات كما ذكر الدكتور أحمد ويحق لنا أن نسأل الدكتور أحمد ما هي الأدلة التي يستند لها في اتهام مشايخنا بأنهم أول معيقات البحث العلمي لأن من السهل جدا توجيه الاتهامات بلا أدلة نريد ذكر أمثلة عن علماء من مصر أو الأردن أو السعودية أو الكويت ممن عارضوا أبحاث الطيران أو غيرها وكان يجب على الدكتور أحمد أن يعطي أمثلة من تاريخنا الإسلامي أو وا قعنا تثبت كيف حارب الفكر الإسلامي الإبداع في الفلك أو الطب أو الهندسة أو غير ذلك وأين حدث هذا ومتى لأننا نريد حقائق لا آراء أو اتهامات بلا أدلة .

٢- يخلط الدكتور أحمد بين العلم المادي الذي هو مجال الإبداع الذي استشهد بأمثلته كالطيران ومركبات الفضاء وبين العلم الفكري المتعلق بالإيمان والكفر والحجاب والتبرج والاعتدال والتطرف والعدل والظلم والحرية والاستعباد فالقضايا الفكرية وفي العالم كله يفكر فيها المفكرون والشباب وينقسمون بين الإيمان والإلحاد وبين السلم والعنف وبين الرأسمالية والشيوعية وما بينهما والأديان والفلاسفة وما يقوله مفكروا العلمانية أو الإسلام هو ما قاله الأولون سواء كانوا مسلمين أو من فلاسفة اليونان أو من قبلهم أو من بعدهم بل إن هذا الوضع سيستمر حتى يرث الله سبحانه وتعالى الأرض

ومن عليها وبالتالي فعندما يتهم الدكتور أحمد كثيراً من شبابنا بأنهم ينشدون المعرفة من «مشايخ لا يعرفون عن العالم إلا ما جاء في كتب الأولين» أقول ما يعرفه كل شباب العالم ومفكريه من غير المسلمين في العلم الفكري هو أيضا ما جاء به الأولون والفرق هو أن علماءنا لديهم العلم الفكري النقي (الإسلام) فهم يعرفون علم التوحيد والشرك وعلم الشريعة وعلم الأخلاق وعلم الحرية الصحيحة وعلم العدل . . . . الخ وعلم مشايخنا هو علم الأنبياء ولن يوجد أبدا علم فكري أرقى منه قال تعالى : ﴿يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ (١٧٤) سورة النساء وقال تعالى : ﴿ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٤٠) سورة يوسف أما علماء (مفكري) العلمانية فهم فلاسفة متناقضين لم يتفقوا حتى على حقيقة فكرية واحدة كوجود الله سبحانه وتعالى فكيف ببقايا قضايا الإيمان أو العدل أو الحرية . أما قوله يتدرب الكثير من شبابنا في الكهوف والزرائب على صنوف الموت فأقول إن هؤلاء لا يشكلون حتى ١ في الألف من شبابنا فلماذا ترى الحالات الشاذة ولا ترى ٩٩٩ من شبابنا ولو كان هذا الواحد من الألف يستمع لعلماء الإسلام لما تطرف في أفكاره فأين الموضوعية والعلمية فيما قاله الدكتور أحمد من اتهامات لمشايخنا .

٣- يظن الدكتور أحمد أن المورث الديني يشكل قيوداً على العمل الفكري الحر وأقول كما ذكرت أعلاه لا يوجد أية قيود على العمل العقلي المادي أبدا في فكرنا الإسلامي فالإبداع في مجال العلوم المادية مفتوح على مصراعيه وما حدث من إبداع في العالم حدث في مجال العلوم المادية كالطب والحاسب الآلي والطائرات والزراعة وغير ذلك ولم يحدث إبداع في المجال الفكري فالعلمانية مبادئ متخلفة والقضايا التي كان يناقشها الفلاسفة قبل أكثر من ألفي سنة لا زال يناقشها الغرب ولم يصلوا إلى تطور فيها

وأقصد بالقضايا الفكرية وجود الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه والعبادة الصحيحة والقدر والخير والشر ومعاني الحرية . . . . الخ فالدكتور أحمد يخلط بين العلم الفكري والعلم المادي أما إذا كان يقصد الإبداع في القصة والرواية والمسرح والسينما والشعر والرسم والموسيقى فهذه قضايا هامشية ولم يمنع الإسلام الإبداع في ما يفيد الناس كالقصص الهادفة والشعر المفيد ولا يقيد الإسلام هذه المجالات إلا بالأخلاق الفاضلة أي الابتعاد عن الزنا والإلحاد والإثارة الجنسية والكلمات البذيئة فمثلا عندما ينظم لنا الإسلام أدب الحوار وأخلاقه فإنه لا يقيد ألسنتنا وعقولنا بل يجعلنا نبتعد عن الغيبة والنميمة والشتائم فالفكر الإسلامي لا يقيد العقل السليم عن الإبداع والبحث العلمي لا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بل هو يرشده نحو الأهداف النبيلة أما الإبداع العلماني الفكري فقد شاهدنا نماذج منه في بعض القنوات الفضائية حيث المسابقات السخيفة والأجساد شبه العارية والانهزامية النفسية والتقليد الأعمى للغرب . . . . الخ فلم نجد إبداعاً تعليمياً أو اقتصادياً أو إدارياً أو سياسياً أو اجتماعياً يعالج مشاكل الأمة الرئيسة المتمثلة بالجهل والفقر والتفرق والاختلاف والمرض .

٤ - تطرق الدكتور احمد لقضايا كثيرة لا علاقة لها بالإبداع فتحدث عن الحجاب والتطرف والقبيلة والعشيرة والثقافة السائدة والظاهر عنده مشكلة مع الفكر الإسلامي يريد أن يحشرها حتى في موضوع الإبداع والغريب أنه اعتبر القيود الأخلاقية الخاصة بالعلاقة الطبيعية بين الجنسين كما أسماها أحد معيقات الإبداع فكأن هناك علاقة رئيسة بين الجنس والإبداع كما قال : «إن الانشغال الجامح بالحاجة الجنسية يعطل القدرة على التفكير المنتج والإبداع في مرحلة مبكرة من حياة الفرد وتستمر معه حتى نهاية عمره الافتراضي في الإبداع المعرفي والخلاق» وأقول يفهم من كلامه أن المتزوجين مبدعون

وهذا ليس بصحيح ولو فتحنا كل الأبواب للجنس غير المشروع فلن يتحقق الإبداع أبدا وأضيف إلى ذلك أن الإسلام يدعو للزواج ويشجعه فهو ليس عائقاً أمام ترشيد غرائزنا ولا يدرك الكثيرون أن الفساد الأخلاقي أشد خطرا على المجتمعات من المخدرات لأنه يؤدي إلى الغرق في المستنقع الجنسي مما يجعل الفرد بعيدا عن دينه وقضايا وطنه بل بعيدا عن ربه والمبادئ الصحيحة وعن الأعمال الجادة بما فيها البحث العلمي فالشاب الفاسق لا يصلح زوجا والأب الفاسق لا يصلح قدوة لأبنائه هذا غير مصائب الخيانة الزوجية والشك والغيرة والكذب والفضائح والابتزاز . . . . . الخ .

٥ - سبب غياب الإبداع في مجال العلوم المادية وفي مجال الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية . . . . .الخ هو ما يلي :-

أ- غياب الميزانيات الكبيرة للبحث العلمي فالدول العربية لا تصرف حتى ١٪ مما تصرفه الولايات المتحدة على البحث العلمي فكيف نبدع والبحث العلمي يعيش عندنا في فقر مدقع والبحث العلمي بحاجة إلى أموال كثيرة جدا حتى يحقق أبحاثاً متميزة يتم تطبيقها والاستفادة منها «اختراعات» و 3٪ فقط من هذه الاختراعات يتم تطبيقها والاستفادة منها فإذا كان من البدهي أنه بلا ميزانية للتعليم لن يكون هناك تعليم فكذلك بلا ميزانية للبحث العلمي لن يكون هناك بحث علمي ومشايخنا ليسوا وزراء المالية أو رؤساء الوزارات حتى نلومهم على تقصيرهم في هذا المجال .

ب- غياب السياسة العلمية والتكنولوجية الصحيحة فالقليل الذي يتم صرفه يذهب أكثره هباء منثورا حيث العلاقة بين المجتمع والحكومة والصناعة وبين البحث العلمي علاقة غير صحيحة في أغلب دولنا العربية فأهل التنمية في واد وأهل

العلم في واد آخر والاتصال بينهم يتم بالصدفة .

ت- انشغال أغلبنا بالاهتمام بالقضايا السياسية والاقتصادية والفكرية جعلنا ننسى بل نتجاهل البيئة العلمية وكيف نطورها فهذه القضية غير موجودة في اهتمام الشعوب والحكومات بل إنها غائبة حتى عن اهتمامات المثقفين والمتعلمين .

ث- الأغلبية الساحقة من شعوب الأمة العربية مشغولة باحتياجاتها اليومية فالفقر يجعل الكثيرين مشغولين بقوتهم وقوت أطفالهم كما أن التعليم حديث نسبيا في الأمة حيث أن الأمية كانت تشكل قبل خمسين عاما أكثر من ٨٠٪ وإذا أضفنا إلى ذلك الضعف والتفرق السياسي والتخلف الإداري والتنازع العقائدي والفتن التي تشعلها العلمانية واليأس الذي ينشره العلمانيون وقلة المخلصين ومؤامرات الأعداء التي تستنزف مواردنا المحدودة وغياب التخطيط أو ضعفه كل هذا وغيره سيؤدي إلى تدمير بيئة الإبداع الفكري والمادي .

٦- إذا كان الدكتور أحمد يرى أن المشايخ والإسلاميين هم سبب تخلفنا العلمي فإن معنى ذلك أن العلمانيين العرب والمتأثرين بالعلمانية ممن لا يخضعون للمشايخ ويعيشون العلاقة الطبيعية بين الجنسين كما أسماها لديهم بيئة الإبداع المناسبة ومع هذا لم نر إبداعاتهم المادية واختراعاتهم وتأثيرها الكبير أو حتى الصغير في التنمية والاقتصاد فأما أن هؤلاء قلة قليلة لا تأثير لها إلا في مجال الكلام والاتهام أو أنهم كثيرون ولكن ليس لديهم إخلاص للبحث العلمي لأنهم مشغولون بالاهتمام بالمناصب أو الأموال أو الشهرة أو الخمر أو النساء أو الانعزال أو اليأس أو بعض ذلك ولكل إجابة نتائج منطقية آمل أن يفكر فيها الدكتور أحمد تفكيرا علميا عميقا .

العلمانية ليست خيرا

كتب الأخ العزيز الدكتور تركي الحمد كتيب صغير بعنوان «العلمانية ليست شرا» وكانت الأفكار الرئيسة في الكتاب هي ما يلي :-

١ -البديل للعلمانية في لبنان أو الهند حيث تعدد الأعراق والطوائف والأديان هو العنف والدمار الشامل للوطن والبديل للعلمانية هو الأصولية الهندوسية فماذا سيكون وضع الأقلية المسلمة في مثل هذه الحالة؟ فالعلمانية هي الحل العملي الأفضل في مثل هذه الحالة .

٢- الديمقراطية ليست أفضل نظام سياسي واجتماعي على الإطلاق بل إن فيها من السلبيات الشيء الكثير ولكنها مقارنة بغيرها من أنظمة ، تبقى هي الأقل سلبية في هذا المجال أو ذاك أو على رأي ونستون تشرشل فإنها أفضل السيئين ، والناس مختلفين والديمقراطية تنظم الاختلاف والصراع والبديل هو التفتت الكامل .

٣-العلمانية أو الديمقراطية أو غيرها من مفاهيم وأنظمة قد تكون «بيضاء» هنا وسوداء هناك أو بين الأبيض والأسود هنا أو هناك فإن الأسود لا يبقى أسوداً على طول المدى ولا يبقى الأبيض أبيضاً على طول المدى وهذا هو أهم درس في اعتقادي يمكن أن نخرج به من ملحمة الإنسان على هذه الأرض .

٤ - كلها اجتهادات ، فما هذه النظم والحلول إلا محاولات واجتهادات للنظم ولكنها ليست شيئاً مطلقاً ، المهم هو الاعتراف بالاختلاف ، واحترام الاختلاف وممارسة الاختلاف في إطار سياسي واجتماعي وثقافي يصون الاختلاف ويمنع بالتالي تحوله إلى «خلاف» ينفجر عنفا ودما .

٥- العلمانية كتيار فلسفي وفكري ومن ثم أسلوب حياة لا تعني فصل الدين عن الدولة فقط بل إنها فصل بين العام والخاص فالقضية الدينية قضية شخصية بين العبد وربه ، أما القضية الدنيوية فإنها قضية عامة تنظم العلاقة بين الفرد والفرد ، والفرد والجماعة .

٦- ولم تتوقف المسألة عند تهم التكفير والخروج من الملة (عند المسيحيين) بل انتهت المسألة بمعارك دموية وقاسية سالت فيها الدماء وتحطمت الجماجم باسم المسيح والدين الصحيح ، وهذا شئ طبيعي ومنطقي لأي فريق أو فرق تدعي ملكية الحقيقة المطلقة والحق المعصوم .

والرد على الدكتور تركي الحمد هو بالآتي :-

١- اختيار الدكتور تركي للهند ولبنان كدولتين علمانيتين ليثبت أن «العلمانية ليست شرا» اختيار غير موفق فلبنان عبارة عن مجموعة أقليات دينية وطائفية وهي حالة استثنائية جدا بالنسبة لبقية الدول العربية التي يشكل المسلمون فيها ٩٥٪ من سكانها أو أكثر كما أن لبنان لا يصلح أن يكون قدوة في وضعه السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي حتى نعتبره نموذجا ناجحا أما بالنسبة للهند فليس صحيحاً أن العلمانية أنصفت المسلمين لأن ديمقراطية الهند تجعل السلطة والقرارات بيد الأغلبية الهندوسية فحزب المؤتمر الهندي والذي يحكم الآن حزب هندوسي متطرف فعلمانية الهند النظرية ليس لها تأثير حقيقي كبير على أرض الواقع فالمسلمون مواطنون ليس لهم وزن سياسي بحجم عددهم بدليل مواقف الهند المتصادمة مع المسلمين من عرب وغير عرب مثل موقفهم من باكستان وعلاقتهم القوية مع إسرائيل فإذا كانت هذه المساواة السياسية المزعومة فكيف بالمساواة العقائدية والثقافية والاجتماعية إنها وبلا شك أسوأ فلن تكون هناك فوارق حقيقية بين الدولة الهندوسية والدولة العلمانية بدليل أن أغلبية

مسلمي الهند اختاروا الاستقلال في سنة ١٩٤٨ مع أن الدولة كانت علمانية وتحت الحكم البريطاني العلماني وكان المشروع المطروح «دولة علمانية» ولكن المسلمين يقرأون الواقع والحقائق لا الادعاءات والآمال ومواد الدستور والقانون كما أن الدولة العلمانية «الفعلية» هي أفضل من الدولة الهندوسية ولكن هذا ليس دليلاً على أنها خير بل هي مقارنة بين نظام سيئ وآخر أسوأ .

٢ - من الطبيعي أن يعتقد كثيرون أن عقائدهم ومبادئهم هي الصحيحة وهي التي ستحل المشاكل التي تواجه الإنسان فقد قيل «كل بعقله راضي» ومن الطبيعي أن تكون هذه العقائد مختلفة ومتناقضة . والحل «السحري» الذي وضعته العلمانية هو أنكم أيها البشر أزعجتمونا باختلافاتكم وبالتالي لن نخضع لأي عقائد أو مبادئ ولن نحدد موقفنا من أي شيء وسنتجاهل قضايا كثيرة وسنركز فقط على القضايا التي لا نستطيع الهروب منها كبعض القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسنحلها بالتصويت أو الديمقراطية وليس بالعقل والدراسة والبحث . وبهذا سنرضيكم جميعا أو بالأحرى سنغضبكم جميعا فنحن لن نكون فكراً متكاملاً واضح المعالم بل سنتعامل بالتجزئة الفكرية وأقول الإنسان العاقل عندما يرى المبادئ والعقائد المتناقضة يتعمق فيها ويبحث عن الأدلة العقلية العلمية التي تثبت صواب أو خطأ هذا المبدأ أو ذاك لا أن يرفضها جميعا ويقول الحل هو فصل الدين بل كل المبادئ عن الدولة فأنا لا أؤمن تقريبا بشيء وعندي شك في صحة كل العقائد وعندما تهرب العلمانية من حل التناقضات الفكرية فهذا ليس حلاً علمياً لأن الهروب من البحث عن العلم والحقائق يعني الرضا بالبقاء في دائرة الجهل والضياع والحيرة وعندما تقول العلمانية أنها كلها آراء واجتهادات كما قال الدكتور تركي «كلها اجتهادات» فإنها تقول بصورة غير معلنة :

أيها الناس لا توجد حقائق وعلم في قضايا العقائد والنظم السياسية والاقتصاد والحياة الشخصية فلا أحد لديه الحقيقة المطلقة أي لا يوجد حق ولا باطل ولا علم ولا جهل وهذا قمة الجهل لأنه لا فائدة من العقل إذا لم يكن يوصلنا إلى الحق والصواب ففي العلمانية كلها آراء والمسألة نسبية والمقارنة هي بين سيئ وأسوأ فأقصى ما وصل إليه العقل العلماني أن ما يراه غير مقنع وغير صحيح وأن العقل عاجز عن بيان الحق من الباطل وبالتالي فالمسألة نسبية والجود من الموجود .

٣- تدندن العلمانية كثيرا على وجود اختلافات بين البشر وتجعل الديمقراطية والتصويت هو الحل السحري لكل الاختلافات وهذا خطأ كبير وتحميل الديمقراطية أكثر مما تحتمل بكثير فليست كل الاختلافات سياسية أو اجتهادية بل الغالبية الساحقة منها عقائدية واجتماعية وأخلاقية وهناك اختلافات أساسية لا تدخل مجال التصويت وحتى لو وجد عليها تصويت ورفض بعضها فلن يقبل أصحابها بالقرار السياسي لأنها باقية في عقولهم ونفوسهم عقائد واقتناعات يؤمنون بها فالاختلافات موجودة في كل الدول وعلى مدى التاريخ وسيطرت نظام حكم إسلامي أو مسيحي أو شيوعي أو غير ذلك ليس معناه اضطهاد كبير أو حتى صغير للآخرين فالمسألة ليست سحقاً للآخرين والتفتت الكامل وسينفجر الخلاف عنفا ودما كما يقول الدكتور تركي فهناك قوانين وأعراف وعلاقات وتجارة وتحالف وتوازنات وأوطان ومصالح وأعراق تتعايش فيما بينها ضمن ضوابط وأخلاق ومواثيق قال تعالى : ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (٢٥١) سورة البقرة فالبشرية عاشت دولاً وحضارات وإنجازات وثقافة وحوار قبل أن تعرف العلمانية أما الصراع فهو يحدث حتى بين أبناء الدين الواحد لأسباب مختلفة وبين الشيوعيين

وأيضا بين الدول العلمانية الرأسمالية حول المصالح المادية وغيرها فوجود الاختلاف لا يعني الحرب والاستئصال والعداء و وجود الاتفاق الفكري لم يمنع الصراع والحروب . فالعلمانية بمدارسها الرأسمالية والشيوعية هي التي كانت تتصارع طوال القرن العشرين لأن الدول الدينية في هذا القرن صغيرة ومحدودة فالدولة الإسلامية تعترف بالاختلافات بين البشر وتمارس هذا الاختلاف وتسعى أن لا يتحول إلى صراع لأننا لا نتصارع مع الناس لأنهم مختلفين معنا حتى لو كانوا كفاراً وجهلاء ومنافقين .

٤ - نعم الديمقراطية أحسن السيئين كما قال تشرشل وأقول هي أفضل من استبداد الفرد وحكم الأقلية ولكن الشورى الملزمة هي أفضل للوطن فلو اجتمع أفضل ٢٠٪ من الشعب ممن هم أكثر علما ووعيا وعقلا وأصدق ضميرا وإخلاصا وأمانة واختاروا قيادة الوطن وتشاوروا فيما بينهم حول قضايا الوطن المختلفة واتخذوا قراراتهم بالأغلبية فإن هذا أفضل من ديمقراطية يسيطر عليها الأغنياء أو الأعراق الكبيرة أو الإعلام الكاذب أو المصالح المتبادلة أو العسكريون الكبار أو الأحزاب السمينة أو غير ذلك كما نشاهد في الأغلبية الساحقة من «الديمقراطيات الحقيقية» فالفقير لا يستطيع أن يرشح نفسه في أمريكا حتى لو لم يمنعه القانون وكذلك المستقل عن الأحزاب الكبيرة لا أمل له في النجاح كرئيس لأمريكا وهكذا . فالعلمانية تحارب ارتقاء البشر إلى مستويات أرقى ليس فقط في عقائدهم وأخلاقهم بل حتى في نظمهم السياسية وهذه نتيجة طبيعية لأنها ترفض الحق والنور الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباعه .

٥ - ليس صحيحا ما يقوله الدكتور تركي الحمد أن المفاهيم كالعلمانية وغيرها قد تكون بيضاء هنا وسوداء هناك فالحق حق والباطل باطل فالحقائق المادية والفكرية ثابتة فالحق

لا يتحول باطلاً والباطل لا يتحول حقاً بمرور الزمن ونأسف لأن الدرس الأهم الذي خرج به الدكتور تركي من ملحمة الإنسان على هذه الأرض غير صحيح ولو كان صحيحاً لكان معناه أن الكفر يصبح حق والتوحيد سيصبح باطل وأن القتل سيصبح فضيلة وأن التسامح سيصبح رذيلة . . . . الخ وإذا كان الدكتور تركي يقصد أن العلمانية «أنقذت» أوربا من الصراعات الدينية فهذا لا يعني أنها أصبحت بيضاء بل هي أوقعتهم أحيانا بصراعات أشد من الصراع الديني الذي كان موجوداً كما شاهدنا في الحروب العالمية الأولى والثانية فمثل العلمانية كمثل ثورة على حكومة ظالمة يصفق لها الناس ثم بعد مرور الزمن يرون منها ظلما أشد فاقتناعهم بأنها ثورة مباركة وعلى حق هو وهم وسراب فالحقيقة تبقى بيضاء ناصعة سواء رآها الناس كذلك أو لا والعكس صحيح فالشورى مبدأ صحيح وأبيض ولكن إذا تم مشاورة جهلاء أو أعداء فليس معنى هذا أن الشورى سوداء لأنها أعطتنا نتائج سيئة بل استخدامنا لها خطأ وليس من العقل والحكمة أن نغرق بل أن ندخل في مصطلحات وآراء الفلسفة واجتهادات المفكرين العلمانيين حيث هناك الكثير من الجدل والضياع والتفكير الملوث فالحياة تحتاج معرفة الحقائق ثم العمل على تطبيقها قدر ما نستطيع أي نحتاج إلى علم وعمل كثير وكلام قليل وأضيف إلى ذلك هو أن ما تقوله العلمانية عن أوربا بأنها كانت تعيش في ظلام حالك وقتال وحروب طائفية وتخلف علمي وجهل لا محدود لقرون طويلة . . . . . . الخ فيه كثير من المبالغة كأن ليس فيها بعض الملوك العادلين وكثير من المسيحيين الطيبين وكثير من السلام والأمن وغير ذلك ولو نظرنا للكنائس والقصور والتاريخ لوجدنا علماً وعملاً وإخلاصاً ومفكرين ومباني جميلة وغير ذلك فالعلمانية تعيش على تشويه الآخرين بصورة كبيرة ومبالغ فيها

وعلى ادعاء العلم والتسامح والعدل لنفسها بصورة مبالغ فيها بل أحيانا كاذبة ونفهم أن يحدث هــذا فـي المجال السياسي والحياة السياسيــة ولكـن أن يحدث فـي مجال الفكر والعقائد والمبادئ فهو أمر مرفوض فالعلمانية تسلط الأضواء على الكنيسة عندما انحرفت وتحولت إلى مصالح دنيوية ومناصب وأصبحت تضطهد بعض علماء المادة أما الخير الذي عملته الكنيسة قبل ذلك فكأنه غير موجود ولو كانت المسيحية بهذا السوء لما وجدنا الغرب حتى يومنا هذا يفخر بمسيحيته ومن الخطأ محاكمة التطبيقات السيئة فالمفروض أن نقرأ المبادئ بصورة مجردة عن الواقع ونبحث عن الأدلة العقلية التي تستند لها ونناقشها . لأن كل المبادئ بما فيها العلمانية يطبقها أحيانا من لا يؤمنون بها أو من يؤمنون بها بصورة خاطئة .

٦ - إذا كانت المبادئ الدينية تتهم بعضها بالتكفير وأحيانا تتهم طوائف داخلها بالتكفير والخروج من الملة فهذا ليس بالضرورة أن يؤدي إلى الاقتتال كما أن الحل هو أن نعرف من من الأديان والطوائف هو على حق وإيمان وذلك باستخدام العقل البشري لا أن نرفض الأديان لهذا السبب كما أن اتهامات العلمانيين لبعضهم البعض ليس فيها اتهامات بالكفر لأنهم خارج دائرة الإيمان الحقيقي أصلا ولكن الاتهامات بينهم كثيرة جدا فهؤلاء يتهمون بأنهم ضد العمال والمسحوقين والكادحين وهؤلاء بأنهم ضد الحرية والقطاع الخاص وهناك اتهامات بالعمالة والخيانة والتآمر والاستبداد والإمبريالية فالثورات العلمانية هي أكثر الثورات دموية وعنفا ليس فقط ضد شعوبها بل أيضا بين أصحاب الثورة فإذا كان أهل الأديان يختلفون وأحيانا يتصارعون لأنهم يريدون أن يطبقوا الحق والصواب فإن أهل العلمانية يختلفون ويتصارعون لأنهم يختلفون مع الآخرين اختلافات «اجتهادية» أو على مصالح دنيوية من رغبة في الحكم والمال

والاستعمار والمجد الشخصي و«الغرور العقلي» والحقد الطبقي والعرقي .

٧- عندما نتكلم عن الدين فإننا نتكلم عن الإسلام لأن الأديان كثيرة منها من يؤمن بأكثر من إله ومنها من يؤمن بأن روح الميت تعود لتسكن في حيوان ومنها من يعطي مكانة عالية للسحرة ومنها من يهمل الجوانب المادية في الحياة ومنها من يعطي بعض القدرات الإلهية لبشر وهناك أحكام واقتناعات دينية في القضايا التشريعية والشخصية واضح أنها خاطئة ومرفوضة عقلا وبالتالي فالعلمانية قد تكون أرقى من كثير من هذه الأديان المنحرفة وليس من حق العلمانية أن تظهر بصورة المنقذ للبشرية وذلك لأنها تقارن نفسها بعقائد متخلفة كما أن الإسلام رفض هذه الأديان من قبل خمسة عشر قرنا واثبات العلمانية لانحرافات في هذه الأديان ليس بحد ذاته دليلاً على أن عقائد العلمانية أرقى لأن العلمانية «الأصلية» ليس لها عقائد فقاعدتها هي إتباع العقل والعلم وهذه القاعدة صحيحة ولكنها لم تلتزم بها العلمانية . ونذكر هنا كذلك أن هناك عقائد وعادات وتقاليد تنسب للإسلام والإسلام بريء منها فالإسلام ضد الطاعة العمياء لعلماء أو حكام وضد عبادة القبور وضد التصوف المنحرف وضد اقتناعات تضطهد المرأة فالمقارنة التي ندعو لها هي بين الإسلام الصحيح والعلمانية الصحيحة وكثير ما وجدنا العلمانيين يخلطون الأوراق ويبتعدون عن الحوار في هذه الموضوع فهم يتكلمون عن الديمقراطية أو الواقع أو التطرف الإسلامي أو المواقف السياسية أو الأسلوب العلمي أو غير ذلك .

٨- العلمانية ليست قضية دنيوية والدين ليس قضية شخصية أو أخروية فالعلمانية عقيدة ومبادئ والدين عقيدة ومبادئ ولكن العلمانية تريد أن تقنع الناس أن الدين قضية شخصية بين العبد وربه وهذا كذب لأن الإسلام دين ودولة والعلمانية تعرف

ذلك والإسلام ينظم كثيراً من الجوانب الدنيوية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفيه تنظيم لعلاقة الفرد بالفرد والجماعة بالجماعة والأفراد بالدولة وإذا كانت الكنيسة قبلت كما يقول الدكتور تركي في نهاية المطاف أن تكون مجرد شأن خاص وشخصي لا أثر له في حياة المجتمعات الأوربية فهذا القبول لن يتحقق مع الإسلام إن شاء الله لأن الحقائق الفكرية هي أقوى بكثير من اتهامات وأكاذيب وأوهام العلمانية وأقوى بكثير مما تملكه اليوم الدول العلمانية من مال وقوة عسكرية واقتصاد وإعلام لأن الباطل مهما ظهر كأنه كبير وقوي هو ضعيف وكما سقط الاتحاد السوفيتي كنمر من ورق ومن داخله ستسقط العلمانية الرأسمالية لأن بوادر فشلها العقائدي والاجتماعي أصبحت واضحة ومشاهدة في إحصائيات الطلاق والجرائم والأطفال غير الشرعيين والقلق والأمراض النفسية والضياع العقائدي والمادية والأنانية والفساد الأخلاقي . . . . . . الخ قال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (٥١) سورة غافر وقال تعالى : ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٤٠) سورة الحج .

إصلاح العقل . . أمن علمي

كتب الأخ العزيز الدكتور محمد جابر الأنصاري بتاريخ ٦ مايو ٢٠٠٤ في جريدة القبس مقالاً بعنوان «إصلاح العقل . . . أمن قومي» وتطرق فيه إلى قضايا كثيرة تتعلق بالعقل والواقع العربي وأحببت أن أعلق عليها لحاجتنا الماسة لحوار جاد وعميق حتى نحسم الخلاف في مواضيع كثيرة تكرر طرحها وإليكم وجهة نظري :

١ - قال الدكتور الأنصاري : ما دام الإصلاح ينبع من الداخل فلماذا لم ينبع جذرياً طوال هذا الوقت وكيف السبيل للشروع فيه بجدية الآن وقبل فوات الأوان لأن التاريخ لا ينتظر أحداً» «حتى لو كنا أحد أبطاله الأولين» وأقول ليس صحيحاً أننا كنا أحد أبطال التاريخ الأولين فقط فقبل مائة عام انهارت الخلافة العثمانية التي كانت أحد أبطال التاريخ في العصر الحديث وكان الترابط الأسري وبين الجيران قوياً قبل عقود قليلة في الغالبية من شعوبنا وهذا رقي اجتماعي هائل وليس صحيحاً أننا كنا نعيش في ظلمات بعضها فوق بعض في كل المجالات أو حتى أغلبها ويكفي أن نقرأ شعر أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله وهو المثقف الواعي حتى نعرف كم كانت العلاقة قوية بين أغلبية العرب وبين الأتراك والدولة العثمانية والمطلوب أن نبتعد عن المثالية وعن قراءة تاريخنا وواقعنا من مصادر أجنبية من كتب وصحف وتلفاز تصور لنا تاريخنا وواقعنا بأنه مليء بالظلم والاستبداد والتخلف ولم يوجد فيه تقدم وإصلاح . كما أن هناك خطوات إصلاحية كثيرة حدثت في العالم العربي خلال الخمسين سنة الماضية فما حدث في دول الخليج هو قفزات كبيرة للأمام وأحذر من الهزيمة النفسية واليأس والتشاؤم لأنها أحد المعوقات الرئيسة لمزيد من النجاح في الإصلاح .

٢ -قال الدكتور الأنصاري «إن مواطن الألم في الجرح العربي الراهن هو أن التحول النهوضي الحديث لم يكتمل بعد ، وتعثره لا يعود أساساً في تقديرنا لمثالب ذاتية في العرب على كثرة نواقصهم فمرده إلى أسباب تاريخية موضوعية امتدت إلى واقعهم المعاصر ولم يحسموا تطاولها عليهم» وأقول ليس من الإنصاف تحميل التاريخ مسئولية الحاضر وهذا يتعارض مع ما قاله الدكتور الأنصاري في الفقرة السابقة بأن الإصلاح ينبع من الداخل وأعتقد أن ما نحصده في واقعنا الحاضر من خير وشر هو ما زرعناه نحن بأيدينا فنحن لا نستحق أكثر ولا أقل مما نشاهده في واقعنا وللإمام ابن القيم قول جميل في ذلك في كتابه «مفتاح دار السعادة» حيث قال «فولاتنا على قدرنا ، وولاة من قبلنا على قدرهم ، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها ، ومن له فطنه إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الألهية سائرة في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه كما في الخلق والأمر سواء» فالأغلبية الساحقة من أوراق الإصلاح بأيدينا كشعوب وحكومات فنحن نستطيع تغيير عقائدنا ومبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا ونوايانا وأعمالنا ونحن نستطيع أن ننسى التاريخ كله أو نلتزم به كله أو نصفه واقتناعي بأننا حققنا الكثير لا ينفي حاجتنا للكثير من الإنجازات ووجود عيوب وسلبيات ذاتية في نفوسنا وعقولنا وأيدينا فرصيدنا من العلم والعمل والإخلاص متواضع نسبياً وإذا كان رصيدنا من العلم زاد خلال العقود الأخيرة فإن رصيدنا من الإخلاص والوطنية والعروبة قد نقص كثيراً .

٣ - قال الدكتور الأنصاري «ونأمل ألا يفوت الفكر الإسلامي فكر النهوض الشرقي (دول شرق أسيا) كما فاته النهضة الغربية بمعنى التعلم منه ، لا التعالي الأجوف عليه» .
وأقول من حق الفكر الإسلامي التعالي على الفكر الغربي العلماني لأن الفكر الإسلامي

أرقى وقائم على العلم واليقين في حين أن الفكر العلماني متخلف وقائم على الجهل والظن والتناقض فمن حقنا أن نتعالى على ضياعهم العقائدي وتفككهم الاجتماعي وفسادهم الأخلاقي ونتصادم معه فهذا عين العقل والعلم والوعي وأنا هنا أتكلم عن الفكر الإسلامي لا واقع العرب فالواقع مرير وبعيد عن الالتزام بالإسلام في كثير من جوانبه ولا يحق لهذا الواقع أن يتعالى على الغرب إلا في بعض الجوانب والأغلبية الساحقة من عقلائنا تعترف للغرب بإيجابياته ولا تنكرها بل لا تستطيع أن تنكرها فاتهام الغرب بأنه منحط على الإطلاق رأي شاذ لا يستحق أن نناقشه وأنبه هنا إلى أن التصادم حدث لأن العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية من العرب حاولوا أن ينقلوا لنا التخلف العلماني لا التقدم التكنولوجي والإداري بل إن بعضهم دخل في دائرة الولاء السياسي للغرب وقد تطرقت لذلك في كتب ومقالات كثيرة يمكن الرجوع لها أما بالنسبة للتقدم العلمي التكنولوجي والإداري الغربي فقد أثبتنا استعداداً للتعلم منه وتخصص ملايين من المسلمين في مجالات الهندسة والعلوم والطب والإدارة فلم توجد معوقات فكرية إسلامية تمنعنا من ذلك .

٤ -قال الدكتور الأنصاري «حقاً هذا الغرب إن كان منحطاً إلى هذه الدرجة التي نتصورها كيف ساد ويسود العالم منذ قرون» وأقول سيادة الغرب لا تتعارض مع انحطاطه العقائدي والاجتماعي والأخلاقي لأنه جمع نقاطاً كثيرة من تقدمه السياسي والاقتصادي والإداري والتكنولوجي في حين أننا خسرنا في واقعنا نقاطاً كثيرة في أغلب هذه المجالات فالمحصلة النهائية أن الغرب أفضل بالمقاييس الدنيوية ويكفي إن أقول أن قوتنا الفكرية لسنا ملتزمين بها أي غير فعالة في واقعنا فواقع الغرب سيئ وواقعنا أكثر سوءاً وأنبه هنا أن المبادئ التي قام على أساسها تطور الغرب السياسي

والاقتصادي تتفق لدرجة كبيرة مع مبادئنا وخاصة ما يتعلق بها من ديمقراطية وحرية الرأي وأهمية القطاع الخاص .

٥- أتفق مع الدكتور الأنصاري بحاجة مجتمعاتنا إلى عقد اجتماعي جديد يناسب كل مجتمع وتبني مشروع سياسي جديد بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية بعيداً عن الشعارات والعموميات وأضيف إلى ذلك أن هناك نقصاً حاداً جداً في هذا المجال فالحكومات والأحزاب السياسية والجماعات الإسلامية لم يقدموا شيئاً يذكر يؤدي إلى تحقيق تطور سياسي حقيقي بل حتى المجالات الإدارية والتعليمية والعلمية والاقتصادية لا توجد فيها خطط وبرامج مقترحة من القوى الشعبية فنحن نعيش في عالم من العموميات والاتهامات والجدل وأحمل جزءاً من مسئولية هذا التخلف للعلمانيين والمتأثرين بالعلمانية لأنهم أشغلوا الأمة خلال الخمسين سنة بالفتن العقائدية والسياسية والاجتماعية مما استنزف طاقات كثيرة كما أن تقدمهم الهائل في توجيه الاتهامات الباطلة شوه كثيراً من أهل الإخلاص سواء كانوا في حكومات أو قوى شعبية أو أفراد .

٦ -قال الدكتور الأنصاري «إن الإيمان والعقل وإن التقيا بداية في مسيرتهما نحو الحقيقة فإن لكل منهما نهجه الخاص به ، ولا مفر من إفساح «تعايش الاختلاف» في الثقافة العامة للمجتمع بين منطق الإيمان ومنطق العقل ، دون فرض نتائج نهائية على أي منها وبلا صيغ توفيقية أو تلفيقية مركبة تطابق بينهما قسراً في مخادعة للنفس لا تلبث أن تنكشف» ثم قال : «فللعقل طريقه وللإيمان طريقه ولابد من فتح الطريقين في تعايش خلاق ودون «خصام نكد» وأعلق على هذه العبارة بما يلي :

أ) من الخطأ أن نقول للعقل طريقه وللإيمان طريقه فهذا من البضاعة العلمانية الفاسدة فبالعقل عرفنا الأدلة العلمية على وجود الخالق وبالعقل عرفنا الأدلة العلمية على

صدق الأنبياء بما فيهم محمد ﷺ فالإيمان بالله ورسوله قائم على العقل وبالتالي فالإيمان بكل ما في الإسلام حدث لأننا سلكنا طريق العقل .

ب) إذا كان الدكتور الأنصاري يقصد أن هناك علماً فكرياً أي الإسلام وعلماً مادياً أي حقائق الفيزياء والكيمياء والأحياء والهندسة والفلك . . . الخ فلا يوجد إطلاقاً أي تعارض بينهما فلم يمنعنا الإسلام من إقامة الصناعات المتطورة ومن البحث العلمي في المجالات التي تفيد حياتنا .

ج) لا يوجد أيضاً أي تعارض بين الإسلام وأي اجتهادات فكرية صحيحة تفيد الناس وأي اجتهاد بشري يعارض آية قرآنية أو حديث نبوي فهو لا شك اجتهاد خاطئ يرفضه العقل السليم ولا شك أن مساحة الاجتهاد في الإسلام كبيرة فمثلاً لا يعارض الإسلام مبدأ الانتخابات أو تكوين الأحزاب السياسية أو حتى غيابها فهذه أمور يقدرها المسلمون ولا شك أن هناك فرقاً بين الشريعة والفقه فالشريعة لا تحتمل الصواب والخطأ أما اجتهادات العلماء فتحتمل ذلك ولسنا ملزمين بها وكنت أتمنى أن يحدد الدكتور الأنصاري أين وكيف يحدث الخصام النكد حتى نناقش شيئاً محدداً ونثبت صوابه أو خطأه باختصار لا يوجد تعارض بين النقل والعقل لأن العقل هو الذي قال أن النقل صحيح والأصوب أن نقول النص والاجتهاد أو الحقيقة والرأي لا العقل والنقل كأن بينهما تعارض .

د) قد يقول قائل أن بعض حقوق الإنسان تخالف الإسلام وأقول نعم ولكن هذا لا يعني أن هناك تصادماً بين العقل والإسلام فحقوق الإنسان اجتهاد بشري يحتمل الصواب والخطأ فإذا أعطى ميثاق حقوق الإنسان الحرية في الزنا فهذه حرية خاطئة أي انحراف وفساد . ولا أقول ذلك انطلاقاً من تعصب لمبادئنا الإسلامية بل العقل

السليم هو الذي أثبت أن مبادئنا الإسلامية صحيحة فنحن نتعصب للحق والعلم فصواب أو خطأ المبادئ يحددها العقل لا هيئة الأمم المتحدة ولا أمريكا .

هـ) أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نلتزم بالإسلام بقدر ما نستطيع وبما يتناسب مع واقعنا وظروفنا ودور علماء الإسلام هو دور الخبراء الدستوريين والقانونيين ويقدر أهل الحكم والسياسة ما يناسب الواقع وهم أصحاب الكلمة الأخيرة وكذلك يفعل الشعب في مختلف شؤونه والدولة الإسلامية ليست دولة دينية بل دولة مدنية وإذا كان المسلم الملتزم لا يواجه أي مشكلة حقيقية في التزامه ويمكن أن يعيش ناجحاً في حياته الشخصية وعمله وهذه نماذج نشاهدها بأعيننا فكذلك لن تواجه الدولة المسلمة أي مشكلة حقيقية من التزامها بالإسلام فلم يكلفنا الله سبحانه وتعالى ما لا نطيق أو يتعارض مع مصالحنا الحقيقية فلا توجد مشكلة في استيعاب الآخرين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية ولا توجد مشكلة في التعامل مع الدول غير الإسلامية فتمسكنا بالإسلام لا يتعارض مع الواقعية السياسية كما أن الواقعية السياسية لا تعني أن نتخلى عن مبادئنا ونتأثر بغير ضوابط بالغزو الفكري العلماني وبأهل الأهواء والجهل .

٧-قال الدكتور الأنصاري «ومن لوازم إصلاح «العقل» حرية الفكر «عليها أن تشق طريقها بلا وصاية أحد سواء كان مصدرها الجمهور أو السلطة أو الوعاظ ففي البدء كانت حرية العقل مسؤولة فقط أمام معطيات الحقيقة والمعرفة» وأعلق على هذه العبارة بما يلي :

أ) إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكر في خلقه والحياة وجعل العلماء ورثة الأنبياء وأمرنا بإعمار الأرض وهذا لا يكون إلا بالعلم الفكري والمادي فأبواب العلم

والبحث العلمي لا شك في أهميتها وأولويتها في الإسلام ولكن ليس من حرية الفكر انتقاد الذات الألهية أو التهجم على الدين والتشكيك فيه أو توجيه الاتهامات إلى الرسول ﷺ أو البحث في أعراض الناس أو شتمهم وهذا ليس تقييداً لحرية الفكر بل وضع ضوابط لها فنحن لا نرضى أن يشتم أحد آباءنا أو أمهاتنا أو أوطاننا ولا نقبل أن يسخر منهم وتتعامل الأغلبية الساحقة من شعوب الأرض باحترام كبير مع حكامها مع أنهم بشر فيهم الصالح والطالح فما بالك بالأنبياء المعصومين الذين هم خير البشر .

ب) لا توجد كما قلت مشكلة حرية فكر حقيقية إلا تلك التي تواجه الزنادقة من العرب ممن يريدون التشكيك في الدين ونشر العلمانية الرأسمالية أو الشيوعية أو غيرهما ونحن لا نتكلم عن أشباح بل كفر هؤلاء يعرفه الكثيرون وثبت بأحكام قضائية وأقوال علماء قديماً وحديثاً . أما من يريد أن يناقش المبادئ الدينية والعلمانية نقاشاً علمياً محترماً فهذا ما فعله الرسول مع المشركين وأهل الكتاب وفعله علماؤنا معهم وذكره أيضاً الدكتور الأنصاري في مقاله ففكرنا هو الفكر الصحيح ولا نخشى عليه الحوار بل أمرنا الله سبحانه وتعالى بنشره ودعوة الناس إليه وهذا ما فعله الأنبياء الذين هم أفضل البشر . كما أنه ليس من حرية الفكر إثارة الغرائز الجنسية في قصص تافهة واستخدام الألفاظ البذيئة ويجب أن نُشكر على هذه القيود التي تحمي الأخلاق لا أن نُتهم بأننا ضد حرية الفكر . ولنتذكر أن الإفساد الذي تحققه بعض الكلمات أشد بكثير من قنابل قوية تقتل الناس وتدمر الممتلكات فليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال صحيحاً .

ج) قال تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة :١٣٤) . لسنا بحاجة لأن نضيع جهوداً كبيرة لكتابة التاريخ الإسلامي فما يهمنا هو القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وسيرته حتى نبني عليها حاضرنا ومستقبلنا ولا يوجد في تاريخ الدول الإسلامية شئ معصوم بما فيهم الصحابة رضوان الله عليهم وفي تاريخنا صفحات كثيرة بيضاء وهناك أيضاً صفحات سوداء وتاريخنا هو أفضل من تاريخ الأمم الأخرى إذا حدثت مقارنة عادلة فتاريخ أوروبا ملئ بالاستبداد والإقطاع والجهل والحروب العالمية وغير العالمية والضياع الفلسفي العلماني والتناقضات الفكرية والاستعمار للشعوب وقتل المدنيين والعصبيات العرقية . . . الخ وكل هذا موثق في حين أن البعض يصدق كل الروايات الصادقة والكاذبة عن الصفحات السوداء في تاريخنا ويرفض ويشكك في الروايات الصادقة التي تتحدث عن الصفحات البيضاء .

د) قول الدكتور الأنصاري «حرية العقل مسئولة فقط أمام معطيات الحقيقة والمعرفة) يفرض أن نقول ما هي معطيات الحقيقة والمعرفة وفي أي كتاب نجدها «أو من يحددها» هل هم الفلاسفة والعلمانيون المتناقضون الذين وصولوا إلى نتيجة نهائية بأنه لا توجد حقائق فكرية (أي مبادئ) كلها أراء والأمور نسبية ولا يوجد كما نعتقد شئ نطلق عليه حقيقة إلا القرآن والأحاديث أما المرجعيات العلمانية سواء كانت دستوراً أو قانوناً أو عقداً اجتماعياً فهذه أشياء يمكن تغييرها ولا تصلح لأن تكون ميزان يحتكم إليه لأن عندنا دساتير كثيرة قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحديد :٢٥) ولا توجد مرجعية في أمريكا إلا أراء الشعب ورأي

الشعب لا ملامح له لأنه شئ يتغير ويتأثر بالمصالح والأهواء والأعلام وأراء الفلاسفة والأحزاب قال تعالى على لسان نبيه يوسف ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة يوسف :٣٩) .

٨- نجحت العلمانية الغربية في إقناع كثيرين أنها من اخترعت الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وقبول الآخر والحوار مع الآخر . . . . . الخ ونجحت في إقناع الكثيرين بأن الإسلام هو رمز الاستبداد والإرهاب والتعصب الديني والجمود العقلي وقد تطرقت إلى كثير من هذه المواضيع في كتب ومقالات بينت أن أغلب ما تقوله العلمانية خاطئ والقليل منه هو الصحيح وأكتفي بالقول أن العلمانية وأفكارها وحكوماتها وشعوبها هم الذين أشعلوا الحروب الكثيرة في القرن العشرين من بينها حربين عالميتين مات بهما أكثر من خمسين مليون من البشر معظمهم من الأطفال والمدنيين وتعتبر الولايات المتحدة اليوم هي الدولة الاستعمارية الأولى فهي تتدخل في حرية وسيادة الدول الأخرى فتهاجم عسكرياً وتحارب اقتصادياً وتتآمر سياسياً وتعادي عقائدياً فهي حليفة إسرائيل المتمردة على قرارات الأمم المتحدة وهي التي احتلت العراق مع وجود معارضة الأمم المتحدة وهي التي كفرت بميثاق جنيف المتعلق بأسرى الحرب مع أنها إحدى الدول الموقعة عليه وأقول وأكرر إن أكبر عملية تزوير فكري حدثت بالتاريخ هي تلك التي قامت بها العلمانية فادعت أنها قائمة على العقل والعلم الفكري وهي أشد الناس رفضاً للعقل والعلم الفكري فهي قائمة على الشعارات والأهداف العامة والأوهام والمشكلة أن كثيراً من الناس لا يتعمقون في دراستهم للعلمانية .

٩- جزء أساسي من تخلفنا راجع لغياب الإصلاح العلمي أي تطوير رصيدنا من العلم الفكري (الإسلام) والعلم التكنولوجي والعلم الإداري والاقتصادي والسياسي فما

نصرفه كدول عربية على المعاهد العلمية لا يصل حتى إلى ٢٪ مما تصرفه الولايات المتحدة سنوياً وإذا أضفنا إلى ذلك ما صرفته الولايات المتحدة خلال الثلاثين سنة الماضية يتضح الفرق الهائل فخططهم وبرامجهم وقراراتهم تستند إلى كم هائل من الدراسات والأبحاث في حين أن كثيراً من القياديين في مجتمعنا ليسوا مدركين لضرورة زيادة ميزانيات البحث العلمي بل أن كثيراً من مثقفينا لا يدركون ذلك وآراؤهم ومقترحاتهم في الغالب هزيلة لأنها مجهودات فردية تفتقد الشمولية والعمق لقلة المعاهد العلمية وضعف الموارد البشرية والمالية المخصصة للعلم والعقل والتفكير فلدينا نقص شديد في العالم العربي في المعاهد العلمية حيث تتجمع العقول الواعية المخلصة لتبحث وتفكر وتناقش ونحن نفتقد البيئة العلمية ولهذا نفتقد الأمن العلمي .

طريق العقل والإيمان واحد

كتب الأخ العزيز الدكتور محمد جابر الأنصاري في القبس بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠٠٤ مقالاً بعنوان (العقل والإيمان : نحو تعايش الاختلاف) ويظن الدكتور محمد (أن دعوة التطابق التام والمطلق بين العقل والإيمان مقولة خاسرة) (وأن أكبر خطأ وقعت فيه التوفيقية العربية الإسلامية الحديثة إصرارها على أن الدين والعقل يتطابقان ويتفقان تمام الانطباق وتمام الاتفاق) واستخدم الدكتور محمد مصطلحات مثل (العقل الديني) و(العقل الحديث) و(منطق الديالكتيك الحديث) و(خطاب إيماني وديني خالص) و (خطاب عقلي) و (منطق أرسطو) و (جدلية العناصر) و(الطبيعة والجوهر) و (التاريخ الديني) . . . . . . .الخ وتعليقي على ما كتب هو فيما يلي :

١ - أتمنى من الأخ الدكتور محمد أن يبتعد عن التأثر بالفلسفة وأساليبها ومصطلحاتها وجدلها وتعقيدها للأمور و(تفلسفها) فأغلب ما تقوله ليس من العلم الفكري ولا العلم المادي وهو يؤدي إلى تشويه الحقائق وتضييعها . فلا يوجد طريق للعقل وطريق للإيمان كما تظن الفلسفة والعلمانية وهما وجهان لعملة واحدة اسمها الضياع والجهل . فبالعقل السليم أثبتنا وجود الله سبحانه وتعالى وصدق رسول الله ﷺ وبقية الرسل صلوات الله عليهم وسلامه . فالإيمان بصدق ما في القرآن والسنة هو نتيجة لاستخدام العقل بطريقة صحيحة أي أن ما في القرآن والسنة حقائق علمية فكرية أثبتها العقل السليم . فإذا قال العقل العلماني أن فصل الدين عن الدولة حق وصواب فإنه لا يستطيع إثبات ذلك بأدلة علمية يقينية وليست ظنية وما يقدمه من إيجابيات لهذا الفصل ليس أسلوباً علمياً لإثبات أنه حق لأنه يمكن تقديم بالعقل أيضاً سلبيات لهذا

الفصل وتقديم أدلة يقينية من القرآن والسنة تثبت أنه باطل وخطأ . فليس كل عقل بشري سليماً فهناك عقول بشرية اقتنعت بالشيوعية والوجودية وأديان باطلة . . . . الخ . فطريق العقل والإيمان (الإسلام) هو طريق واحد وما خالفه هو طريق الجهل حتى لو أنتجته عقول بشرية لفلاسفه ومفكرين علمانيين ولنتذكر أنه لا يوجد عقل واحد نحتكم إليه بل عقول البشر بعدد البشر وفيها عقول سليمة وعقول ضائعة فلا يوجد طريق واحد للعقل أي هناك طريق للعقل السليم وطرق كثيرة للعقل الجاهل ولو سلمنا جدلاً بأن طريق العقل هو طريق العلمانية فلا شك أن طريق اللاعقل هو طريق الإيمان أي أن الإسلام ليس قائماً على العقل والعلم والبصيرة أي أن المشركين والزنادقة هم أهل العقل أما المؤمنين فهم أهل السذاجة والسطحية والجمود والتخلف .

٢ - الإسلام هو حقائق علمية فكرية تحدد عقائدنا وأخلاقنا وقوانينا أما اجتهادات العلماء وآراء المؤرخين واقتناعات بعض المسلمين في أحداث سياسية أو تاريخية فهي أمور تحتمل الصواب والخطأ فلا يوجد تاريخ ديني وتاريخ سياسي بل تاريخ واحد ولا يوجد اجتهاد ديني واجتهاد عقلي بل اجتهاد علمي مكون من الدين والعقل معاً . والأسلوب العلمي للوصول إلى الصحيح من اجتهادات العلماء الفكرية معروف وله قواعده الفكرية الفقهية أما حل الاختلاف حول تاريخ البشر أو تفسير الأحداث السياسية أو مشاكل الواقع فيتطلب تجميع أكبر كمية من المعلومات الواقعية وكذلك فهم الحقائق الفكرية الإسلامية لأن سنن الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى سنن (حقائق) مادية وسنن (حقائق) فكرية وإذا كان العقل (الحديث) عقل مادي علماني لا يأخذ إلا بالأمور المشاهدة أي السنن المادية فإنه عقل ناقص أو جاهل لأنه يخالف العقل السليم الذي أثبت وجود الله سبحانه وتعالى وصدق محمد ﷺ والذي من مبادئه أن الله سبحانه

وتعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويرزق من يشاء . . . . الخ فالغيب والحقائق الفكرية جزء من عالم الشهادة والدنيا حتى لو لم يرها العلمانيون ومن المهم جداً أن نبين أن العلم المادي يتعامل مع التجربة والمشاهدة والاستنتاج في الأمور المادية ولم يرفض أو يثبت الغيب لأنه ليس مجال عمله ومن هنا ندرك ضلال الزنادقة الماديين لأن العلم المادي لم يثبت ولم يقل أن الغيب غير موجود وإيمان هؤلاء بالعلمانية أو الإلحاد أو الشيوعية أو الرأسمالية هو اقتناع بأمور غير مادية ولم تثبت صوابها التجربة والمشاهدة والاستنتاج في علم الفيزياء أو الأحياء أو الفلك والغيب الشرعي ليس خرافات وأساطير لأنه يستند إلى إثباتات علمية (القرآن والسنة) وبعض أخبار الغيب لا تخضع إلى ميزان العلم المادي فبعض ألوان النعيم والعذاب يوم القيامة غير معقولة حسب هذا الميزان ولكن لأننا نعلم يقيناً أن الله على كل شئ قدير وهو الذي وضع الميزان الدنيوي وما أوتينا من العلم إلا قليلاً فمن السهل أن نؤمن بالغيب فنحن نؤمن بالروح والعلم المادي لم يثبت وجودها من خلال التجربة والمشاهدة والاستنتاج والطريف أن العلم المادي لم يثبت وجود (العقل) ولا أقول المخ فالعقل غيب وكذلك أصل الإنسان وأجزاء كبيرة من التاريخ فهذه أمور عرفناها من آثارها ولم نرها بأعيننا ولم يثبت العلم المادي وجودها فالإنسان الذي يقول أنا لا أومن إلا بالعلم المادي يجب أن ينكر كل هذه الأمور بل كثير من حقائق العلم المادي لا زالت مجهولة وغيب كأبعاد الكون وعلم الوراثة البشري .

٣ - جاء في القرآن الكريم أن الله سبحانه ينصر أولياءه كما نصر موسى عليه السلام وجاء في القرآن أنه لا مصيبة تقع علينا إلا بذنوبنا أو ابتلاء وأنه لا سعادة في الحياة الدنيا إلا للمسلم الملتزم وأن الشقاء من نصيب الكافر والعاصي . . . . الخ فإذا فهمنا هذه

الحقائق الفكرية وفهمنا الحقائق المادية والواقعية فأننا سنفسر الأحداث السياسية والشخصية بصورة صحيحة أو قريبة من الصواب وليس صحيحاً أن العقل السليم يرفض مبدأ أن الله ينصر أولياءه أو أن العلم المادي اثبت أن السعادة يمكن أن ينالها الكافر . ولكن في نفس الوقت تطبيق هذه الحقائق على الأفراد والدول والأحداث يجب أن يكون تطبيقاً صحيحاً قدر الإمكان وهو أمر يتعذر في كثير من الأحيان لكثير جداً من الناس ليس فقط لنقص في المعلومات الواقعية والفهم الصحيح للحقائق الفكرية بل أيضاً لسرية النوايا والإخلاص فهناك أعمال ظاهرها الخير والإيمان والجهاد والإسلام ولكن يتم عملها بأساليب خاطئة أو بنوايا فاسدة هدفها المصالح الشخصية أو الشهرة أو الخداع . وليس مطلوب منا كمسلمين أن نقضي جزء كبير من عمرنا في محاكمة وتفسير الأحداث القديمة والحديثة أو الحكم على الأفراد ومحاسبتهم فهذا أمر علينا أن نكتفي بالحد الأدنى منه وأن نركز أغلب عقولنا وجهودنا في عملية البناء الفكري الإسلامي للمجتمع والبناء المادي التكنولوجي لا إهمال ذلك والتركيز على الأراء والبشر والقيل والقال والتاريخ . قال تعالى بالنسبة للتاريخ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة :١٣٤) .

٤ - لا توجد عندنا كمسلمين أزمة ولا حتى مشكلة اسمها التوفيق بين العقل والدين أو بين العقل والنقل أو بين النص والرأي أو بين الإيمان والعقل ولا يوجد إطلاقاً صراع بين العلم الفكري (الإسلام) والعلم المادي . فلا يوجد طرفان متناقضان ومتصارعان إلا في أوروبا حيث تم تشويه بعض الأجزاء من الدين المسيحي وكذلك وجد تعصب للعلم المادي وتحميله ما لا يحتمل وما لم يثبت علمياً كالقول بأن أصل الإنسان قرد فالصراع بين فريقين ضائعين والمسألة لا تحتاج لتعقيد و(فلسفة) فبإمكان المؤمن بكل عقائد

الإسلام وأحكامه أن يكون مخترعاً أو مهندساً أو طبيباً وهذه أمثلة واقعية نشاهدها بعقولنا وعيوننا وتثبت أوهام التناقض بين الإسلام والعلم المادي . ولسنا بحاجة لأن (نغرق) في مصطلحات الفلسفة وما قاله أرسطو وأفلاطون وابن رشد والفارابي والعقل (الحديث) والعقل (التوفيقى) و(الثورة التكنولوجية الأوروبية) و (العقل العربي) و (العقل المسلم) . . . . . الخ فالغرق بذلك ليس من العلم المادي وليس من العلم الفكري بل هو من الضياع والجدل والجهل وأتمنى أن نقرأ كتاب (بنية العقل العربي) للدكتور محمد عابد الجابري حتى نقتنع بعدم حاجتنا لهذه الكتب لأنها محدودة الفائدة جداً بل بلا فائدة اللهم إلاّ اقناعنا أكثر بالابتعاد عن الفلسفة . ومن المهم أن نتذكر أننا لو أخذنا نعيش في ما قال العالم المسلم أو الفيلسوف الأغريقي أو المفكر الأمريكي أو الثورة البلشقية أو الفرنسية أو غير ذلك مما كتب الأولون والآخرون فإنه لن يكون لدينا وقت للعمل فالعلم هو قال الله وقال رسوله وقالت التجارب العلمية المادية في الكيمياء والفيزياء . . . . . . الخ والعلم يكفينا لبناء حياتنا ودولنا ودور علماء الإسلام هو الشرح والتوضيح فلنخرج من مستنقع القيل والقال وهذا ما فعله كبار علمائنا فلم يكونوا يحبون الجدل وفضول الكلام وهم أعلم الناس وأعقلهم قال الإمام أحمد بن حنبل (لا أحب الكلام فيما ليس تحته عمل) .

٥ - كل ما في القرآن والسنة صحيح ولكن ليس كل ما يقوله المسلمون أو علماء المسلمين صحيحاً وليس كل ما يقوله المجاهدون من كرامات صحيحاً ومن السهل أن نجد في بعض ما يقولونه ما يرفضه العقل السليم فكل هؤلاء ليسوا معصومين ومن الخطأ أن نجعل أنفسنا أوصياء على العقل ونتكلم بأسمه إن لم نكن نستند إلى هدى أو كتاب منير . وتحميل العقل الديني كل اجتهاد أو رأي قال به عالم أو فرقة إسلامية أو دولة

إسلامية أو مجاهدون ليس من الموضوعية والإنصاف بل من ناحية علمية لا يوجد شئ أسمه (العقل الديني) فما يوجد هو القرآن والأحاديث وهما ما نطالب بأن يلتزم بهما كل مسلم وكل دولة مسلمة . والوصول للصواب يتطلب معرفة صحيحة بالحقائق الفكرية والواقعية وتجميع أهل العلم والاختصاص في القضية المعروضة للبحث فإذا كانت سياسية جمعنا لها علماء الإسلام والمختصين بالسياسة حتى يفتونا بعد دراسة وتشاور بينهم بالموقف العلمي (الاجتهادي) من حدث سياسي أو حكومة أو جماعة أو حزب وإذا فعلنا ذلك فسنحدث بإذن الله قفزة هائلة في العلم والوعي في الأمة ومشكلة الأمة اليوم أن الكثير من المثقفين تجرؤا على علم الإسلام وعلم السياسة وعلم الحياة الاجتماعية ومما يثبت ذلك التناقض الشديد للآراء فيما يدور من أحداث سياسية أو أساسيات الإصلاح ومما زاد الأمر سوءاً هو تعصب كل ذي رأي لرأيه .

٦- عندما نريد أن نحكم على القضايا الفكرية سواء كانت عقائدية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية فلابد من ميزان نقيس به الأمور والميزان الديني الإسلامي هو الميزان الوحيد الصحيح أي هو الميزان العقلي وكل ما غيره من موازين دينية أو علمانية يمينية أو يسارية هي موازين خاطئة حتى لو كانت تعطي أحياناً قراءات صحيحة . فالعقل العلماني لم يستطع أبداً إيجاد موازين يقينية تحدد ما هو العدل الصحيح أو الحرية الصحيحة أو العقوبات العادلة . . . . الخ فكل الموازين غير الميزان الإسلامي لا تعتمد على العقل السليم حقيقة حتى لو ادعت ذلك فهي تحتكم إلى دستور أو قانون أو اتفاق دولي أو تصويت شعبي أو نيابي أو تجارب شخصية أو رأي فيلسوف أو غير ذلك ولا أحشر الدين هنا في كل قضية بل أقول ما فيه نص واضح من الإسلام فما يخالفه خطأ ويتكون الميزان الإسلامي من الحقائق الفكرية الإسلامية والعقل والواقع فالالتزام بالنصوص

ليس التزاماً حرفياً بعيداً عن معرفة الواقع ومن الخطأ أيضاً تمييع النصوص (الحقائق الفكرية) وتحريفها وتقليل وزنها وأحياناً رفضها تحت مبررات مرفوضة شرعاً كالاستناد إلى تفسيرات شاذة أو أعراف قبلية أو قانون دولي أو تقليد الغرب أو معارضة وهمية لمصالح وطنية أو غير ذلك .

٧- العلم بلا عمل هو معرفة إبليسية ولن نرى الحق والنور مع وجود انحرافات كبيرة كترك الصلاة أو التعامل بالربا أو التعصب العرقي أو غير ذلك . ويجب أن يركز المسلمون في هذا العصر على محاربة الفقر والجهل والمرض والتفرق الفكري والسياسي والاستبداد والأنانية . . . . . الخ وكثير من المسلمين لا يفعلون ذلك بل وصل الأمر أن أغلب هذه القضايا لا تبحث على مستويات رسمية أو شعبية وأعتقد أن الصراط المستقيم واضح ولكن مشكلة الأمة الأولى أنها لا تريد أن تلتزم بالحق (المبادئ الصحيحة) بدليل أن كثيراً من (المسلمين) لا يصلون والصلاة من المبادئ الرئيسية وهؤلاء سيكونون للقضايا الأخرى كالأمانة والصدق والاجتهاد في العمل أضيع فمشكلة أمتنا ليست (فكرية) حتى لو كانت هناك انحرافات فكرية في فهم الإسلام أو الواقع بل مشكلتها في الضمير والعمل أي ضعف الإيمان أو غيابه وأرجو ألا نستمع إلى ما يقولون وما يطالبون بل إلى ما يفعلون وصدق أحد المثقفين العرب في القرن العشرين حين قال (إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح) ولا أتفق معه بالتعميم ولكن فيما يقول كثير من الصواب والتجربة العملية .

الحجاب والعلمانية الفرنسية

لم تعد فرنسا تكفيها الحرب العلمانية السرية ضد الدين فقامت بحربها العلنية برفضها أن تكون الطالبة المسلمة محجبة في المدارس الحكومية ومع هذا لا زالت تقول أنها ليست ضد الدين وسنتطرق إلى مبرراتها لنبين كم هي مرفوضة عقلا وقبل ذلك لا بد أن نذكر الناس بأن فرنسا العلمانية هي الدولة التي استعمرت الجزائر وبعض الدول العربية وقامت بعلمانيتها الديمقراطية المتسامحة بمحاربة الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري بوسائل شتى وقتلت كأي مستعمر متخلف في التاريخ مئات الآلاف من الشعب الجزائري لأنه يريد حريته السياسية واستقلال وطنه ولم تترك الجزائر نتيجة إيمانها بحقوق الإنسان بل لأن الثورة الجزائرية قدمت مئات الآلاف من الشهداء ولأنها ثورة ساندها العرب من المحيط إلى الخليج ولهذا ليس غريباً ما تفعله فرنسا الآن لأن عداءها للعرب والمسلمين لم ينقطع بل كان ولا زال خلف الكواليس والابتسامات الصفراء ولكن الغريب فعلا أن نجد البعض يصف فرنسا بأنها بلد الحرية والثقافة وحقيقتها أنها بلد العداء لحرية الشعوب والأديان لأن الحرية لا تتجزأ وهي بلد الفساد الأخلاقي والإلحاد والزندقة وتعالوا لنناقش قضية الحجاب من خلال النقاط التالية :-

١ - أحد مبررات فرنسا العلمانية في منع الحجاب بالمدارس أنه يحدث تمييزاً بين الطلبة ومن شأنه استفزاز الآخرين ومعنى هذا أن العلمانية تريد أن يكون الجميع علمانيين ولا أحد يظهر في المدرسة أي انتماء لأي دين فهي تريد أن تفرض الشكل الخارجي العلماني على الجميع وهذا يتعارض مع بدهيات الحرية الشخصية خاصة إذا كان الحجاب لا يتعارض مع اللباس المدرسي بل يزيده احتشاما ولا ندري لماذا تحملت

العلمانية الفرنسية خلال عقود الحجاب؟ وما هي الفتن والاستفزازات التي سببها الحجاب؟ وأضيف أن فرنسا قبل ٢٠٠٤ كانت ترى لبس الحجاب جزءاً من الحرية الشخصية أما اليوم فانها لا ترى ذلك فالحرية الشخصية عندهم لها أكثر من معنى وهذه مهزلة علمية لأن الحرية العلمانية قد تتغير غدا وهذا يثبت أيضا أن العلاقة بين العلم والمبادئ وبين العلمانية علاقة وهمية .

٢- لا زال مسموحاً للمرأة المسلمة في فرنسا لبس الحجاب في الأسواق والشركات والحدائق . . . . . الخ وبالتالي فالمنطق يقول أن هذا يؤدي إلى وجود فوارق في الشكل الخارجي بين المواطنين الفرنسيين ويــؤدي إلى استفزاز الآخرين ويجب أن يمنع ولا يسمح للحجاب إلا في المساجد والمنازل بل الأفضل أن يمنع حتى في هذه الأماكن حتى يتشابه الفرنسيون داخل بيوتهم . وكان عقلاء الناس وعلى مدى التاريخ يحاربون الانحرافات كالدعارة والتبرج المبالغ فيه والمخدرات ويضيقون على أهلها لا على أهل العفاف والحشمة وفرنسا تعمل عكس ذلك والمشكلة أن التمييز سيبقى في فرنسا لأن هناك مساجد وكنائس يذهب إليها الناس والحل هو هدم هذه الأماكن حتى لا نعرف المسلم من المسيحي كما أن من الضروري محاربة الكتب الدينية وحفلات الزواج ذات الطابع الديني بل وحتى اختلاف مراسيم الدفن وأشكال القبور حتى يكون الجميع علمانيين حقيقيين ولن يتحقق ذلك إلا بالقضاء على الأديان السماوية فالعلمانية حاربت الدين على مستوى الدولة وتريد أن تحاربه على مستوى الحياة الشخصية فهي لا تريد مبادئ تنافسها في أي مجال من مجالات الحياة . وقد يظن البعض أننا نتهم العلمانيين بما ليس فيهم وأقول مبرراتهم التي ذكروها تتطلب ألا يقفوا عند الحجاب و وجدنا في الوطن العربي في الثمانينات من القرن العشرين داخل حزب البعث العراقي

من يعارض انتخاب عضوين بعثيين مخلصين للبعث لأنهما يصليان فهذا السبب يدعو للشك في ولائهما للبعث العلماني .

٣- قامت العلمانية في أساسها على رفض سيطرة الكنيسة ورجال الكنيسة وطالبت بعزل الدين وفصله عن الدولة وقالت إنها ستحترمه ولن تتدخل في شؤونه فلما أصبحت أقوى أخذت تحارب الدين حتى لو استسلم لها وترك لها الساحة السياسية والاقتصادية والقانونية وقالت من أسس العلمانية أنها قائمة على قبول الاختلافات وقبول الآخرين وعدم التدخل في عقائدهم وسلوكهم ما لم تتعارض مع العلمانية وطرحت نفسها على أنها الوحيدة القادرة على التعامل مع الاختلافات الدينية والمذهبية بحيادية وعدل فهي لا تفرق بين المؤمن والملحد والزنديق ولا تفرق بين عبادة وأخرى وهي تؤمن بحرية الاعتقاد والحرية الشخصية ونجد العلمانية الفرنسية تكفر بكل ذلك فهي لا تريد أن ترى الحجاب لأنه شكل من أشكال الاختلاف وإذا كان هذا هو تعاملها مع الشكل الخارجي فكيف تعاملها مع جوهر الدين وحقائقه بالتأكيد أنها كانت تحارب الجوهر منذ قرون طويلة لمن يفهم حقائق الإيمان والكفر والتوحيد والشرك ولا بد من القول أن العلمانية الإنجليزية كانت أذكى وأكثر واقعية وإنسانية من العلمانية الفرنسية والأمريكية ولهذا أكثر نجاحا وهذا لا يعني أنه ليس لها سلبيات كبيرة ولكن المسألة مقارنة بين سيئ وأسوأ وما لا تدركه فرنسا أن من يفقد المبادئ الصحيحة أو ينحرف عنها كثيرا يخسر الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (١٠٥) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي

هزوا (١٠٦)﴾ سورة الكهف .

٤ – من المبررات المضحكة التي ذكرها المؤيدون لمنع الحجاب أنه ليس من الفرائض الإسلامية بدليل أنه غير إجباري في غالبية الدول الإسلامية وبالتالي فالحجاب ليس جزءاً من الدين وقياساً على ذلك نقول أن الدول المسيحية لا تمنع الزنا فهذا يعني أن الزنا ليس محرماً في الدين المسيحي والأهم من ذلك أن العلمانيين يتكلمون باسم علماء الإسلام فهم يشرحون لنا ما هو الإسلام «وما هي أحكامه» وهذا يتعارض مع بدهيات العقل والعدل والمنطق وهذا الأمر ليس بجديد على العلمانيين فهم قالوا قديما وحديثا أن الدين قضية هامشية وأن فصل الدين عن الدولة لا يتعارض مع الدين وأن الآخرة للدين والدنيا للعلمانية وأن الدين قضية شخصية بين الفرد وربه وبهذه المفاهيم الكاذبة يخدعون الناس لأن حقائق آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تقول الإسلام دين ودولة وتقول الدين هو القضية الرئيسية الوحيدة في هذه الحياة وهو ينظم علاقة الفرد بربه وأسرته وماله والسياسة والاقتصاد وتقول الحجاب فريضة وليس سنّة .
وباختصار الدين تشرحه الآيات والأحاديث وعلماء الإسلام لا العلمانيون .

٥ – يقول العلمانيون الفرنسيون نحن لم نمنع تعليم الطالبة المسلمة بل منعنا لبس الحجاب في المدارس الحكومية وهذا معناه أن الطالبة المسلمة التي تريد أن تلتزم بدينها تجد نفسها أمام أمرين إما ترك التعليم أو نزع الحجاب وكلاهما اختيار مر لأن كثيراً من الطالبات المسلمات قد لا يكون باستطاعتهن تحمل تكاليف الدراسة في مدارس خاصة فهذا القانون ضد المواطنين المسلمين الفرنسيين وضد حقهم في التعليم والعقل يقول من حق المسلم الفرنسي تدريس بناته في مدارس حكومية حتى لو لبسن الحجاب لأنه يدفع الضرائب وهذه حكومته وحتى تقنع العلمانية الناس تقول نمنع الرموز المسيحية

واليهودية والسيخية وغيرها فكأن العدل هو أن تكون العلمانية ضد كل الأديان والمطلوب واضح وبسيط وهو السماح للجميع بحرية الملابس ضمن حدود الأخلاق فأهل الأديان لم يعتبروا هذه مشكلة ولم يطالبوا بمنع الرموز الدينية ولكن العلمانية «المتسامحة والمحايدة» هي التي تفعل ذلك وبعض الرموز الدينية قد تكون اختيارية أما الحجاب فهو واجب إسلامي وقالوا إن الحجاب علامة للتبشير والدعاية لتجمعات مخالفة وأقول ما الخطأ في الدعوة إلى الله؟ وما هي التجمعات المخالفة؟ ، وهي مخالفة لماذا؟ هل للدولة والقانون؟ أم للاستبداد العلماني؟ وإذا كانت تقصد بالتجمعات المخالفة الإرهاب فلا توجد علاقة بين الإرهاب والحجاب ومن المبررات أن بعض الطالبات يجبرهن آباؤهن على الحجاب والحل العلماني هو منع الجميع وأقول الحل المعقول هو أن تشتكي أي طالبة يجبرها أهلها .

٦ – قد يقول قائل إن الهدف ليس الحجاب بل المسلمين وأن هناك عنصرية فرنسية قوية التأثير وأن العلمانية بريئة من العداء للحجاب وأقول إذا كان هذا صحيحاً فهذا دليل على الهشاشة الفكرية للعلمانية لأن العنصريين أو غيرهم يستطيعون أن يجدوا في المظلة العلمانية الغطاء الفكري لمبادئهم وأهدافهم ومصالحهم ويفعلون ما يفعلون من انحراف وظلم باسم الشرعية العلمانية ومن خلال مجالسها النيابية ولا نستطيع أن نفرق بين الفكر العلماني الأصيل والفكر العلماني المزور وبين العلماني الأصيل والعلماني «المزور» والدولة العلمانية والدولة العنصرية . وننبه هنا إلى أن كل الانحرافات الواضحة كالشيوعية والفساد الأخلاقي والنازية تستند في إثبات «صوابها» إلى المبررات المنطقية العلمانية مثل التي تستند إليها العلمانية الفرنسية في منع الحجاب فالشيوعيون يبررون عقائدهم بأنها تؤدي إلى توزيع الثروة بين الناس

وتلغي العصبيات العرقية الوطنية والقومية لأن البشر بنو آدم وحواء . ويمكن إعطاء مبررات تسمح بتعاطي المخدرات كأن نقول تعاطيها جزء من الحرية الشخصية والسماح ببيعها سينعش الاقتصاد ويأتي بالسواح وغير ذلك . فتقييم الفوائد والمضار والإيجابيات والسلبيات ليست الطريق للوصول للحقائق الفكرية كالحرية والعدل والعقائد الصحيحة بل الطريق هو أن ما قاله الله ورسوله هو العدل والحرية وما يخالف أمر الله هو الباطل والخطأ ولهذا نجد المفاهيم العلمانية للحرية متناقضة بين علماني وآخر وكذلك تتغير هذه المفاهيم كما شاهدنا في مفاهيم فرنسا عن الحرية الشخصية والحجاب وإذا كان بعض العلمانيين يرى في منع الحجاب تطويراً للعلمانية الفرنسية فبعضهم يراه انحرافاً وتخلفاً وهذا هو الضياع والتناقض الذي هو العمود الفقري للعقل العلماني .

٧- ليس من حق العلمانيين «الحقيقيين» التبرؤ من العلمانية الفرنسية لأن الدولة الفرنسية دولة علمانية الشكل والجوهر وليست دولة دينية وتستند فرنسا فيما تفعله إلى مبررات علمانية ولم «يكفرها» أو يخطئها علماء العلمانية ولن يستطيعوا لأنه لا يوجد علماء في العلمانية بل مفكرون متناقضون منهم من يؤيد ومنهم من يعارض فما تفعله فرنسا صحيح علمانيا وفي نفس الوقت خاطئ علمانيا كما لا يوجد كتب مقدسة علمانية يتم الاحتكام إليها لأنه لا يوجد علم يتم وزن الأعمال والأقوال به وبيان الحق من الباطل فيها . فلا يوجد حسم علمي في العلمانية لأنها تعيش في عالم من الضياع والتناقض والحيرة وهذا هو الجهل بعينه . أما في الإسلام فهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية يتم الاحتكام إليها ولا مجال إطلاقا للتناقض والحيرة في المبادئ الأساسية فالحق واضح والباطل واضح فإذا زنى المسلم يعرف أنه مخطئ في حين أن العلماني إذا زنا قد

لا يعتبر هذا خطأ بل جزءاً من الحرية الشخصية وهناك علمانيون يعتبرون الزنا خطأ وليس جزءاً من الحرية الشخصية وما ينطبق على الزنا ينطبق على المخدرات والخمر والتعري والإلحاد وينطبق على تناقض الاقتناعات العلمانية في الحقوق والواجبات الزوجية والميراث والهدف من الحياة وتوزيع الثروة وحقوق الفقراء والإنسان . . . . الخ وأعلن العقل العلماني عجزه في البحث عن الحق في هذه المواضيع ولهذا طرح حله السحري وهو كل إنسان حر في تحديد الحق من الباطل أما على مستوى الدولة فيتم حل الخلاف بالتصويت لا العقل والعلم .

سراب التقدم العلماني

كتب الأخ العزيز مطر سعيد المطر في (القبس) مقالاً بتاريخ ٩ أغسطس ٢٠٠٤ بعنوان «للدويهيس وفرنسا العلمانية تحياتي» وهو رد على مقالي «الحجاب والعلمانية الفرنسية» وبداية أحب أن أشكره على نقده الهادئ الجاد . وقد أثار في مقاله قضايا كثيرة ووجهة نظري هي :

١ - قال الأخ مطر «أن مفهوم العلمانية عند العقلاء يعني العمل لصالح الوطن وابتكار الجديد» وقال «العلمانية تعني فصل الدين عن الدولة» وأقول إن التعريفين مختلفان فلو كانت العلمانية تعني التعريف الأول لكان الواجب على كل العقلاء أن يكونوا علمانيين ولكنها تعني التعريف الثاني فقط لا غير . فالعلمانية لا تعني العمل لصالح الوطن أو العلم المادي والاختراعات ولا تعني الديموقراطية أو الحداثة أو الأسلوب العلمي أو حرية الاعتقاد أو غير ذلك فهي كما جاءت في قاموس اكسفورد «العلمانية مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني» هي إذن اللادينية في التعليم والأخلاق والدولة والسياسة وحتى نعرف خطأ العلمانية نقول الدين الصحيح الذي تريد أن تفصله العلمانية عن الدولة والسياسة هو رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر ، والتي جاء بها الأنبياء ، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالالتزام بما فيها من عقائد ومبادئ وشريعة وأخلاق . قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الجاثية :١٨ ،١٩) وقال تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وقال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ

الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة :٥٠) وإذا كان قد حصل تشويه للدين المسيحي وتم استغلاله من رجال الكنيسة فالحل هو الالتزام بما جاء به عيسى عليه السلام ، لا رفضه . والعلمانية قائمة على رفض الأديان الصحيحة والخاطئة وهي التي أنتجت الشيوعية والاشتراكية والنازية والوجودية والانتقائية . . . الخ فهذه كلها مبادئ علمانية (لادينية) وتذكر يا أخي العزيز الشر والفساد الذي أحدثته هذه المبادئ وتذكر أن العلمانية الغربية أقل شراً من الشيوعية ولكنها ليست العقيدة الصحيحة ، وتذكر أن العلمانية ليست قائمة على فصل الكفر والزندقة والفساد الأخلاقي عن الدولة والسياسة بل قائمة على فصل الدين أي التوحيد والشريعة عن الدولة . فهل نطيع الله سبحانه وتعالى وهو خالقنا ورازقنا وهو القوي العزيز الحكيم العليم أم نعصيه ونطيع العلمانية التي هي الكفر والإلحاد؟ .

٢- ذكر الأخ مطر أن فرنسا لها إيجابيات كثيرة ، منها مشاركتها في إنشاء هيئة الأمم المتحدة واحتضانها لمسلمين هاربين من جحيم بلادهم وأعطتهم الجنسية وتساعد الدول الأفريقية . . . الخ ، وأقول روسيا الشيوعية شاركت في إنشاء هيئة الأمم المتحدة ، ومعروف حجم ظلمها لشعبها والشعوب التي كانت تحتلها في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ، ووجود إيجابيات لفرنسا لا يمنع من وجود سلبيات كبيرة فقد قتلت من الشعب الجزائري مئات الآلاف في حرب التحرير ، ومن قتل نفساً بغير حق كمن قتل الناس جميعاً ، كما أنها كانت إحدى الدول الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، واستعمارها ثم مساعداتها لم تحول الدول الأفريقية إلى دول متقدمة فما زالت هذه الدول من أفقر دول العالم وأكثرها ضياعاً عقائدياً وسياسياً فالمحرك الرئيس لفرنسا وأمريكا وبريطانيا وروسيا هو المصالح لا المبادئ وعندما ذكرت في مقالي

السابق «بعض» سلبيات فرنسا ، فأنا لم أنكر أن لها إيجابيات لأنني أعلم أن البشر والدول من مسلمين وغير مسلمين ومن دول إسلامية وعلمانية فيهم خير وشر ، فقد تجد قاتلاً يبر والديه ويساعد الفقراء ، وكان هدفي في مقالي محدداً وهو بيان عداء العلمانية للدين والحجاب الإسلامي والمسلمين .

٣ - قال الأخ مطر «وإذا كانت العلمانية هي السبب في المكانة المرموقة التي وصلت إليها فرنسا وبقية الدول المتقدمة . إذن فالعلمانية مطلب شعبي وشرعي ، لأنها أفادت الدول ، وكما قال شيخ الأئمة ابن تيمية (كل ما ينفع الناس شرع))» ، وقال «وظلت الدول العربية فقيرة وضعيفة وجاهلة علمياً ، لأنها لم تفصل الدين عن الدولة» وأقول كنت أتمنى أن نسأل علماء الإسلام عن الموقف الصحيح من العلمانية قال تعالى : ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل : ٤٣) ولو فعلنا ذلك لعرفنا الحق من الباطل في قضايا فكرية وسياسية كثيرة نختلف حولها . ولا شك أن أي أمر يحقق الفائدة الحقيقية للناس ، فالإسلام يدعو له . ونجحت العلمانية الغربية لدرجة كبيرة في قضايا الحرية والقطاع الخاص والديموقراطية ، وهذه أمور تتفق بدرجة كبيرة مع مبادئنا الإسلامية ، وهي في الوقت نفسه ليست جزءاً لا يتجزأ من العلمانية ، لأن العلمانية الشيوعية قدست الاستبداد والقطاع العام ولا أدري لماذا ننسى سلبيات العلمانية الغربية المتمثلة بالضياع العقائدي ، والفساد الأخلاقي والتفكك الأسري ، وارتفاع نسبة الطلاق والعنوسة والأبناء غير الشرعيين والأمراض النفسية والحروب الاستعمارية والعالمية خاصة أن هذه السلبيات نتجت في الغالب من الالتزام بالمبادئ العلمانية الغربية والتي منها اتباع العقول الضائعة للفلاسفة والمفكرين العلمانيين واتباع المفاهيم الخاطئة للحرية الشخصية التي تبيح الزنى والتبرج والأفلام الجنسية . أما غنى

الغرب وتقدمه التكنولوجي فلم يحدثا كنتيجة حتمية لفصل الدين عن الدولة ومما يثبت ذلك أن هناك دولاً علمانية كثيرة في أمريكا الجنوبية وآسيا وأفريقيا وهي دول متخلفة وفقيرة وجاهلة . وما دام أن الغرب اقتنع بكفاءة القطاع الخاص لذا فقد حصد فوائد ذلك من جدية في العمل وتنافس صناعي وتجاري وتطور علمي وإداري . . الخ ، في حين أن حجم القطاع العام في أغلب دولنا الإسلامية كبير ولا تتم فيه معاقبة الموظف الكسول أو الفاشل ولا مكافأة الموظف النشيط والناجح . وتختبئ العلمانية خلف القطاع الخاص والديموقراطية والتقدم التكنولوجي ، ولذلك لابد أن نفكك الجسم الغربي حتى نعرف الأجزاء السليمة من الفاسدة . وفي المقابل ضعف وفقر أغلب الدول العربية ليس راجعاً لعدم فصلها الدين عن الدولة ، بل لأسباب كثيرة منها وأهمها ضعف التزامنا بالإسلام في عقائدنا وأخلاقنا ونظمنا ، كما أن الحروب أنهكت المسلمين خلال القرون الثلاثة الماضية وقد تم استعمار أغلبية دولنا . وخاصة الحروب التي شنت على الخلافة العثمانية من الدول «العلمانية» الأوروبية وعندما انتصروا قسمونا إلى دول صغيرة ومتوسطة بأيدي هذه الدول ، والغريب أن الأخ مطر يقول إن العرب يعتمدون في أمنهم على الدول العلمانية المتقدمة وأقول من هم إذن أعداؤنا؟ ومن هم حلفاء إسرائيل؟ ولماذا قامت الولايات المتحدة الأمريكية بعمل جسر جوي لنقل الدبابات لإسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتمنع مصر من تحرير سيناء المصرية؟ ولو كان الإسلام يدعونا للجهل والكسل والتخلف والسحر . .الخ ، لقلنا نعم الإسلام سبب تخلفنا ويكفي أن نعرف أن كلمة علم ومشتقاتها تم ذكرها في القرآن الكريم أكثر من سبعمائة مرة . وعموماً فالنقاش الفكري بين الإسلام والعلمانية يجب أن يكون نقاشاً نظرياً يركز على المبادئ النظرية وما هي أدلتها التي تستند إليها وما نصيب هذه

الأدلة من العلم والصواب أو من الجهل والخطأ؟ والطريف أن العلمانية الغربية قائمة على إثبات أن رجال الكنيسة المسيحية على خطأ وهذا ليس دليلاً علمياً على صحة «العلمانية الغربية» فلم تقدم دليلاً واحداً على أن فصل الدين عن الدولة صحيح ، والدليل ليس ذكر الإيجابيات والسلبيات . في حين أن العلمانية الشيوعية حاولت أن تقدم أدلة على صوابها فقالت إن الإنسان تكون من مادة وأن هناك حتمية تاريخية ولكنها لم تستطع أن تثبت ذلك علمياً .

٤ - قال الأخ مطر «والمشكلة أن العرب لم يستوعبوا أسباب سقوط أسلافهم الذين أقاموا دولهم بالقوة واستغلال الدين» وأقول إن أسلافنا حققوا نجاحات كثيرة فمنطقة الشرق الأوسط فقط شهدت لهم خلال خمسة عشر قرناً ثلاث دول عظمى وهي الخلافة الأموية والخلافة العباسية والخلافة العثمانية ، وظلت الخلافة العثمانية دولة عظمى لأربعة قرون ودافعت عن الدول العربية لقرون ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي والبرتغالي والإيطالي ، فلما انهزمت هذه الخلافة قسمنا الاستعمار إلى أكثر من خمس عشرة دولة وأرجو ألا تعتبر الخلافة العثمانية استعماراً وإذا كان لديك شك في ذلك فاعلم أن عرب الجزيرة وأهل مصر ودول شمال أفريقيا وأغلبية أهل الشام كان ولاؤهم وحبهم للخلافة العثمانية ، فدولنا ليست مبنية على القوة والظلم واستغلال الدين وأرجو ألا نقرأ تاريخنا من مصادر أجنبية وهذا لا ينفي وجود سلبيات في الخلافة العثمانية وغيرها ، وأنبه هنا إلى قضية مهمة فالدولة الإسلامية ليست دولة مثالية ملتزمة بكل أجزاء الإسلام ، فهناك أحياناً ضعف إيمان وعصبيات عرقية وضغوط وظروف تمنع الدول والأفراد من الالتزام بكل أجزاء الإسلام وهذا لا يعني أنهم يستغلون الإسلام أو يتاجرون به ، ويحاول أعداؤنا تشويه كل تاريخنا وكل حكوماتنا وكل علمائنا حتى

نفقد الثقة بمبادئنا وأنفسنا فمثلاً يحاولون إقناعنا أن كل الجماعات الإسلامية سيئة فهذه متطرفة والثانية إرهابية والثالثة تستغل الدين والرابعة صوفية والخامسة علمانية والسادسة حكومية والسابعة لا تفهم في السياسة وهكذا ، وأقول يكفي تشويهاً فواقعنا وتاريخنا أكثر جمالاً وإشراقاً ونجاحاً مما يحاول أن يقنعنا به الإعلام الأجنبي في كل يوم .

٥ - قال الأخ مطر «ويجب أن ينفذ ويعمل الشعب العمل المفيد لهم ولوطنهم حتى وإن كان هذا العمل لا يتفق مع مذهبهم» وقال «أبناء الوطن والشعب الواحد يختلفون في مذاهبهم ولكن لا يمكن أن يختلفوا في الولاء الوطني لوطنهم» وأقول هل هناك أعمال تفيد الوطن ولا تتفق مع الإسلام؟ وهل الولاء لله سبحانه وتعالى ورسوله يتعارض مع الولاء للوطن؟ ولا أدري ما العلاقة بين فصل الدين عن الدولة بالولاء للوطن وكيف يقويه؟ خاصة أن الوطنية موجودة عبر التاريخ وليست اختراعاً علمانياً بل شئ فطري كما هي العائلية والقبلية والقومية ، والولاء للوطن موجود حتى لو كان نظام الحكم شيوعياً أو رأسمالياً أو إسلامياً أو بوذياً . أما إذا كان المقصود أن العلمانية الغربية تساوي بين جميع مواطنيها حتى لو اختلفت أديانهم ، وأن هذا يزيد من الولاء للوطن فأقول إن المساواة المطلقة ليست صحيحة في كل الأحوال ، فالشيوعية كانت تسعى إلى المساواة المطلقة في المستوى المعيشي . أما تصنيف الناس حسب أديانهم فهو تصنيف وضعه الله سبحانه وتعالى وعلينا أن نلتزم به وفي الدولة الإسلامية مساحة المساواة السياسية كبيرة بين المسلمين وغير المسلمين ، ولكنها ليست مساواة مطلقة ، كما أن هذه مشكلة وهمية لأن ٩٠٪ من العرب مسلمون وفي بعض الدول ٩٩٪ فالمساواة السياسية موجودة . وأضيف إلى ذلك أن الإسلام يؤلف بين قلوب وعقول الناس ويجعل الشعب كالجسد

الواحد ، وهذا ما لا تحققه كل أموال الأرض ، كما جاء في الآية القرآنية ، في حين أن العلمانية تفرق العقول والقلوب فأهلها رأسماليون وشيوعيون واشتراكيون وعنصريون ، إلخ ، وإذا ألغينا الإسلام فستكون الرابطة القبلية أقوى من الرابطة الوطنية والقومية ، كما كانت أوضاع العرب قبل الإسلام .

٦- قال الأخ مطر «وفرنسا أيضاً ليست ضد الدين الإسلامي والمسلمين ، ولو كانت كذلك لما منحت جنسيتها للمهاجرين المسلمين» . وأقول إن إسرائيل منحت جنسيتها لعرب فلسطين ٤٨ ، وهي ضد العرب والمسلمين ، وفرنسا ليست ضد الدين إذا تخلى لها عن السياسة والتشريع ومصالحها الاستعمارية . أما الإسلام الذي يدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى واتباع أنبيائه وتطبيق الشريعة والدفاع عن أراضي المسلمين فهي ضده .

٧- قال الأخ مطر «إن زنادقة الدين في فرنسا ناكرو الجميل ، لا ينظرون إلى العمل المفيد لفرنسا وشعبها الذي أسس على هذا الوضع ، ويريدون العمل وفق مذاهبهم» وأقول المطالبة بحق الطالبة المسلمة في لبس الحجاب في المدارس الحكومية لا يسبب ضرراً لفرنسا بدليل أن الحجاب مسموح به في المدارس والجامعات البريطانية والأمريكية ، كما أن معارضة منع الحجاب لا علاقة لها بنكران الجميل ، فمبدأ المعارضة جزء من النظام الديمقراطي الفرنسي الذي تتصارع وتختلف فيه الأراء والمصالح فهل يريد الأخ مطر حرمان المسلمين حتى من حق المعارضة والاحتجاج والدفاع عن عقائدهم؟ والأهم من ذلك هل نطيع الله سبحانه وتعالى ، أم نطيع فرنسا ، وهل فضل الله سبحانه وتعالى على الناس أكبر أم فضل فرنسا؟ ومما علمنا الله سبحانه وتعالى ، أن نقف مع الحق لا مع آبائنا وأمهاتنا إذا ظلموا حتى لو كان فضلهم علينا عظيماً ، ولو ظلم أحد أصحاب الرسول ﷺ يهودياً أو مشركاً لدافعنا عن اليهودي والمشرك .

٨- قال الأخ مطر «بعض الفرق الدينية في بنغلادش تقدمت بوجوب تقديم قرابين للفيضانات حتى لا تتوقف الأمطار ويصبحوا من القانطين» وأقول يا أخي العزيز أنت تعلم أن الإسلام ضد الخرافات والعقائد الباطلة والانحرافات التي تحدث باسم الأديان السماوية ، فنحن ندافع عن الدين الصحيح فقط ، والعلمانية تجعل كل الأديان في خندق واحد وتنسب إلى الإسلام ما ليس فيه . وأتمنى أن تقرأ في كتب الفلاسفة ومفكري العلمانية وستجد الكثير من السخافات والخرافات ومنها ، على سبيل المثال ، ضرورة تحطيم الأسرة لأنها تؤدي إلى استعباد المرأة كما قالت الفيلسوفة الفرنسية سيمون دى بفوار ، والأسخف من ذلك أن البعض يعتبر هذه الفيلسوفة من أهل العلم والفكر ، وفي الختام أهديك تحياتي واسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

العلمانية أو الإرهاب

كتب الأخ العزيز مطر سعيد المطر مقالاً في «القبس» بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠٠٤ بعنوان «أخي عيد . . الإسلام علماني» وهو رد على مقال سابق لي ، وأشكره على كلماته الهادئة والجميلة لأننا بحاجة إلى حوار طويل حول العلمانية حتى تتضح الحقائق ، وتعليقي على ما قاله هو في الآتي :

١ - ذكر الأخ مطر بعض جوانب من تقدم الدول الغربية في مجال الطب والفضاء والمواصلات والصناعة . . الخ وأنا لم أنكر ولا استطيع أن أنكر التقدم التكنولوجي الغربي (في العلم المادي) ولم أقصد باستخدام عبارة سراب التقدم العلماني أن التقدم التكنولوجي أو الإداري أو السياسي في الغرب هو سراب ، فشهادتي الجامعية في الكيمياء ، وأعمل منذ سبعة وعشرين عاماً في معهد الكويت للأبحاث العلمية ، ومجال تخصصي هو السياسة العلمية والتكنولوجية وأعرف أن الولايات المتحدة تصرف حوالي مائتي مليار دولار سنوياً على البحث العلمي ، وأعرف أن التقدم التكنولوجي يمكن أن يحدث في دولة علمانية أو إسلامية أو بوذية متى ما توفرت الأموال والمختبرات والعلماء والشركات الصناعية الكبيرة والأسواق الكبيرة والاستقرار السياسي . وما قصدته أن العلمانية متخلفة كفكر ، وذكرت في مقالي السابق ضرورة تفكيك الجسم الغربي حتى نعرف الأجزاء السليمة والأجزاء الفاسدة . فليس كل ما في الدول الغربية من خير وشر صنعته العلمانية ، فالتقدم التكنولوجي هو تقدم في العلوم والهندسة والطب . . الخ . . في حين أن مجال العلمانية هو العقائد والمبادئ والقوانين ، وموضوعنا الرئيس هو العلمانية لا الدول الغربية ، والأخ مطر يخلط بين

التقدم العلمي المادي (التكنولوجي) والتقدم العلماني الذي لو كان موجوداً لجعل الغرب راقياً في عقائده وأخلاقه وحياته الاجتماعية . . الخ ، ولكنه متخلف في هذه المجالات بدليل انتشار الزندقة والشرك وضعف الإيمان وارتفاع نسبة العنوسة والطلاق والأبناء غير الشرعيين ، وانتشار الفساد الأخلاقي والخيانات الزوجية وقطيعة الرحم والأمراض النفسية الخ . . أليس هذا تخلفاً علمانياً؟ وأرجو أن نعطي كل ذي حق حقه فالثمار الطيبة للعلم المادي والقطاع الخاص أو غير ذلك ليست ثماراً للعلمانية كما أن الإسلام يدعو للتقدم في العلوم المادية ويؤيد الملكية الخاصة فهذه المواضيع ليست مجال الخلاف مع العلمانية ، ومجال الخلاف هو في العقائد والايديولوجيات أي هل فصل الدين عن الدولة صواب أم خطأ ، وهل المعنى العلماني للحرية الشخصية صواب أم خطأ؟ وهل نلتزم بالأخلاق الإسلامية أم بالعلمانية الغربية؟ وهل نقبل نتائج التصويت البرلماني أو الشعبي ، إذا خالف عقائد شريعتنا الإسلامية أم لا؟ وإذا كان العلماء هم ورثة الأنبياء ، فلنسأل العلماء : هل فصل الدين عن الدولة هو ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به أم لا؟ فهم أهل الاختصاص ويعرفون الإيمان من الكفر ، وأنا شخصياً أعرف الإجابة لأنهم قالوها مرات كثيرة واستشهدوا بآيات قرآنية ، قال تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وتأكد يا أخي العزيز أن علماءنا لم يفهموا العلمانية خطأ ولم يستعجلوا في الحكم عليها ، فالعلمانية ليست هي العلم المادي أو العلمية أو الأسلوب العلمي أو العقلانية ، بل هي الفلسفة ، والفلسفة ضياع وجهل وجدل حتى لو أصابت في بعض آرائها .

٢- قال الأخ مطر «قام المصلحون بفصل الدين عن عمل الدولة حتى لا يتم تشويه الدين واستغلاله من الفرق الدينية بشقيها الإرهابي والحيالة» ، وأقول حاولت العلمانية إعطاء

مبررات لفصل الدين عن الدولة منها أن الدين قضية بين الإنسان والخالق ، وأن الإيمان بالله يعني فقط الإيمان بوجوده ، وأن إبعاد الدين عن السياسة حماية له من الاستغلال والتشويه ، وأن حيادية الدولة تتطلب إبعادها عن الدين . . الخ ، وسأعلق هنا على قضية استغلال الدين لأقول :

أ- الإسلام عبارة عن مبادئ وأحكام أمرنا الله سبحانه وتعالى بالالتزام بها في حياتنا الشخصية وفي نظام الدولة ، وهذا ما طبقه الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ووجود فرق منحرفة أو جماعات إرهابية أو حيالة تحمل شعارات إسلامية لا يجوز أن يجعلنا نتخلى عن مبادئنا الإسلامية في مجال الدولة والسياسة ، وقد واجه المسلمون قديماً وحديثاً الانحرافات بنشر العلم بالإسلام وبالقتال إذا تطلب الأمر ، كما فعل الإمام علي كرم الله وجهه مع الخوارج عندما رفعوا السلاح ، ولكنه لم يتخل عن الدولة الإسلامية حتى يغلق الباب على الخوارج ، وهناك من يتاجر بالشعارات الوطنية في الانتخابات ، وهناك من يشتري الأصوات فهل نرفض الانتخابات والشعارات الوطنية حتى لا يستغلها المنحرفون؟

ب- الإسلام دين واضح في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ولدينا علماء الإسلام والأغلبية الساحقة من المسلمين معتدلون ولا يشكل الإرهابيون حتى ١٪ من المسلمين ، فالمتطرفون لن يسيطروا على الساحة السياسية والدولة لا بالانتخاب ولا بالقوة ، فالإرهاب قضية هامشية تنفخ فيها أمريكا لتحقيق مصالحها .

ج- تتسع الدولة الإسلامية لكل المسلمين سنة وشيعة ومتصوفة وخوارج . . الخ وحتى لغير المسلمين . وليس صحيحاً أن أغلب الجماعات الإسلامية إرهابية أو تتاجر بالدين ، فليس كل متشدد إرهابياً وليس كل من فيه ضعف أو انحراف دجالاً .

وأقول وأكرر إن واقعنا أجمل مما يريدنا الإعلام الأجنبي أن نراه ، فهذا الإعلام يريدنا أن نفقد الثقة بالمخلصين من علماء وجماعات ودول ، وهو يقوم بطرق مباشرة وغير مباشرة بتشويه عقائد الإسلام وأحكامنا بل حتى تاريخنا لم يسلم من التشويه . فهو يحاول أن يقنعنا أن هناك طرفين فقط هما العلمانية الكافرة والجماعات الإرهابية ، وعلينا أن نختار أحدهما . كما قالت أمريكا لباكستان إما معي أو ضدي ، وأقول أين المسلمون المعتدلون وأين العلماء الواعون؟ وأضيف إلى ذلك أن الأغلبية الساحقة من المسلمين العرب هم من أهل السنة فلا توجد مشكلة فرق في الأمة العربية من الخليج إلى المحيط .

د- اختطاف الأبرياء وأي انحرافات تحدث باسم الدين في العمل الخيري أمر مرفوض ، ولا يمكن منع الفهم الخاطئ للدين من أفراد أو بعض الجماعات في أمة يزيد عددها على مليار ، وتعيش أجزاء كبيرة منها في أوضاع مأساوية من فقر وجهل واعتداءات من دول علمانية . فحتى العمل الخيري مع إيجابياته الكبيرة والواضحة لم يسلم من تشويه وتشكيك تقوده الولايات المتحدة الأمريكية فما بالك بغيره فكثير مما يحدث من عنف وإرهاب هو رد فعل لما تقوم به أمريكا وإسرائيل وفرنسا وغيرهم .

هـ- مهما اختلفت الفرق الإسلامية وخاصة السنة والشيعة فهم متفقون على قضايا كثيرة في حين أننا عندما نفصل الدين عن الدولة سنفتح الباب للفرق العلمانية من رأسمالية واشتراكية وشيوعية وعنصرية . . الخ ، وهؤلاء مختلفون حول كل شيء فحتى وجود الله سبحانه وتعالى أمر يختلفون عليه وهذا يجعل اختلافهم وصراعهم أشد كما شاهدنا في القرن العشرين بين الدول العلمانية ، حيث

أشعلوا حربين عالميتين وعشرات الحروب الإقليمية ، وتصور حال أكثر من عشرين دولة عربية كل واحدة تبنت مبادئ علمانية تختلف عن الأخرى وتذكر أن العراق كان دولة علمانية في ظل حكم صدام لأن حزب البعث حزب علماني وكان مفكره هو ميشيل عفلق ، فالعلمانية فتحت أبواب العنف والغرور والعدوان والعصبيات العرقية والاستبداد والفقر . . الخ .

٣ - التزامنا بالدولة الإسلامية ليس هو سبب ضعفنا وفقرنا وجهلنا ، والتزام الغرب بالدولة العلمانية ليس هو سبب غناه وقوته وتطوره التكنولوجي ، وأرجو أن نتعمق في دراسة الجسم العربي والجسم الغربي ونحدد الأجزاء السليمة من الفاسدة في كليهما مع البحث عن الأسباب . فالتقدم التكنولوجي ليس جزءاً من العلمانية ، وجدية العمل في الولايات المتحدة ليست ناتجة عن قوة وطنيتهم لإيمانهم بالمبادئ العلمانية ، بل هي ناتجة لسيطرة القطاع الخاص على سوق العمل فمن لا يجتهد لا يجد عملاً ولو كان الإسلام يعارض التقدم التكنولوجي أو القطاع الخاص أو غير ذلك لقلنا : نعم عدم فصل الدين عن الدولة هو سبب ضعفنا . كما أن ضعف المسلمين ليس سببه وجود فرق إسلامية ، بل هو راجع لضعف معرفتنا بالإسلام وضعف التزامنا به وضعف الشورى ومؤامرات الأعداء والعصبيات العرقية وغير ذلك ، فتاريخ العرب في القرن العشرين مثلاً يثبت ما أقول فلم يكن هناك صراع بين فرق إسلامية أو سيطرة لهذه الفرق على دولنا فهي لم يكن لها تأثير على الساحة السياسية حتى نحملها تفرقنا وضعفنا وجهلنا .

٤ - أخي العزيز مطر إذا كان أمن الكويت أو أي بلد مسلم يتطلب في ظروف معينة مخالفة اجتهاد إسلامي أو حتى نص قرآني فهذا ليس فصلاً للدين عن الدولة ، فقد منع عمر بن

الخطاب قطع يد السارق في وقت المجاعة ، وقد استعانت الكويت بالدول العلمانية لتحريرها ، وأفتى بعض كبار علمائنا بجواز ذلك ، فمعرفة الواقع جزء من الاجتهاد الصحيح في الدين . وكنت ومازلت أقول إن الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا هي دول تتحرك بناء على مصالحها ولا تلتزم بمبادئها العلمانية «المعلنة» من احترام الشرعية الدولية وسيادة الدول واستقلالها وحقوق الإنسان ، قال كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ ١٦ سبتمبر ٢٠٠٤ «الحرب على العراق غير شرعية ولا تتماشى مع الميثاق ، وأرجو ألا نرى عملية على غرار العراق» وساعدت هذه الدول صدام في حربه مع إيران مع معرفتها بجرائمه ولم تتحرك عندما قتل صدام أطفال الأكراد بالغازات السامة ، وساعدته في الحفاظ على حكمه بعد تحرير الكويت مباشرة ، ولم تتحرك هذه الدول لتحرير الضفة الغربية أو الجولان أو سيناء من الاحتلال الإسرائيلي مع وجود قرارات دولية واضحة وصريحة فهي دول تحركها مصالحها الاقتصادية وانتماءاتها العنصرية والرغبة في العلو في الأرض ، وتذكر يا أخي أن الدول الاستعمارية في القرون الثلاثة الماضية هي الدول العلمانية ، فلم تكن الحرية قضيتهم ، ولم يكن العدل هدفهم ولم يتغير من ذلك شيء أبداً في يومنا هذا ، وما أقوله لا يتعارض مع حرصهم على الحرية والعدل وحقوق الإنسان داخل أوطانهم . وإذا كانت بعض مصالحنا تلتقي أحياناً مع بعض مصالحهم كما حدث في تحرير الكويت ، فإن هدفهم الرئيس كان ، ومازال ، محاربة الإسلام وإبقاء العرب أمة ضعيفة مفككة . وقال رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي صراحة قبل عام تقريباً «لا نريد دولة إسلامية في العراق» ، وقال بوش «إنها حرب صليبية» ، ثم سحب كلامه ، وقال كلينتون بما معناه «إن كاهنه أوصاه بإسرائيل حتى لا يغضب الله» . ووقوف أمريكا مع إسرائيل ومدها بالمال والسلاح والدعم

السياسي يثبت عداءها للعرب ، لأن مطالبة العرب بتطبيق قرارات الأمم المتحدة مطالبة عادلة حسب القوانين الدولية ، والغريب أن أمريكا تطالب هذه الأيام سوريا بالخروج من لبنان ، ولا تطالب إسرائيل بالخروج من الضفة الغربية ، فهي منذ سنين طويلة تكيل بمكيالين ، وإذا كان هذا ما يقولونه ويفعلونه في العلن فلا شك أن ما يحدث في السر أشد ، قال تعالى : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة يوسف : ٢١) .

العلمانية قضية فكرية أولاً

كتب الأخ العزيز مطر سعيد المطر بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠٠٤ مقالاً بالقبس بعنوان (أخي عيد يا ليتهم يفهمون) ومع اقتناعي الشديد بأهمية الحوار فإنني أرجو ألا نستمر في تكرار ما نقول أو أن يتحول حوارنا إلى جدل ورأيي فيما كتب الأخ مطر هو :

١- يرى الأخ العزيز مطر أن أقتصر في الكتابة في مجال تخصصي العلمي وأن مقالاتي الإسلامية غير متخصص فيها ومنقولة عن ثقافة الفرق الدينية التي تكفر الناس وتهاجم الدول المتقدمة التي توهم المسلمين أن للإسلام أعداء وأقول ليس خطأً أن يكتب الإنسان في غير مجال تخصصه إذا كان قد بذل جهداً كبيراً في تعلم التخصص الجديد فبإمكان الفرد أن يكون ذا علم وثقافة في تخصصين أو أكثر وأنا شخصياً قرأت الكثير وناقشت الكثيرين في موضوع العلمانية وألفت كتابين أحدهما بعنوان (عجز العقل العلماني) والآخر بعنوان (العلمانية في ميزان العقل) ورجعت فيهما إلى مراجع علمانية وإسلامية ولم أسمع من طرف واحد وأضيف إلى ذلك أنني لم أخالف علماء المسلمين المتخصصين فيما أقول بل استندت إلى أقوالهم والأهم استندت إلى القرآن والسنة . في حين أن الأغلبية الساحقة ممن يدافعون عن العلمانية هم أصحاب تخصص في الاقتصاد أو السياسة أو القانون أو الهندسة أو غير ذلك ولو تكلموا في مجال تخصصهم لاستراح الناس ولو تكلموا في العلمانية بعد بحث عميق لقبلنا ولكنهم لم يفعلوا هذا أو ذاك . وأنا والحمد لله لا أكفر المسلمين وإذا كان لدى الأخ مطر دليل على أني كفرت مسلماً فليقدمه وقال الأخ مطر في مقاله (فالمسلم هو عبد الله والإسلامي هو الزنديق) فمن يكفر المسلمين؟ أما قولي بأن العلمانية كفر فهذا ما قاله علماء الإسلام وهذا لا يعني أن

كل من يقول أنا علماني كافر فقد يكون جاهل بالمعاني الحقيقية للعلمانية أو الإسلام . ومصطلح (الفرق الدينية) مصطلح غامض فإذا كان يقصد به الأخ مطر السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم فثقافتي هي ثقافة أهل السنة أما إذا كان يقصد الجماعات الإسلامية السنية فأقول بعض هذه الجماعات تطرفت في التكفير أو العنف أو التصوف أو غير ذلك مما يجعلها خارج دائرة السنة وبعضها داخل دائرة السنة وتختلف في اجتهاداتها وأنا شخصياً غير منتمي لجماعة معينة حتى ممن أعتبرهم داخل دائرة السنة .

أما القول بأننا نوهم المسلمين أن للإسلام أعداء فهذا أمر ثابت بآيات قرآنية وبحروب حديثة وقديمة ومؤامرات قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (سورة المائدة : ٨٢) أما المنافقون وهم أعداء الداخل ، فقد قال تعالى عنهم : ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المنافقون : من الآية٤) . فالإسلام الصحيح له أعداء كثيرون من زنادقة وكفار ومنافقين أما الإسلام الذي يترك الدولة والسياسة والتشريع للعلمانيين وغيرهم فلن يعاديه إلا قلة . وإذا كان بعض المسلمين يرى مؤامرة أجنبية خلف كل حدث سياسي أو فكري فإن من الخطأ ألا نرى أية مؤامرة خلف كثير مما يحدث في عالم الفكر والسياسة .

٢- كنت أتمنى أن يقتصر الأخ العزيز مطر في كتاباته على مجال الشؤون الأمنية لأنها مجال تخصصه أما العلمانية فهي تدخل في مجال العقائد والأيدلوجيات والمبادئ أي الإسلام والمسيحية والعلمانية بمدارسها الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وغيرهم وهذا هو تخصص علماء الإسلام لأنها قضايا فكرية بحتة فحديثنا ليس عن واقع الدول العلمانية أو الإسلامية وليس عن معنى الإرهاب أو ماذا فعل الإرهابيون أو عن التاريخ القديم أو الحديث أو عن من يتاجر بالإسلام . وإذا كان الأخ مطر تعلم أن فصل الدين عن الدولة

من أسس الأمن فأذكره بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام :٨٢) فالعمود الفقري للأمن هو الإيمان والإيمان بالشريعة الإسلامية والكفر بالعلمانية جزء لا يتجزء من ذلك الإيمان . وعندما طالبته بأن يسأل أهل الذكر أي علماء الإسلام فهذا ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى لأنهم أهل الاختصاص في القضايا الفكرية ولا زلت أقول أتمنى أن يسأل في موضوع العلمانية افضل خمسة علماء مسلمين وإذا كان بعض علماء المسلمين يخطئون في بعض اجتهاداتهم فهذا وضع طبيعي وأرجو ألا يقول الأخ مطر لا يوجد علماء مسلمين أثق فيهم . واذكر هنا أن العلمانية تحارب الإسلام بوسائل مختلفة منه التشكيك في صواب بعض عقائده وأحكامه أو مناسبته للعصر الحديث وكذلك التشكيك في علم علماء الإسلام أو نواياهم وكذلك تفعل مع الجماعات الإسلامية المعتدلة وأحياناً تقول الإسلام مقدس فلنبعده عن السياسة لأنها ملوثة حتى تخلو الساحة للعلمانية وأهل الأهواء والمصالح غير المشروعة . والموقف من العلمانية لا يخضع إلى اجتهاد عالم بل هو موضوع محسوم لأن فيه آيات واضحة ويكفي في إثبات كفرها وضلالها أنها تعتبر الإسلام الدين الحق مساوياً للأديان المحرفة والباطلة فالحق والباطل عندها متساويان بل تعتبر الحق هو ترك الإسلام وابعاده عن الدولة والسياسة وأختلف مع الأخ مطر في قوله (وعندما تتفق الأمة في عمل لصالحها فلا داعي لسؤال رجال الدين) وأقول العلماء هم ورثة الأنبياء ومن قال أن الأمة اتفقت على عمل فالعرب في هذا القرن مختلفون لدرجة أنه قيل (اتفق العرب على ألا يتفقوا) وهم بالتأكيد لم يتفقوا على أن العلمانية تحقق مصالح الأمة .

٣- يصر الأخ مطر على تحميل المتدينين (والإسلاميين) خطف الأبرياء وقتلهم والاعتداء

على المدنيين وأقول اقتناعه هذا فيه ظلم كبير فحتى علماء أفغانستان وفي حكم طالبان شجبوا اعتداءات ١١ سبتمبر وطالبوا بإخراج أسامة بن لادن من أفغانستان كما أن موقف علماء السعودية من الاعتداءات التي حصلت في السعودية واضح وصريح وقلت ولا أزال أقول إن الإرهاب قضية هامشية وصغيرة تنفخ فيها أمريكا لمصالحها الخاصة ومشاكل العالم كثيرة أهمها الكفر بالله سبحانه وتعالى أي العلمانية وما شابهها والفقر والمرض والجهل والمؤامرات الأجنبية وغير ذلك وما يجب أن يعرفه الأخ مطر أن هناك مشكلة كبيرة بين أمريكا والمسلمين لأنها تريد أن ندور في فلكها وتضع خريطة للشرق الأوسط تتناسب مع مصالحها ومصالح إسرائيل ولا تريد أن نقرر مصيرنا بحرية وأنت يا أخي شاركت في حرب ١٩٧٣ التي وقفت فيها أمريكا مع إسرائيل تمدها بالسلاح حتى قال الرئيس المصري أنور السادات علناً : (لا أستطيع أن أحارب أمريكا) فإسلامنا ومصالحنا كشعوب وأمة تصطدم يومياً بالمبادئ والمصالح الأمريكية ونحن الطرف المعتدى عليه فالمستفيد الأول من احتلال العراق وتدميره هو إسرائيل فالعراق دولة نامية غير قادرة إطلاقاً على تهديد أمن أمريكا حتى لو امتلك قنابل نووية وذرية وغيرها وهل اقتناع الإيرانيين بأن أمريكا هي الشيطان الأكبر وهم أم أنهم شاهدوها تساند الشاه المستبد الذي قتل فيما يسمى يوم الجمعة الأسود عشرة ألاف من المتظاهرين الإيرانيين وكان يشرب الخمر علناً في رمضان .

٤ - ذكر الأخ مطر أن هناك انحرافات أخلاقية في دولنا العربية وفي تاريخ بعض الدول الإسلامية وفي المقابل هناك جوانب حسنة في الدول الغربية العلمانية مثل محاسبة المرتشين والمختلسين وتوجد ديمقراطية وعدالة اجتماعية وأقول أن الفساد الأخلاقي والرشاوي والإثراء غير المشروع وغير ذلك جزء من واقع كثير من شعوبنا ولكنها

حسب مبادئنا الإسلامية انحراف وفساد في حين أن الفساد الأخلاقي حسب المبادئ العلمانية جزء من الحرية الشخصية ونحن نتحدث عن الإسلام والعلمانية كمبادئ أما الواقع فهو قضية أخرى وأختصر القول بأن أغلب شعوبنا بعيدة عن الالتزام بالإسلام فهي تتحرك بناء على عصبيات عرقية ومصالح غير شرعية وشهوات . . . . . الخ ولكن هذا لا يعني أن واقعنا خال من الإيجابيات والإنجازات فالتعليم مثلاً حقق قفزات هائلة كماً ونوعاً أحياناً خلال الثلاثين سنة الماضية وهناك إيجابيات كثيرة ليس هذا مجال ذكرها . واعتبار الدول الغربية دولاً نجحت في الوصول إلى التقدم والحضارة والرقي أمر صحيح إذا كان التقدم يقاس بالماديات فقط كالغنى والتقدم التكنولوجي والقوة العسكرية أما إذا أعطينا الوزن الأكبر لعلاقتهم بالله سبحانه وتعالى والتزامهم باتباع الأنبياء والسعادة الشخصية والأسرية والاجتماعية فهم متخلفون كمبادئ وواقع وتثبت الإحصاءات ذلك فى ارتفاع نسبة الزندقة والطلاق والخيانات الزوجية والعزوبية وغير ذلك . ولا أدري لماذا يدافع الأخ مطر عن أمريكا وهي التي ألقت قنبلتين ذريتين على اليابان وقتلت مئات الآلاف من الفيتناميين أو فرنسا التي قتلت مئات الآلاف من الجزائريين هل هذه جرائم بسيطة وهي أقل بكثير جداً مما فعله الإرهابيون خلال المئة سنة الأخيرة . إن الإعلام الغربي نجح في خداعنا بإعطاء مبررات لجرائمه فالاستعمار هو (انتداب) والاحتلال العسكري للعراق هدفه تدمير أسلحة الدمار الشامل غير الموجودة وتطبيق الديمقراطية ومحاربة الإرهاب وأمريكا لا تريد الديمقراطية الحقيقية لأنها تؤدي إلى قوة الشعوب ووقوفها ضد المصالح الأمريكية ولكنها تريد أنظمة استبدادية أو ذات ديمقراطيات شكلية فأمريكا ليست غبية لا تدرك هذه الحقيقة وفي نفس الوقت ليست نواياها طيبة حتى تسعى لخير البشرية . ونصر الله لأمريكا ليس

رضا عنها بل لأنها تأخذ بالأسباب المادية وبعض الأسباب الفكرية كالعدل فيما بين الأمريكيين في حين أننا كعرب لا نأخذ إلا بالقليل من الأسباب المادية والفكرية وذنوبنا كثيرة .

٥ - يقول الأخ مطر «هل النواب غير الإسلاميين غير مسلمين» وأقول لم يقل النواب الإسلاميون أو علماء المسلمين أن من ليس من الكتلة الإسلامية ليس بمسلم ولماذا لم ينتقد الأخ مطر تسمية التجمع الوطني الديمقراطي لأن معناه أن غيرهم ليس وطنياً أو ديمقراطياً ومطلوب منا شرعاً أن نحسن الظن إلى درجة كبيرة ولا نأخذ بأسوأ الظنون والتفسيرات . وهو يفعل ذلك مع أمريكا والغرب فلا يشك في أهدافهم ونواياهم . ويتعامل الأخ مطر بحساسية شديدة مع الفرق والجماعات الإسلامية وأقول رابطة الإسلام تجمعنا مع كل من يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والدائرة الإسلامية تتسع حتى لغير المسلمين وهذا لا ينفي وجود اجتهادات خاطئة تنسب للإسلام والإسلام برئ منها سواء فيما يتعلق بعلاقة المسلمين بعضهم ببعض أو بعلاقتهم بغير المسلمين . ووجود اختلافات وأخطاء هو أمر متوقع فلا توجد جماعات معصومة وكذلك الأمر بالنسبة للدول والأحزاب والأفراد . وهناك أمر ينساه الكثيرون وهو أن المسلمين على اختلاف فرقهم وجماعاتهم متفقون على مبادئ كثيرة جداً . ويستشهد الأخ مطر بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام :١٥٩) وأقول لا شك أننا مطالبون بأن نلتزم بالدين كله ولا نتفرق في الأمور الواضحة منه والحل هو أن نطالب كل المسلمين بأن يلتزموا بالقرآن والسنة أما الاختلافات الاجتهادية فهي مقبولة ولا تعني أننا أصبحنا شيعاً حتى لو تفرقنا في جماعات وأحزاب ودول . وأضيف إلى

ذلك أن نسبة المتطرفين في الشباب الكويتي المتدين مثلاً لا تصل حتى إلى ١٪ فلماذا ننسى ٩٩٪ من المعتدلين ونسلط الأضواء على ١٪ من المتطرفين وهل الشباب المتدين المعتدل أو حتى المتطرف هم من يتعاطون المخدرات أو يتعاملون بالرشاوي أو يشترون الأصوات الانتخابية أو هم كل أو حتى بعض ممن أثروا بطريقة غير شرعية وبالتالي فهم ليسوا بالتأكيد سبب تخلف شعوبنا وأمتنا وهذا واقع نراه بأعيننا ومما يثبت ذلك أن الأغلبية الساحقة من أنظمة الحكم في الدول العربية خلال المئة سنة الماضية لم يكن يسيطر عليها الإسلاميون أو المتدينون فأرجو من الأخ العزيز مطر أن يبحث عن الأسباب الحقيقية لتخلف الأمة وقد يقتنع بأن للعلمانيين من رأسماليين واشتراكيين وشيوعيين وعنصريين وطنيين دور كبير في ذلك وكذلك للمؤامرات من الدول الأجنبية العلمانية .

اختلاف الناس صناعة علمانية

قيل قديماً «الاختلاف شر كله» وأقول «الاختلاف الجذري هو شر كله والاختلاف الاجتهادي رحمه» والعلمانية مبدأ قائم على الاختلافات الجذرية وتحاول أن تقنع الناس أن الاختلاف الجذري شئ طبيعي لأن كل ما وصل إليه العقل البشري في القضايا الفكرية أراء تحتمل الصواب والخطأ فحتى الاختلاف في وجود الله قضية تحتمل الصواب والخطأ فما بالك ببقية القضايا ولا شك أن الناس بإمكانهم أن يتعايشوا مع تناقض عقائدهم وأفكارهم ولكن إذا أردنا أن نبني أنفسنا ودولنا على أسس صحيحة فلابد أن نصل أولاً إلى العلم الفكري حتى نوحد القلوب والعقول والجهود ونقوم بالتعاون فالاختلاف يؤدي إلى التفرقة والاتفاق يؤدي إلى الوحدة والعلم يوحد والجهل يفرق قال تعالى ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران :١٠٥) وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال :٤٦) وكان الاختلاف بين البشر ولا زال وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والمسلمون لا يحاربون الناس لأنهم يختلفون معهم ولا نسعى لتغيير عقائد الناس بالقوة فمبدأنا قوله تعالى ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (سورة الكهف : ٢٩) وعندنا استعداد للتعاون مع غير المسلمين على ما فيه خير البشر من اتفاقيات ومعاهدات كما أننا لا نعتدي على الناس . ولكننا نحارب من يعتدي علينا وفي هذا القرن نكون في الغالب نحن المعتدى عليهم وخاصة من دول أوروبا وأمريكا . فإذا علمنا من كلام الله سبحانه وتعالى أنه خلق

آدم وأنه أمرنا باتباع الأنبياء لا فصل الدين عن الدولة كما تطالبنا العلمانية فهذا علم وحقائق فكرية ولن نختلف حول هذه القضايا فليس من الحكمة أن نختلف حول ذلك ونضيع وقتنا لنسمع أراء الفلاسفة والتابعين ممن يقولون أن أصل الإنسان قرد أو أن هناك نظرية شيوعية تقول كذا وكذا أو نظرية غربية تقول إن الزنا جزء من الحرية الشخصية أو غير ذلك لأن من وصل للعلم لا وقت عنده يضيعه في سماع وقراءة الجهل والباطل قال تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف :١٩٩) وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (سورة غافر :٣٥) فالعلمانيون فيما بينهم متناقضون ومختلفون فكيف يصنعون الاتفاق والتعاون مع الآخرين ففاقد الشيء لا يعطيه والاختلاف ليس دليل وعي وحضارة إذا كان حول المبادئ الفكرية الأساسية التي يقوم عليها المجتمع . فالمخلصون على مدى التاريخ وفي كل زمان ومكان لديهم استعداد للالتزام بالعدل والحرية والحقوق والواجبات . . . . الخ ولكن مشكلتهم أنهم مختلفون حول معاني العدل والحرية والعلمانية لم تحل هذه المشكلة فلم تهدهم للحق والله سبحانه وتعالى يبين لنا الحق من الباطل في العقائد وقضايا العدل والحرية والعبادة والمال وغير ذلك فإذا التزمنا بذلك قضينا على الاختلافات الجذرية وقمنا بترشيد الاختلافات الاجتهادية .

وسأتطرق إلى قضية سياسية لأبين منها جزءاً من حجم كارثة الاختلاف التي أصابت الأمة العربية من التفكير العلماني فبعض المثقفين العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية من العرب يقولون إن علينا «كعقلاء» أن نقف مع الاحتلال الأمريكي للعراق وأن أمريكا تريد تحقيق الإصلاح في الدول العربية .وسأتطرق إلى هذا الموضوع من عدة جوانب هي :

١ - اختلاف الآراء والاقتناعات في الموقف من الاحتلال الأمريكي للعراق ترجم إلى أعمال

قتالية وعنف ففتح جبهة للصراع بين عدة أطراف عراقية وبين الأمريكان وكذلك أوجد فريقاً مؤيداً للاحتلال وفريقاً ثالثاً لم يحسم أمره وغاب الأمن نتيجة لذلك وبالتالي فالاختلاف في الأراء من الاحتلال أفسد للود ألف قضية ولا يستطيع أحد أن يمنعه من أن يترجم إلى صراع وقتال ودمار . فالحلم العلماني بقبول الاختلافات الجذرية هو سراب لا حقيقة له في كثير من القضايا المصيرية .

٢- لا شك أن الحوار بين المؤيدين والمعارضين سيكون عقيماً إذا حاول الطرفان التركيز على إيجابيات وسلبيات الاحتلال فقد يقول المؤيد أن العراق أصبح أكثر حرية وصحفاً وحواراً . . . . الخ في حين أن المعارضون قد يقولون ما فائدة ذلك إذا خسرنا سيادتنا وأصبحنا مستعمرين لا سلطة لنا على بلدنا وهناك آلاف من المعتقلين وهناك طبعاً ردود من الطرفين لا مجال للتوسع فيها وهذا التناقض حدث لأن المعايير الإسلامية لبيان الحق من الباطل غير مقبولة من الجميع ولأنه لا توجد معايير علمانية في هذه القضية بل في كل القضايا وكل طرف سيبقى عاجزاً عن إقناع الطرف الآخر ولن نعرف بهذا الأسلوب المخلص من الخائن والعاقل من الأحمق وهل نقف مع الأمريكان أم ضدهم؟ مع أن المعلومات متوفرة لدرجة لا بأس وعندنا خبرات سياسية كثيرة واستمعنا إلى مختلف الأطراف قبل الحرب وأثناءها وبعدها وأحب أن أذكر هنا أنني أتكلم فقط عن المخلصين من العراقيين وما بينهم من تناقض لا من تحركهم المصالح .

٣- لا يمكن أن نعرف أهل الحق قبل أن نعرف الحق كما قال الأمام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أعرف الحق تعرف أهله» فمناقشة الإيجابيات والسلبيات ليست الطريق إلى معرفة الحق كما وضحت أعلاه فبالعقلية العلمانية لا نستطيع أن نثبت أن الأمين الفقير «أعقل» من الحرامي الغني والحكم على قضايا أكثر تعقيداً كالقضايا السياسية يتطلب أولاً معرفتنا

بالعلم الفكري (الإسلام) ثم معرفة الواقع السياسي ثم بعد ذلك نستطيع أن نعطي الحكم المناسب أي نجتهد بصورة جماعية لا فردية في الوصول إلى الرأي الصواب أو الأقرب إلى الصواب وقد يقول قائل إن كثيراً من القضايا يمكن الحكم عليها بسهولة إذا كان لدينا علم بالقرآن والسنة وأقول نعم هذا بالنسبة للقضايا العقائدية ولكن كثيراً من القضايا السياسية تتطلب أن نعرف الواقع أيضاً وإلا سيكون اجتهادنا خاطئاً فعلماء الإسلام وحدهم سيكونون عاجزين وكذلك المتخصصون في السياسة من المسلمين لوحدهم سيكونون عاجزين . فالبداية الصحيحة أن نسأل العلماء عن الآيات والأحاديث التي تتطرق لموضوع القضية التي نبحثها وما هي حدود الاجتهاد فيها من ناحية فكرية؟ وهذا يساهم كثيراً في ترشيد كثير من الأراء والاجتهادات ويلغي كثير من الأراء الخاطئة ولا شك أن علماء الإسلام هم من يفتح الله بصائرهم للحق والصواب وأنا هنا أتكلم عن اجتهاد جماعي لا فردي قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور : من الآية٤٠) فالعلمانيون والعصاة لن يروا الحق حقاً والباطل باطلاً لأن الله سبحانه وتعالى يعمي بصائرهم حتى لو توفرت لهم المعلومات الكثيرة .

٤ – نحن نفتقد وبشدة في الوطن العربي المعاهد السياسية المتخصصة وكذلك المعاهد المتخصصة في مجالات الدراسات الاجتماعية والإدارية والاقتصادية . . . . . الخ ونريد اجتهادات سياسية لمؤسسات لديها كثير من المعلومات والعلم في السياسة فأحد الأسباب الرئيسة لتخلف الأمة يرجع لغياب البيئة العلمية التي تجعلنا نرى واقعنا بصورة شاملة وعميقة ويتخبط العرب في مواقفهم وآراءهم لأنهم لا يستمعون لعلماء الإسلام والمتخصصين في السياسة ولهذا تؤثر بهم المعلومات الخاطئة والشائعات والمكر والخداع

والكذب والاتهامات الباطلة وما أكثر هذه الأمور في عالم السياسة ولهذا نختلف جذرياً حول موقفنا من أنظمة الحكم وعلاقتنا بالعرب أو الغرب ودور الأقليات وحدود الديمقراطية وحقوق الإنسان وغير ذلك .

٥ - ما يجهله كثيرون أن هناك مبادئ إسلامية يجب أن نلتزم بها في سعينا للإصلاح منها أن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالإصلاح لا يأتي من الخارج لا من قوة صديقة أو عدوة وأنبه هنا أن الإصلاح ليس هو التغيير فتغيير الحكام والأنظمة يمكن أن يحدث من الخارج والداخل وما نراه في واقع كل شعب هو ما يستحقه ووجود انحرافات لأنظمة الحكم لا يبرر الثورة عليها إلا في حالات معينة ومن الكبائر إشعال الفتن بين الشعوب والحكومات وسفك دماء المسلمين وغير المسلمين فالقضية الأولى في الإصلاح هي ضرورة الرجوع إلى الدين والالتزام به اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وهذا الموضوع لا نجد إلا نادراً من يتطرق إليه سواء في العراق أو غيره فلا أمن ولا سعادة لشعب بلا إيمان ولن يستطيع حاكم ظالم وأعوانه حتى لو وصل عددهم مليون إلى اضطهاد شعب بعشرة ملايين إلا إذا كان هذا الشعب بعيداً عن الإيمان والطاعة بل إن الفئة المسلمة تغلب ضعف عددها . وتعامل حكوماتنا مع الحق والإصلاح لا يختلف أبداً عن تعامل شعوبنا فكما تكونوا يُول عليكم وهذه حقيقة فكرية تطرقت لها في كتاب (إصلاح الشعوب أولاً) وليس هذا مجال إثباتها فالحكومات ليست أحسن ولا أسوأ منا وأنا أتكلم عن المحصلة النهائية لأعمالها والغريب أننا نرى انحرافات الحكومات ونبالغ فيها ولا نرى انحرافات الشعوب مع أن حجمها أضعاف حجم انحرافات الحكومات ولو أخذنا مؤشرات الكذب والنفاق والبخل والغش التعليمي والكسل وقطيعة الرحم وترك الصلاة والعصبيات العرقية . . . الخ وقسنا بها رصيد

شعوبنا منها لصدمنا من النتيجة .

٦-من الخطأ أن نتعامل مع الأحداث السياسية وغيرها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية بناء على آراء شخصية أو انفعالات والعلمانية من باب حرية الرأي فتحت الأبواب للآراء الشخصية لتتكلم ولتقود الناس في اتجاهات متناقضة عقائدية وسياسية وتربوية . . . . الخ ولهذا يتفرقون ويتناقضون ويتصارعون في أحيان كثيرة والمفروض أن يتبع المخلصون الحق والصواب أي العلم لا الأراء القائمة على الظن فكثيرون جداً منا يفتون في قضايا كثيرة وإذا تأملنا لم نجد أنفسنا من أهل العلم الشرعي ولا حتى من أهل العلم في القضية السياسية المطروحة أو غيرها من القضايا والغريب أننا لا نفعل ذلك عندما يكون الحديث عن الأدوية أو الطب أو الفيزياء . والعلمانية هي التي جرأت الناس على التحدث بلا علم فأصبح الجهل هو الذي يقود الناس وأنا لا أطالب بتكميم الأفواه وكسر الأقلام بل أطالب بألا يتكلم أو يكتب إلا من لديه علم وقديماً قيل «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس» وإذا كان القاضي الذي يحكم بناء على جهل يدخل النار كما أخبر رسول الله ﷺ فإن كثيرين من المفكرين والسياسيين يتكلمون عن جهل مما يؤدي إلى ضياع وضلال الكثيرين فالرجوع إلى العلم وأهل العلم من خلال إيجاد المعاهد العلمية الكبيرة والقوية هو أهم أسس الحكمة والتنمية والوعي .

٧-من أهم صفات العلمانيين العرب تلون مواقفهم فإذا أحبوا حكومة أو حاكم ذكروا الإيجابيات وقللوا السلبيات وإذا كرهوا كان العكس وكانوا يلعنون أمريكا قبل عدة عقود والآن يمدحونها ويبالغ العلمانيون كثيراً في تقديرهم لحجم سلبياتنا مما يجعلهم أحد أعمدة اليأس والتشاؤم الذي وصل إلى مطالبة أمريكا بالسعي لتغيير الأنظمة العربية فهي في نظرهم لم تحقق الإصلاح المطلوب ولا أبالغ إذا قلت أنهم لا يعتبرون

نظاماً عربياً واحداً يسير في الاتجاه الصحيح وذلك لأن المعايير الإصلاحية عندهم مثالية وأحياناً انتقائية وأحياناً جزئية وبالتالي ستكون النتيجة دائماً «لم ينجح أحد» فهم فعلاً شخصيات قلقة ومحطمة نفسياً ولا تستطيع أن ترى الإيجابيات الموجودة في واقعنا وهم لا يجيدون غير النقد والكلام وتوجيه الاتهامات وإشعال الفتن فدورهم دور طابور خامس ليس فقط على المستوى العقائدي والنفسي بل أيضاً السياسي والاجتماعي والاستعانة بأمريكا بحد ذاته دليل عجز العلمانيين العرب وضعفهم عن القيام بالإصلاح بأنفسهم كما أنه يتناقض جذرياً مع حرية الشعوب في تقرير مصيرها .

٨- بالتأكيد أن هدف أمريكا من احتلال العراق ليس تحقيق الديمقراطية أو الدفاع عن حقوق الإنسان . . . . الخ فأمريكا تتحرك بناء على ما تعتبره مصالحها أو مصالح المتنفذين فيها وعندها الغاية تبرر الوسيلة وتعاملها الحقيقي وأحياناً المعلن مع الدول يثبت أنها لا تعترف بسيادة الدول ولا حريتها في اتخاذ ما تؤمن به من مواقف وحتى لا تقبل مبدأ الحياد فإما مع أمريكا أو ضدها فمن السذاجة السياسية والفكرية أن يقول العلمانيون العرب أو بعضهم عن دولة هذه مبادئها أنها تريد الإصلاح . وإذا كان البعض يبالغ في ما يسمى بنظرية المؤامرة ويراها خلف كل حدث فإن من السذاجة أن يعتقد البعض أنه لا توجد مؤامرات تسعى لضرب الإسلام وإشعال الفتن السياسية والاجتماعية لإضعاف أمتنا وأوطاننا . فعداء أمريكا للمسلمين واضح وتحالفها مع إسرائيل واضح والأدلة كثيرة منها ما قاله الرئيس الأمريكي السابق كلينتون أن كاهنه الذي رعى تربيته الروحية أوصاه «إذا تخليت عن إسرائيل فإن الله سيغضب عليك» ومن الطبيعي أن يقابل العداء بالعداء والعنف بالعنف . وأظن أن أمريكا بدأت تدرك أنها خسرت الكثير وأن قوتها العسكرية والاقتصادية والإعلامية لا تستطيع أن تحقق ما تريد .

التصنيف السياسي للعلمانيين العرب

إذا كان التصنيف الفكري للعلمانية هو الكفر والشرك والإلحاد أي الخيانة الفكرية للإسلام فإن التصنيف السياسي هو الولاء لأمريكا وأوربا والطابور الخامس وأنظمة التناقض والتخبط والضياع في الآراء والمواقف وسأتطرق إلى بعض الحقائق في الواقع السياسي العربي التي تثبت ذلك وإليكم الأدلة :-

١ - شاهد العرب نموذجا مثاليا للعلمانية في نظام البعث العراقي الذي حارب السنة والشيعة والأكراد ودخل في صراع معهم وتحول إلى حزب استبدادي بل شديد الاستبداد وجعل الشعب العراقي من أفقر الشعوب العربية مع أن ثرواته النفطية والزراعية والبشرية هائلة وهاجر من العراق أكثر من ثلاثة ملايين عراقي وليس السبب الوحيد هو الحكم العلماني فهناك أسباب أخرى لكن أهمها الضياع العقائدي والسياسي الذي عاش فيه العراق نتيجة العلمانية ولا يمكن في هذه العجالة فتح ملفات كثيرة ولكن النتيجة النهائية هي أن الأغلبية الساحقة من الشعب العراقي لا تريد حكم البعث العلماني بعد أن رأت ما عمله خلال ثلاثين عاما ونموذج آخر سيئ للعلمانية هو نموذج اليمن الجنوبي الشيوعي حيث دمر هذا النظام العلماني الحريات الفكرية والسياسية والاقتصاد وهناك نماذج أخرى لا داعي لذكرها ومن المهم أن نذكر العلمانيين أن هذه الأنظمة علمانية وتنطلق من منطلقات علمانية وليست دينية ولا يحق للعلمانيين أن يتبرؤوا منها فهم لا يؤيدون النظام العراقي ولا يعارضونه واليوم لا ندري من من الأنظمة العربية يمثلهم ومن هو خصمهم أو عدوهم من الأنظمة فكأنهم راضون عن كل الأنظمة وفي نفس الوقت كأنهم ساخطون عليها فهم يحبون أن يعيشوا في

عالم من التنظير والكلام والضبابية والسراب والآمال والأحلام لا علاقة له بما يدور في الساحة من أنظمة وأحزاب ومواقف .

٢- واضح جدا للقريب والبعيد أنه لا يوجد حزب واحد علماني له شعبية حقيقية في الوطن العربي فالأحزاب العلمانية بلا قواعد شعبية وإذا وجد لبعضها بعض المؤيدين فهم قلة وتأييدهم لها ضعيف لا يتجاوز إلا أحيانا مرحلة الكلام فالأعمال تحتاج إيماناً قوياً والعلمانية غير قادرة على بناء إيمان قوي بمبادئها الفلسفية ولا تقيم الأنظمة العربية للعلمانيين أي وزن حقيقي ليس فقط لأنهم ظاهرة صوتية بل أيضا لأنهم متناقضون ومختلفون ولا تجد حزباً علمانياً قادراً على الانتشار في أكثر من بلد فأحزابهم لا تستطيع أن تقفز فوق الانتماءات العنصرية وبالتالي فهي أعجز من أن تحمل أماني الأمة والوطن وبلا وحدة أو تعاون جاد لن تكون هناك قوة حقيقية للعرب وللشعب الواحد ونجح حزب البعث في الوصول للحكم ولا أقول نجح في الحكم وكان العداء بين البعث العراقي والبعث السوري أشد في معظم الأوقات من عداء هذه الأحزاب لأنظمة أخرى وفي هذا دليل واضح على ضعف البناء الفكري للعلمانية وللبعث العلماني .

٣- ضعف شعبية العلمانيين جعل رفض الديمقراطية عمل متوقع من قبل الأنظمة العلمانية لأن الديمقراطية تعني حكم الأغلبية وهذا يؤدي إلى انتزاع السلطة من النظام العلماني ونهاية حكمهم ولهذا تعتمد الأنظمة العلمانية على الجيش والمخابرات أو انتماء عرقي أو طبقي أو دعم أجنبي أو قاعدة فرق تسد أو غير ذلك أو بعض ذلك . وما ينطبق على الديمقراطية ينطبق على حرية الرأي فهم غير قادرين على سماع رأي الشعب بهم لأنهم يعلمون أنه يتهمهم بالكفر والزندقة والإلحاد والظلم و أدى ضعف الأنظمة العلمانية

العربية إلى ضعف قدرتهم على تحقيق إنجازات كبيرة سواء اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية فالعلمانيون ليست لديهم قوة فكرية مقتنع بها الشعب وليست لديهم شعبية يستندون إليها وبالتالي سيكونون ضعفاء في محاربة الفساد وفي تحقيق الإصلاح وفي الوقوف أمام أعداء الأمة وفي مثل هذا الضعف يصعب بل يستحيل تحقيق تقدم اقتصادي كبير أو تعليمي أو علمي لأن التطور الاقتصادي يحتاج القوة والحرية والشفافية والالتزام بالقوانين .

٤ – من أهم ما يميز العلمانيين العرب هو أنهم منبع إثارة كثير من الفتن فالعلمانية تدفعهم للدخول في حروب على مختلف الجبهات العقائدية والاجتماعية والسياسية في مجتمعهم فهم في عداء مع الإسلام ومع تقاليد المجتمع ومع توازناته السياسية والاجتماعية بل إن اختلافهم وعداءهم يمتد حتى للتاريخ وثقافة الأمة فهم يعتبرون تاريخ الأمة أسوداً ويرددون شبهات المستشرقين والأعداء ومن البدهي أن القدرة على النجاح تتطلب التعاون مع القوى الشعبية الرئيسية ولأن من طبيعة العلمانيين التناقض «فلن يرضيهم العجب ولا الصيام في رجب» لأنهم سينتقدون ما يوجد في المجتمع من إيجابيات وسلبيات ولهذا نجد المجتمع ينفر منهم وما يكسبونه من تأييد سياسي يفقدونه لمواقفهم الاجتماعية وما فيها من الدفاع عن التبرج والفساد الأخلاقي وإذا أضفنا إلى إشعالهم الفتن أن سخطهم على الأوضاع يجعلهم أساتذة بنشر اليأس والإحباط ليس فقط في الأمة بل بين العلمانيين أنفسهم وهذه نتيجة منطقية فمن ليس مقتنعاً بعقائد الأمة وبتاريخها وبعلمائها وبحكوماتها سيصاب باليأس لأنه لا يرى اللون الأبيض ولهذا ليس من الغريب أن تجد للعلماني شخصية قلقة أو غاضبة أو حزينة ولهذا لا يرون أننا حققنا كأمة الكثير من الإنجازات الطيبة خلال الخمسين سنة الماضية

حتى لو تم بناء آلاف المدارس ومئات الجامعات والمعاهد وهناك إنجازات هائلة في الطرق والمباني والتعامل مع التكنولوجيا وهذا لا يتعارض مع أننا في بداية الطريق للتقدم ولكن المقصود أن العلمانيين ليسوا قادرين على رؤية الإيجابيات وبالتالي ليسوا قادرين على وضع أيديهم بأيدي المخلصين الذين حققوا هذه الإنجازات الطيبة وهذه الصفات تجعل العلمانيين يعيشون متنافرين مع شعوبهم وناشرين لليأس والهزيمة النفسية وبالتالي لن يكونوا قادرين على قيادة الشعب أو تحفيزه .

٥ - شاء أو أبى العلمانيون العرب فهم طابور خامس للقوى الأجنبية وخاصة أمريكا وأوربا فاشتراكهم في العلمانية مع هذه القوى يوجد نوعاً من المحبة بينهم مما يبعدهم عن المسلمين وكما يقول المثل الكويتي «اللي مو على دينك ما يعينك» ومما يثبت ذلك أن العلمانيين العرب من النوع الرأسمالي يستخدمون نفس المصطلحات التي يستخدمها الغرب في حربه على الإسلام والمسلمين كالإرهاب والأصوليين بل يسعون لنفس الأهداف التي يسعى لها الغرب كإبعاد الإسلام والمسلمين عن الدولة والسياسة من خلال اتهامات لا تنتهي للمسلمين المعتدلين وليس المتطرفين بل حتى العمل الخيري لم يسلم من التآمر عليه من أمريكا ومن العلمانيين العرب فشرهم وصل إلى الأيتام والمدارس والمستشفيات بل أصبح بعض العلمانيين العرب من أكثر الداعين للسلام مع إسرائيل أو الصمت عن جرائمها اليومية فإذا كان هذا موقفهم من قضية فلسطين وهي قضية العرب الأولى فإنهم وبلا شك قطعوا شوطا كبيرا في مساعدة أعداء الأمة من حيث يدرون ولا يدرون فهم انسلخوا من جلدهم العربي بعد أن انسلخوا من الإسلام وأكبر خدمة يقدمونها للأعداء هو التشكيك في مبادئ الأمة الإسلامية مما يجعلها غير قادرة على الانطلاق من قاعدة فكرية صحيحة تحقق تعاونها واتفاقها كما

أنهم يقومون بتسويق أمريكا بالقول أنها تسعى لتطبيق الديمقراطية في الوطن العربي وهذه ليست نكتة سياسية فكأن أمريكا احتلت العراق لتطبق الديمقراطية وتنقذ الشعب العراقي من الظلم والاستبداد ومن صفات الكتاب العلمانيين أنهم يخلطون بين الجهاد والإرهاب وبين السلام والاستسلام ويزورون بعض الأحداث السياسية الحديثة لتشويه الإسلاميين ونواياهم وأهدافهم ومن المعروف أن المتطرفين من الإسلاميين حسب المعايير الدستورية القانونية المحلية والعالمية قليلون جدا في حين أن العلمانيين يحاولون إقناع الناس أن أغلب الإسلاميين متطرفون .

٦- مع مطالبة العلمانيين العرب بالديمقراطية إلا أنهم يرفضونها إذا كانت ستؤدي إلى وصول «الإسلاميين» للسلطة بكلمات أخرى إذا لم تؤد الانتخابات إلى نجاح العلمانيين فليذهب الإصلاح والديمقراطية للجحيم وهم يريدون أن يكونوا أوصياء على الشعب ويحددون له ما يناسبه وما لا يناسبه وهم لم ينالوا هذه الوصاية من خلال انتخاب الشعب لهم ولا من خلال القرآن والسنة ولا حتى من خلال قوة مالية أو اجتماعية ومن يعجز عن النجاح في انتخابات حرة ديمقراطية سيعجز بالتأكيد عن تنظيم دولة وحكومة تحتاج لكثير من المبادئ والعقول والجهود الشعبية ولو كان العلمانيون يتبعون العقل لركزوا جهودهم على القضايا الإدارية والاقتصادية والصناعية وحققوا إنجازات طيبة للشعوب وتركوا القضايا والصراعات العقائدية والسياسية لأنها جعلتهم مكروهين ومنبوذين والعاقل هو الذي يفهم الواقع ويركز على ما سينجح فيه لا ما سيفشل فيه وحقيقة العلمانيين أنهم أصبحوا يغردون خارج سرب الإصلاح والواقع ولو تنبهوا لذلك لصمتوا حفاظا على راحة حناجرهم وأقلامهم قال تعالى : ﴿مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا

يعقلون﴾ (١٧١) سورة البقرة ، والمفاهيم الأساسية الصحيحة للإصلاح والسياسة والحريــة والعدل والظلم وحقوق الإنسان . . . . .الخ تنبع من المعرفة الصحيحة بالله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه ولماذا خلقنا؟ وأنتم أيــها العلمانيون تعترفون أنــها ليست مجال علمكم ومعرفتكم وبالتالــي فبناؤكم السياسي قائم على الجهل ولهذا تتخبطون وتفشلون فــي فهم الإنسان والحياة والأحداث السياسيــة حتــى لــو كانت عندكم معلومات سياسيــة فأنتم تشاهدون الطبقة أو القشرة الخارجية من الواقع ومن لا يفهم سنن الله في الكون لن ينجح فــي اعماره قال تعالى : ﴿قــل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ (26) سورة آل عمران وأنتم كنتم ولا زلتم تعتقدون أن أغلب أوراق الواقع هي بيد أمريكا والدينار والدرهم والقوة الإعلامية .

٧- لا يعتبر العلمانيون العرب تجمعا معتدلا في الحياة السياسية العربية فهم أنعزاليون ومغرورون وعلاقاتهم بالقواعد الشعبية – ناهيك عن القوى السياسية الحقيقية – هي علاقات ضعيفة أو مقطوعة و هم ليسوا قوة معتدلة تلتقي عندها القوى الشعبية في حلول وسط ومما يثبت عزلتهم وضعفهم هو سقوطهم الكبير في أي انتخابات شعبية حرة ولو كانوا يمثلون الاعتدال والوسطية لنجحوا ، وهذا شئ طبيعي فتطرفهم الفكري والسياسي يجعلهم منبوذين من مجتمعهم ولو كانوا وسطا لكانوا مندمجين في مجتمعهم وآماله وآلامه وأهدافه ومواقفه فالعلمانيون العرب هم أبعد الناس عن الاعتدال والوسطية والتسامح والواقعية وهذا وغيره يجعلهم ينتقلون من فشل إلى آخر وكثير منهم لا يرى هذا الفشل والأسباب الحقيقية التي خلفه ولهذا يجرب حلولاً

خاطئة أخرى لأن عقولهم عمياء قال تعالى : ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين﴾ (٤٠) سورة الزخرف وقال تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾(١٧٩) سورة الأعراف .

العلمانية هي الفلسفة لا العلم

كتب الأخ العزيز كامل عبد الحميد الفرس مقالاً في القبس بتاريخ ١١ أغسطس ٢٠٠٤ تحت عنوان (خلط المفاهيم بين الديمقراطية والعلمانية) وهو رد على مقالي الذي نشر بعنوان (الديمقراطية أو العلمانية) وتطرق الأخ كامل إلى مواضيع كثيرة أحببت أن أعلق عليها بما يلي :

١ - استنتج الأخ كامل أنني أعتقد أن أساس البلاء لهذه الأمة يأتي من جراء حفنة من العلمانيين وطروحاتهم المتناقضة . . . . الخ وأقول إن العلمانيين هم أحد أسباب تخلف الأمة أما السبب الرئيس فهو بعدنا عن الالتزام بالإسلام نتيجة جهل أو كسل أو السعي وراء المصالح الشخصية أو التعصب العرقي بكافة أشكاله القبلية والشعبية والقومية أو غير ذلك فلو لم يكن في الأمة علمانيون فسنظل متخلفين إذا لم نغير ما بأنفسنا .

٢ - قال الأخ كامل : «إن العلمانية هي فلسفة علمية خالصة بالدرجة الأولى تضع منهاجاً في أسسها لا تقبل التضليل تحت أي مسوغ أو فكر كان ، فما بالك بالمسوغ اللاهوتي؟ وحين تشبثت العلمانية بروحها الصلبة كالبرغماتية المنهاجية لتطرحه على ماهية الفكر الإنساني يستجيب طاغوت المعرفة الحقة وفضيلة الإخلاص للعلم ودوره الشامخ في نشل الأمم من بؤس الغموض» . ثم بعد ذلك يستشهد بتطور اليابان الاقتصادي بعد الهزيمة في الحرب العالمية الثانية ، ثم قال «وأين من ذلك اليمن وماليزيا التي ينتشي فرحا بديمقراطيتها السيد دويهيس» وتعليقي على ذلك هو فيما يلي :

أ- حديثي عن ماليزيا واليمن كان من باب إثبات وجود دول ديمقراطية إسلامية ولم

أتحدث عن تطور اقتصادي أو تكنولوجي مع أن ماليزيا حققت نجاحات طيبة في ذلك أما المقارنة بصورة عامة بين الدول الإسلامية والدول العلمانية وأسباب تقدمهم وتخلفنا فقد تطرقت لها باختصار في ردي على مقال الأخ العزيز مطر سعيد المطر ويمكن الرجوع إليه ولم أتجاهل إيران والسودان كما قال الأخ كامل فذكرت في المقال أن هناك اجتهاد إسلامي يرى أن نتيجة الشورى غير ملزمة للحكومة . وبالتالي فعدم تطبيق الديمقراطية (الشورى الملزمة) لا يعني أن الشورى غير الملزمة غائبة عن الأنظمة الإسلامية قديماً وحديثاً . فعلى سبيل المثال شيخ القبيلة يشاور كبار رجالها حتى لو لم يكن في القبيلة مجلس شورى أو انتخابات وكذلك الأمر في الدول وما أعرفه أن في إيران والسودان انتخابات وحرية لا بأس بها مقارنة مع الدول العربية المتأثرة بالعلمانية . وهذا لا ينفي وجود حكومات مسلمة مستبدة ولكن لا شك كلما زاد الوعي والإيمان عند الشعب والحكومة زادت مساحة الشورى . ومن الخطأ أن نعتبر الديمقراطية الغربية هي المسطرة التي نقيس بها الأمور من دون معرفة مبادئنا وطبيعة واقعنا .

ب- التعريف الذي ذكره الأخ كامل للعلمانية ليس هو التعريف العلمي لها بل هي فصل الدين عن الدولة كما تبين ذلك المراجع العلمية والتطبيق العملي فالعلمانية ليست الإخلاص للعلم وليست الأسلوب العلمي وليست الثورة الصناعية وليست الواقعية (البرغماتية) أو الديمقراطية أو القطاع الخاص ورغبة العلمانية في الوصول إلى العلم والالتزام به أمر لم يتحقق في مجال الحياة السياسية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية ومما يثبت ذلك أن العلمانية الغربية تلجأ للتصويت لحسم اختلاف الأراء في كثير من الأمور ولهذا تكتسب الديمقراطية عندها أهمية

كبيرة لأنها تحتكم للتصويت لا العقل والعلم وعدم اعتمادها على العلم «الفكري» واضح في اقتناعها بأنه لا توجد حقائق فكرية بل توجد أراء فكرية فمثلا الموقف من الإجهاض يتم الاحتكام فيه للتصويت وكذلك الأمر في توزيع الميراث وفي عقوبة القاتل وفي الحقوق المترتبة على الزواج أو الطلاق وهذا ينطبق على كثير من المبادئ الاقتصادية والاجتماعية فالعقل والعلم لا رأي لهما في هذه المواضيع عند العلمانيين الغربيين ولهذا تتغير قوانينهم بين فترة وأخرى وأنا أتكلم هنا عن قضايا أساسية «مبادئ» وليست اجتهادية كما أنها في قضايا الأديان والعقائد لا رأي لها فهي لا تعرف العلم من الجهل فيها أي الحق من الباطل ونصحها عقلها بالابتعاد عنها والهروب منها وكذلك فعلت مع كثير من القضايا الاجتماعية والشخصية حيث اعتبرتها حرية شخصية لا تتدخل بها فأين «المعرفة الحقة» التي وصلت إليها العلمانية في كل هذه المواضيع وكيف انتشلت الأمم من بؤس الغموض وهي التي وصلت إلى أراء متناقضة والجدل البيزنطي وصدق «باسكال» الذي قال «إن التفلسف الحقيقي هو الهزء من الفلسفة» والعلمانية والفلسفة هما وجهان لعملة واحدة . أما بالنسبة للعلم المادي المتعلق بالصناعة والطب والزراعة . . . الخ فهذا علم يلتزم بحقائقه كل البشر بدليل أن ملايين المسلمين لديهم شهادات في الهندسة والكيمياء والطب والحاسب الآلي . . . الخ . فلما توفرت لنا الأموال درسنا هذه العلوم في بلادنا وفي بلاد الغرب . والدول الغربية واليابان أكثر تقدماً منا لأسباب كثيرة منها أن فقر أغلب بلادنا جعلها عاجزة عن إنشاء المصانع الكبيرة والكثيرة وعاجزة عن رصد ميزانيات للبحث العلمي فالولايات المتحدة تصرف حالياً مئة ضعف ما تصرفه الدول

العربية مجتمعة . وعموماً فالعلمانية ليست هي العلم المادي وليست هي علم الإدارة بل هي الفلسفة والعلم برئ من العلمانية والعلمانية هي التي تريد خلط المفاهيم حتى تنسب لها فضل غيرها . وأكبر عملية تزوير صدقتها البشرية هي الاعتقاد بأن العلمانية قائمة على العقل والعلم .

ج- هل الدين (الإسلام) علم؟ وهل الإيمان بالغيب نوع من الجهل والسطحية؟ وهل الدين منهج مثالي وأخروي أو منهج واقعي ودنيوي وأقول الدين هو العلم الفكري أي الحقائق الفكرية المتعلقة بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ولماذا خلقنا؟ والمعاني الصحيحة للإيمان والكفر والعدل والحرية والمساواة والحقوق والواجبات الزوجية وغير ذلك . والدين علم لأنه بالعقل والأدلة العلمية أثبتنا وجود الله سبحانه وتعالى وصدق محمد ﷺ . فالإيمان بالملائكة والجنة والنار والقضاء والقدر إيمان بالغيب وإذا كان المسلمون مستسلمين لقدر الغيب كما قال الأخ كامل فهذا فهم خاطئ لقضية القدر وأنا لا أخترع شيئاً جديداً فالرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب المادية والإيمانية (الفكرية) في كل أموره من دعوة وسياسة وحرب بل قيل من يراه كيف يأخذ بالأسباب المادية يظن أنه لا يؤمن بوجود أسباب إيمانية كالدعاء والصلاة ومن يراه يأخذ بالأسباب الإيمانية يظن أنه لا يؤمن بوجود أسباب مادية فالحياة لا تسير فقط على سنن (قوانين) مادية كما يعتقد الغرب بل هناك سنن فكرية فعالة منها أن الله سبحانه وتعالى ينصر المؤمنين وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويرزق من يشاء ومن هذه السنن أن السعادة الدنيوية هي من نصيب من آمن بالله واتقاه فهي أمر لا تحققه الأموال والمناصب والأبناء . . . . . الخ . والإيمان بهذه الأمور ليس تضليلاً أو سطحية بل هي جزء

من العلم أبلغه لنا الأنبياء الصادقين المهتدين وإذا اعتبر الفلاسفة الضائعون هذا الإيمان تضليلاً فهم المخطئين لا نحن . والدين ليس منهجاً مثالياً فالواقعية (البرغماتية) جزء من ديننا قال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن : ١٦) فعندنا الإمكانية والقدرة على التأقلم مع الأحداث والأحوال من قوة وضعف وفقر وغنى . . .الخ والتأقلم ليس معناه الذوبان أو أننا بلا مبادئ بل يعني الواقعية واليسر .

د- حاولت العلمانية أن تصل إلى الحقائق الفكرية بوسائل مختلفة ثبت فشلها جميعها فبعض العلمانيين استخدم أسلوب الوصول للحقائق المادية وهو أسلوب التجربة والمشاهدة والاستنتاج وطبقه على القضايا الفكرية وأشهر هؤلاء الشيوعيين الذين تعاملوا مع الإنسان كمادة وألفوا فلسفة سخيفة وأضروا البشرية وهذا من ثمرات العلمانية . وهناك من احتكم للتصويت والحلول الوسط لحسم الخلافات الفكرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهناك من آمن بالوجودية وأن التجربة خير برهان وأننا سنعرف الحق من الباطل من خلال المعايشة كما يقول المثل (أسأل مجرب ولا تسأل طبيب) وهناك من اتبع الفلسفة البرغماتية (الواقعية) وهي قائمة على تجربة الأفكار والأراء والذي يثبت الواقع فعاليته هو الصحيح فالاحتكام هنا للواقع وليس للعقل فمثلا إذا زاد الطلاق يتم وضع قيود فإذا نجحت هذه القيود في تقليل الطلاق فهي صحيحة ولكن هذه الفلسفات وغيرها ليست الأسلوب العلمي للوصول للحقائق الفكرية وهذا لا يمنع النجاح الجزئي لها في بعض المواضيع فالطريق الصحيح هو إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ثم إثبات صدق رسول الله ﷺ ونتيجة لكل ذلك فكل آية قرآنية وحديث هو حقيقة فكرية أما

الطريق العلماني الفلسفي فهو يؤدي إلى التناقض والحيرة واتباع فلسفات ومبادئ كثيرة منها مذهب التأثير المتبادل ومذهب الذات الوحيدة ومذهب اللذة والمذهب العقلي والحتمية واللاحتمية ومذهب الأولوهية الطبيعية وغيرها كثير فالعلمانية هي أم كل هذه الفلسفات وتناقضها وضياعها وعجزها على إعطاء أجوبة يقينية يثبت جهلها والخطأ ليس في العقل ولكن في استخدامه بطريقة خاطئة فالعين السليمة لن تبصر في الظلام العلماني وسيتخبط صاحبها ولكن عندما تخرج للنور الإسلامي ستبصر وسترى الخير والشر واضحين قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (سورة النور :٤٠) . وهذه الفلسفات تثبت أن الفلسفة والعلمانية هما وجهان لعملة واحدة كما تثبت أن الدين والعلمانية يتصادمان في كثير من المجالات الفكرية ولم أقل كلها لأن هناك قضايا اجتهادية ليس للدين حكم فيها وهنا أختلف مع الأخ كامل عندما قال «وما علاقة الدين في العلمانية حتى تصاب بداء الإلحاد؟» ، وأقول العلمانية هي الكفر والإلحاد ومعنى الإلحاد الميل عن طريق أهل الإيمان والرسل فالإيمان لا يعني فقط الإيمان بوجود الله فكفار قريش كانوا يؤمنون بوجود الله ولكن مع ذلك هم كفار . وليس هذا مجال ذكر الآيات القرآنية وأقوال علمائنا في العلمانية ولا شك أن الإيمان بالإسلام في مجال العبادة أو الحياة الاجتماعية والكفر به في قضايا السياسة والدولة أمر مرفوض قال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة :٨٥) . والإسلام يقول التوحيد أهم قضية والعلمانية تقول ليس مهماً أن نعرف خالقنا وما هي صفاته؟ وما الذي يريده منا؟ وهذه

قضايا هامشية والإسلام يدعو لاتباع الأنبياء والعلمانية تدعو لاتباع الفلاسفة . . . . .الخ . ونجحت العلمانية الغربية في نسبة ثمار القطاع الخاص والديمقراطية والعلم المادي لها مع أن هذه ليست أجزاء منها كما أنها تبرأت من الضياع العقائدي والانحرافات الاجتماعية والتي هي جزء لا يتجزأ منها لأن الفلسفة تؤدي إلى ذلك ونجحت بإعلامها العالمي في اتهام رجال الكنيسة بأنهم ضد العلم المادي والصحيح أنهم ضد أجزاء منه ظنوا أنها تتعارض مع المسيحية .

٣ - تصرف أمريكا حوالي مئتي بليون دولار سنويا على البحث العلمي وهذا يجعلها متقدمة في مجال العلم المادي والإداري والسياسي والاقتصادي والصناعي وعندها آلاف الجامعات والمعاهد البحثية وهي متقدمة على كثير من الدول المتقدمة فما بالك بالدول النامية وتقدمها في هذه المجالات لا يتعارض مع تخلفها في العلم الفكري . وعموماً فاستثمارات أمريكا الكبيرة في التعليم والبحث العلمي تجعلها متفوقة على غيرها من الدول وأقدر على التخطيط في المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية . ولا فضل للعلمانية في تحقيق هذا التقدم وإذا كان لها دور فهو دور محدود تلخص في عدم منع أي نوع من التجارب والنظريات العلمية المادية أما الدور الأكبر للتقدم التكنولوجي فكان لإدراك الشركات والأغنياء أن الاستثمار في العلم يحقق الأرباح الكثيرة هذا بالإضافة إلى اقتناع الدول أن الأبحاث العسكرية هي وسيلة فعالة لكسب الحروب وتحقيق المصالح . وبالتأكيد أن أمريكا صرفت الكثير على العلمانية واطروحاتها فلم تصل معها إلا للضياع والتناقض والعجز في الوصول للحقائق الفكرية .

٤ - قال الأخ كامل : «ألم يتهم دارون وفرويد وغيرهما الكثير من العلماء والمفكرين الذين

غيروا بعلمهم وجه العالم بالإلحاد والكفر؟ بل ألم يوقفوا ابن رشد والمعري في دائرة الشر والزندقة؟» . وأقول لا أعتقد أن فرويد أو دارون غيروا العالم للأمام وما أكثر الفلاسفة والمفكرين الذين غيروا العالم لمزيد من الضياع والزندقة والإلحاد والفساد الأخلاقي والجدل . ويوجد بعض المخترعين ملحدون ويوجد فلاسفة زنادقة أي يمكن أن يأتي خير من ملحد . ولكن لا توجد حصانة إيمانية للمفكرين وحتى علماء الإسلام إذا ارتدوا فتهمة الإلحاد والكفر تكون صحيحة إذا جاءت في مكانها ويستحقها صاحبها أليس جزءاً من الحق أن نسمي الأشياء الحسنة والقبيحة بأسمائها الحقيقية وهل نسمي من يتهم الله سبحانه وتعالى بالظلم إنساناً مسلماً . وليقتنع الأخ كامل أن الله سبحانه وتعالى لم يمنعنا من العلم المفيد والتفكير السليم كما أن قضية التكفير قضية يتم التعامل معها ضمن ضوابط شديدة .

٥- قلت في مقالي والذي نشر بعنوان الديمقراطية أو العلمانية إن عدد العلمانيين الحقيقيين في الأمة العربية لا يزيد عن ١٪ وطبعاً لم أقم بعمل دراسة علمية لأنه ليس عندي إمكانيات أمريكا المالية ولكن اقتناعي بذلك ناتج لمعرفتي بالواقع الكويتي وبالأغلبية الصامتة وبالأقلية المتكلمة فالبعض يقصد بالعلمانية الديمقراطية أو حرية الرأي أو الأسلوب العلمي وهؤلاء ليسوا علمانيين حقيقيين ومن المعروف أن المسلم لن يقبل العلمانية إذا عرف حقيقتها وأنها كفر وهذا يجعل العلمانيين الحقيقيين اقل من ١٪ وفي الختام أتمنى يا أخي العزيز أن أكون وفقت في بيان وجهة نظري وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه .

الرئيس كلينتون والعلمانية

في المنتدى الإستراتيجي العربي في دبي حول مستقبل العالم العربي ٢٠٢٠- الحريات والأفاق - والذي افتتح في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٤ دعا الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون «إلى الابتعاد عن فرض دولة دينية وتساءل ماذا يعني وجود دولة إسلامية أو يهودية أو مسيحية؟ الدولة الدينية تعني أن هناك تفسيرا واحدا للعقيدة يفرض على البقية وتكفير من لا ينظر إلى الأمور بالطريقة نفسها» وتعليقي على ما قاله الرئيس كلينتون هو :-

١ - لا ندعو لفرض دولة إسلامية على الشعب بل نطالب بإعطاء الشعوب حريتها كما قال الله تعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٢٩) سورة الكهف فإذا أرادت الأغلبية في الشعب دولة إسلامية فلتكن وإذا أرادت دولة مسيحية فلتكن وإذا أرادت دولة علمانية رأسمالية فلتكن وهكذا فلا نريد أن يفرض أحد على الشعوب نظاما ما لأن تقرير المصير الفكري والسياسي جزء لا يتجزأ من الحرية الصحيحة والعدل ولنتفق على أن الشعوب لها عقول ولا تحتاج وصاية من أحد حتى تحدد هويتها وسواء كان اختيارها صحيحا أو خاطئا فهو قرارها وعليها أن تتحمل نتائجه الدنيوية والأخروية .

٢ - لا يسعى الإسلام لفرض عقائده على الآخرين فليعتقد الناس ما شاءوا في الدولة الإسلامية من عقائد فالمسيحي له عقائده وكذلك لليهودي والبوذي والهندوسي وغيرهم ولكن ما يفرض هو نظام الدولة وقوانينها وهو نظام وقوانين اختارتها الأغلبية وهذا ما يحدث في الدول العلمانية فالأغلبية تفرض رأيها على الأقلية أما العقائد فلا تفرض ومبدأ فرض النظام والقوانين هو أمر تفعله الدولة العلمانية أيضا حيث ليس كل من فيها يؤمن بالنظام والقوانين العلمانية .

٣- لا شك أنه توجد عقائد ومبادئ صحيحة وكذلك توجد عقائد ومبادئ خاطئة وإذا افترضنا أن الإسلام هو المبادئ الصحيحة فهذا ليس تعصبا أو تفسيرا لكلام يحتمل أكثر من معنى بل هو دفاع عن حقائق واضحة لا يجوز تمييعها ورفضها فعندما نقول أن الله سبحانه وتعالى واحد فهذه حقيقة ومن يعتقد أن الله ثلاثة فهذا باطل وخطأ وعندما نقول عقوبة القاتل القتل وليس السجن فهذا عدل وحقيقة فكرية أمرنا الله سبحانه وتعالى بها والحقائق الفكرية كثيرة وليس هذا مجال ذكرها فالواجب أن ندافع عن الحقائق الفكرية لا أن نتخلى عنها حتى لا نتهم بالتعصب فالمسألة ليست آراء شخصية أو جماعية بل حقا أو باطلا والعلمانية تعتبر كل العقائد والمبادئ آراء أي لا توجد حقائق في مجال العقائد فلا يحق لأحد أن يقول أن عقائدي ومبادئي هي الصحيحة حتى لو كان لديه أدلة عقلية صحيحة ولو فكرنا في ذلك لو جدناها طريقة جديدة للابتعاد عن العقل وللدفاع عن الجهل ولاقتنعنا أن على العلمانيين أن يقولوا أيضا أن مبادئهم غير صحيحة لأنه لا توجد حقائق فكرية ومن الضياع أن يكون العدل آراء وتفاسير متناقضة وكذلك الحرية والإرهاب والتطرف والانحراف الاجتماعي . . . . . .الخ ومع هذا تعلن الحروب وتطبق العقوبات بناء على آراء لا حقائق .

٤ - على مدى تاريخ الأنبياء والبشر كان هناك مؤمنون بالله سبحانه وتعالى وكافرون به والتكفير الصحيح ليس تهمة يوجهها من يشاء كيف يشاء فإذا وضعت في مكانها الصحيح أي كما استخدمها الأنبياء فهي حق أما غير ذلك فهي باطل والتكفير ليس مرتبطا بوجود دولة دينية بل مرتبط بوجود عقائد دينية فالمسيحيين يرون المسلمين كفار حتى لو لم تكن هناك دولة مسيحية والمهم من هم المؤمنين في هذا العصر؟ ومن هم

الكافرون؟ إن العلمانية تريد تمييع هذه القضية وتعتبرها قضية هامشية بل غير مهمة والعلمانيـون يريدون أن ينسى المؤمنون كلمة التكفير لأن المعنى الحقيقي للكافر هو التمرد على أحكام الله سبحانه وتعالى والعلمانيون متمردون على أحكام الله حتى لو قالوا نحن نحترم الأديان السماوية لأن الحقيقة أنهم يرفضونها ففصل الدين عن الدولة هو رفض للدين .

٥- العلمانية مبدأ قائم على رفض التزام الدولة بالدين الصحيح وليس الدين الخاطئ فقط أي رفض الدين الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به سواء كان هذا الدين هو الإسلام أو المسيحية أو اليهودية ورفض الدين الخاطئ مطلوب ليس فقط على مستوى الدولة بل أيضا على مستوى الأسرة والفرد ولا شك أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بالخير والعدل وما يفيد البشر فالدين الصحيح فيه خير للبشر ولكن العلمانية شوهت جميع الأديان الصحيحة والخاطئة وتتهم الدين الصحيح فيها بأنه ضد العلم والعقل والحرية والعدل والتسامح وأنه منبع التعصب والجمود والتخلف وفي نفس الوقت تحمي وتدافع عن الكفر والفساد الأخلاقي وتعتبرها جزءا من الحرية الشخصية وتتبنى نظاما كافرا على مستوى الدولة وقد أثبتت الإحصائيات زيادة الزنادقة في بريطانيا العلمانية بصورة كبيرة خلال الثلاثين سنة الماضية ومن الطبيعي أن يؤدي الكفر بالدين ورفضه إلى إنكار الخالق .

٦- من المهم أن نعلم أن دين الأنبياء واحد من آدم مرورا بإبراهيم وموسى وعيسى وانتهاء بمحمد صلوات الله عليهم وسلامه ولكن حصل تحريف في اليهودية والمسيحية كالقول في المسيحية بأن المسيح ابن الله أما الإسلام فهو دين لم يحدث فيه تحريف وهذا لا يتعارض مع وجود انحرافات عقائدية عند بعض المسلمين ولكن الدين الصحيح لا

زال موجود وهو السائد ولا يوجد ما يثبت أن الدين الإسلامي والأديان السماوية بشكل عام هي مبادئ شخصية لا علاقة لها بالدولة والقوانين ولو كان الدين مبادئ شخصية لما حدث صراع بين الأنبياء والمؤمنين وبين الكافرين والدين ليس مقتصرا على العبادة والأخلاق وأحكام الزواج والموت كما أن الدين ليس مسئولا عن من أساء فهمه فأنتج تعصبا أو جمودا عقليا أو معارضته لبعض حقائق العلم المادي أو تطرفا أو عنفا فليس كل ما ومن ينسب للدين هو من الدين .

٧- عندما نرفض وجود دولة إسلامية أو مسيحية أو يهودية ونقبل وجود دولة علمانية رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية أو عنصرية أو غير ذلك فإننا نرفض الدولة ذات الأسس السماوية (الإيمانية) ونقبل بالدولة التي تنبع من أفكار الفلاسفة والسياسيين والمصالح والشهوات والعصبيات العرقية وغير ذلك فالاحتكام هنا للفلسفات المتناقضة والقوة والشهوات وغير ذلك وبالتأكيد أن هذه الأسس مخالفة للدين الصحيح ومن الخطأ الاعتقاد أن العلمانية هي حل وسط أو هي موقف حيادي فلا يوجد حياد بين الحق والباطل وبين المؤمنين والكافرين فالعلمانية لا تريد قتل الدين ولكنها تريد إبقاءه في السجن وإذا كان عذر العلمانية أن الناس يختلفون في أديانهم السماوية فالحل هو أن نبحث عن الدين الصحيح ونلتزم به فإذا كان الدين الصحيح هو المسيحية فلنلتزم بها وإذا كان الإسلام فلنلتزم به لا أن نقول أن عقولنا عجزت عن معرفة الدين الصحيح فالله سبحانه وتعالى يهدي من يريد معرفة الحق للحق .

٨- ليس كل ما تدعوا إليه العلمانية الرأسمالية خطأ بل هناك أشياء صحيحة كالديمقراطية ضمن ضوابط وأجزاء كبيرة من مفاهيم الحرية ولكن المشكلة في الأجزاء الخاطئة من العلمانية والتي ظهرت ثمارها المرة في البعد عن الله سبحانه وتعالى والتفكك الأسري

وارتفاع نسبة الطلاق والعنوسة والأمراض النفسية وغير ذلك وأصبح كثير من العلمانيين عبيدا للمال أو المناصب أو الشهوات ويضمن الإسلام السعادة الدنيوية والأخروية ويسمي التعصب العرقي جاهلية منتنه ويجعل المال في يدك لا في قلبك وما أحوج البشرية اليوم لأن تقف وتقرأ وتفكر وتتحاور بصورة عميقة وشاملة خاصة أن الأغلبية الساحقة من الدول والشعوب والأفراد انشغلوا في صراع سياسي واقتصادي وأحيانا عسكري وأصبح الاحتكام للقوة فقط في حين أن المخلصين للبشر يريدون أن يحتكم البشر للعقل و للحق والعدل وبهذا تتحقق السعادة للأفراد والشعوب في الدنيا والآخرة والبحث عن العقائد والمبادئ الصحيحة هو أهم قضية يجب أن يهتم بها المخلصون من البشر قال تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (82) سورة الأنعام .

الخرافات العلمانية

هناك خرافات وأساطير تنسب للأديان ولكن لا شك أبداً بأن الدين الصحيح الذي جاء به الأنبياء لا مكان فيه للخرافات فكل ما في القرآن والسنة حقائق علمية فكرية ولكن هناك اقتناعات لبعض الفرق الإسلامية ليست صحيحة سواء تتعلق بالكرامات أو بأن الأموات ينفعون ويضرون أو بقدرة أفراد على معرفة الغيب أو غير ذلك وهذه الاقتناعات ليست من الإسلام وهناك بعض الاستثناءات لا داعي لذكرها وقد حارب الإسلام السحر والشعوذة والتنبؤ بالغيب وعبادة الأصنام والكواكب والأفراد وحارب الشرائع الخاطئة وكل ما يتعارض مع الحقائق المادية كرفض تعاطي الأدوية أو غير ذلك بل رفض الإسلام حتى زيادة جرعة العبادة كالصيام الدائم والرهبانية وغير ذلك وسلطت كثير من الأضواء على الخرافات التي تنسب للأديان ولكن يجهل الكثيرون الخرافات الكبرى التي أنتجتها عقول العلمانيين والفلاسفة وإذا كان أهل الخرافات التي تنسب للأديان يعتبرون «الخرافة حق» فإن العلمانيين يعتبرون «الحق خرافة» لأنهم يقولون لا يوجد حق وأن المعرفة اليقينية مستحيلة وأنه لا يوصل لها الدين ولا العلمانية وإذا كانت الخرافة الدينية عند أهلها هي جزء من منهج قد يكون فيه جوانب كثيرة صحيحة كما نجد عند مسلمين منحرفين أو مسيحيين منحرفين فإن المنهج الفلسفي العلماني أوصل لعقائد وأحكام الجوانب الخاطئة فيها أكثر بكثير من الجوانب الصحيحة ولنأخذ بعض من خرافات الفلاسفة قبل أن نسلط الأضواء على خرافات أبنائهم العلمانيين فيرى هيجل ١٧٧٠- ١٨٣١ «إن الله جاء نتيجة استجابة لحاجة الناس إلى السيطرة على القوي الطبيعية في عصر لم يعرف التكنولوجيا» وعنده «الدين منحدر من الفن لا من الخالق» ويعتقد شلنج «بوجود صراع داخل الذات

الإلهية» ويعتقد فويرباخ «إن الإنسان هو الإله الحقيقي الوحيد» أما نيتشه فهو يرى أن الإنسان الحر يجب أن يقتنع بأن «الرب قد مات» وهناك من يرى من الفلاسفة أن الدين أداة لتحقيق المصالح الخاصة للحكام والقساوسة . وهناك من الفلاسفة من هم أعقل من هؤلاء ويؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى ويصف أحدهم الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل «بأنه فيلسوف بدون فلسفة» أي عالم بدون علم أي أن مؤهلاته هي نقد الآخرين دون أن يصل هو إلى اقتناعات محددة يرى أنها الحق أما الفيلسوفة الفرنسية المشهورة سيمون دي بفوار فهي ترى ضرورة تحطيم الأسرة لأنها تؤدي إلى استبعاد المرأة والكارثة أن هذه العقائد المتمادية في جهلها وانحرافها تنتسب إلى العقل وأن هناك من يعتبر هؤلاء الفلاسفة الضائعين أهل علم وعقل وأقول من لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى أو لا يعرف صفاته وأسماءه أو ينسب إليه الظلم والجهل هو من أكبر الجهلاء على الكرة الأرضية ومن يعرف الله سبحانه وتعالى ولماذا خلقنا؟ ويطيعه فهو ذو علم وعقل وحكمة حتى لو كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ومن الأخطاء القاتلة الظن أن الجهل لا يأتي من المثقفين والفلاسفة والمفكرين وعلينا أن نفرق بين أهل الثقافة وأهل العلم فالمثقف الذي لا يعرف خالقه هو مثقف جاهل حتى لو حصل على أعلي الشهادات في الهندسة أو الطب أو السياسة أو غير ذلك وجهل الزنادقة من الفلاسفة واضح في عدم رؤية عقولهم للأدلة الكثيرة التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى أما من يؤمن من الفلاسفة بوجود الله ولكنه يضع إجابات من عنده حول صفات الله أو لماذا خلقنا؟ فهو جاهل لأن إجاباته لا تستند إلى أدلة علمية لأن الله سبحانه وتعالى غيب لا نراه فكيف عرف هؤلاء لماذا خلقنا؟ وما هي صفاته؟ فكلامهم هو الجهل بعينه وإذا كانت خرافات الفلاسفة يعرفها الناس فإن خرافات العلمانية «مقنعة» وخطورتها أنها تقع في دائرة العقل لا في دائرة العبادة أو السلوك الاجتماعي وإليكم بعضاً

من خرافات العلمانية .

١ - **خرافه لا يوجد علم فكري** : العقول العلمانية مقتنعة بأنه لا يوجد في مجال العقائد والشرائع والأخلاق حقائق فكرية ما يوجد هو آراء وأن العقل البشري عاجز عن تحديد المعنى الصحيح للحرية أو العدل أو الحقوق والواجبات الزوجية أو العقوبات العادلة . ولهذا يحدد مبادئ العالم الحر (الغرب) التصويت والحلول الوسط وتوازن المصالح وعندما يقتنعون بأنه لا يوجد علم فمعنى هذا لا يوجد جهل ولم يحلم الجهل في تاريخه الطويل أن يتساوي مع العلم إلاّ في ظل المبادئ العلمانية .

٢ - **خرافة القضاء على التعصب الديني** : قالت العلمانية أيها الناس أنكم إذا آمنتم بالعلمانية ستقضون على التعصب الديني ولا زال التعصب الديني موجوداً في القرن العشرين في كثير من الدول العلمانية فالتقسيم الديني والطائفي في لبنان كدولة علمانية واضح جداً ولم تستطع العلمانية أن توجد لها جذوراً قوية بل لم يصبح العلمانيون أحد القوى الشعبية في لبنان وهذا يثبت هشاشة الفكر العلماني وعجزه ليس فقط في إضعاف التعصب الديني بل أيضاً في محاربة الانحرافات كالظلم والعنصرية والطبقية والفساد الأخلاقي والأنانية . . . الخ

٣ - **خرافة التعصب اللاديني** : ابتعاد أوروبا عن المسيحية أدي إلى تبني مبادئ علمانية كالرأسمالية والنازية والشيوعية وأوجد تعصباً شديداً لهذه المبادئ أنتج الحروب العالمية وغير العالمية . فالابتعاد عن الأديان لم يقض على التعصب كما تقول الخرافة العلمانية بل التعصب اللاديني أشد لأنه ليس فيه علماء دين مشهود لهم بالحكمة والأمانة والخبرة كما شاهدنا في هتلر وستالين وغيرهم .

٤ - **خرافة الديمقراطية هي الحل** : تجعل العلمانية الغربية الديمقراطية هي الحل السحري

للاختلافات فالتصويت يتم تطبيقه حتى في المحاكم وسيقف التصويت عاجزاً عن حل الخلافات الزوجية لأن لكل من الزوج والزوجة صوت واحد وسيبقي عاجزاً أمام كثير من القضايا العقائدية والسياسية والاجتماعية ولا يجوز أن نحتكم للتصويت في كثير من الأمور لأن هذا يؤدي إلى اختلافات كبيرة بين شعب وآخر في تحديد الحرية والحقوق والواجبات العادلة وغير ذلك فالإنسان هو الإنسان .

٥ - **خرافة «الاختلاف لا يفسد للود قضية»** : تطالب العلمانية البشر أن يتحدوا ويتفقوا حتى لو كانوا مختلفين عقائدياً وسياسياً واجتماعياً وأخلاقياً . . . ويقول العلم والواقع كلما زاد الاتفاق الفكري زاد الود . فالاختلافات الاجتهادية إذا كانت بلا ضوابط تؤدي إلى التنافر وأحياناً الصراع فما بالك بالاختلافات الأساسية . فلماذا لم يود الشيوعي العلماني الرأسمالي العلماني ولماذا كانت أمريكا العلمانية توجه أسلحتها النووية لروسيا العلمانية في القرن العشرين وإذا كانت هذه أفعال عقلائهم فكيف بمتطرفيهم .

٦ - **الخرافة الكبرى** : ما تم ذكره من خرافات سابقة والتي أثبت العقل والواقع فشلها تعتبرها العلمانية أفضل ما يمكن أن يصل العقل البشري له وأقول وصل العقل البشري إلى أن الإسلام هو حقائق فكرية وليس آراء ووصل بالإسلام إلى القضاء على التعصب الديني وهدم المنطلقات الفكرية للانحرافات بكافة أنواعها سواء كان مصدرها ديني أو علماني ويضع الإسلام الديمقراطية والحلول الوسط والاجتهادات في أماكنهم الصحيحة وقضى على الاختلافات الجذرية وقام بترشيد الاختلافات وألف الله سبحانه وتعالى بالإيمان بين قلوب المؤمنين وأمرنا بالرحمة واللين مع بقية البشر .

وتبقي نقطة هامة في هذا الموضوع وهي أن الإيمان بالغيب ليس هو الإيمان بالخرافة فالإيمان بالله سبحانه وتعالى والملائكة والجنة والنار . . . الخ هو إيمان بالغيب وهذا الإيمان

جاء بعد أن أثبت العقل وجود الله سبحانه وتعالى وصدق محمد ﷺ ولو أخذنا الرزق كقضية غيبية بمعني الإيمان بأن الرزق بيد الله فإن الاقتناع بذلك لا يعني أن يترك المسلم العمل لأن السعي وكسب الرزق واجب وهذا ما فهمه الصحابة فعملوا بالتجارة والزراعة والوظائف الحكومية وأخلصوا في أعمالهم والإيمان بأن الرزق بيد الله يعطي النفس البشرية اطمئنانا يعرفه من يرى كيف يتصرف من لا يؤمنون بذلك حيث تجد النفاق والغش والكذب والصراع على المصالح والمناصب وتجد البخل والشح والأنانية والحسد ويجب أن نعلم أن العقل العلماني هو عقل مادي لا يحق له أن ينفي الغيب أو يؤكده حتى في العالم المادي كوجود ماء في كواكب بعيدة فما بالك بالغيب الديني وهو يظن أن العوامل المادية هي التي تؤثر في الأحداث السياسية والرزق والموت والعز والذل . . . الخ في حين أننا نعلم أن هناك تأثيراً للعوامل الفكرية فالله سبحانه وتعالى ينصر أولياءه ويعز من يشاء ويذل من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويؤتي الملك من يشاء . . . الخ وعندما نؤمن بذلك فنحن لا نؤمن بخرافات وباختصار الأخذ بالأسباب الإيمانية (الفكرية) والمادية معاً وبأقصى ما نستطيع من جهد هو ما فعله الرسول ﷺ والصحابة حتى قيل من يرى الرسول ﷺ كيف يأخذ بالأسباب المادية يظن أنه لا يؤمن بوجود أسباب إيمانية ومن يراه كيف يأخذ بالأسباب الإيمانية يظن انه لا يؤمن بوجود أسباب مادية وحقيقة الأمر أنه يأخذ بهما معاً وبقدر ما يستطيع وشواهد هذا كثير في مجال الدعوة والسياسة والحرب والحياة الزوجية وغير ذلك .

خرافة لا أحد يملك الحقيقة

من أهم «الاختراعات» التي وصل لها العقل العلماني هو أنه ليس من حق أحد أن يدعي أن عقائده ومبادئه هي الصحيحة ويعتبرون الاقتناع بذلك نوعاً من الحضارة والعلمية والموضوعية والعقلانية ويطالب العلمانيون بأن تقول هذا رأيي وليس هذا هو الحق وسبب هذا الاختراع هو أن العقل العلماني عجز عن بيان الحق من الباطل في العقائد الدينية والعلمانية وهذه كارثة علمية لأن معنى هذا أن العقل البشري غير قادر في القضايا الفكرية الكبرى على تحديد هل يوجد خالق لهذا الكون أو لا وما هي صفات الخالق ولماذا خلقنا؟ وما هي المعاني الصحيحة للإيمان والعدل والحرية؟ وما هي الخطوط الرئيسة الصحيحة لبناء الأسرة والتربية والاقتصاد والسياسة؟ أي العقل عاجز عن تحديد المبادئ الصحيحة والحل السحري العلماني هو لنبني حياتنا على الآراء لا الحقائق وعلى الظن والشك لا العلم واليقين وكلنا ضائعون وغير واثقين من صحة مبادئنا سواء كنا علمانيين أو متدينين ولنحل اختلافاتنا الفكرية بالتصويت لا بالعقل وهذا يعني لنقبل المعاني المتناقضة للإيمان بالله وكذلك للحرية والعدل . . . . . الخ بل لنحترم المعاني المتناقضة وقد قابلت رجلاً مسلماً ومثقفاً يقول بما معناه في مجال المعتقدات (العقائد) لا يمكن إثبات صواب أو خطأ معتقد وأي إدعاء بأن مبادئنا صحيحة هو قول فيه تعصب أو غرور وقلت له إن الله سبحانه وتعالى أو جد المعجزات حتى تكون أدلة عقلية تثبت أن هؤلاء البشر أنبياء وما يقولونه بالتالي هو الحق والصواب وقضايا العقائد والمعتقدات هي أهم القضايا التي تكلم فيها الأنبياء حتى يوضحوا الحق من الباطل فيها فيعرف الناس الإيمان والتوحيد من الكفر والشرك وهذا

أشرف العلوم وأهمها والمهمة الأولى للعقل البشري هو تحديد الصواب من الخطأ في مجال العقائد والمبادئ وهذه المهمة أهم بكثير من استخدامه في تحليل أوضاع سياسية أو اكتشاف حقائق مادية أو تطوير منتجات صناعية أو إيجاد علاج أفضل لأمراض جسدية أو اشغال العقل بطرق جمع المال والوصول للمناصب والأدلة التي تثبت صواب أو خطأ العقائد لا تقتصر على المعجزات كمعجزة القرآن الكريم أو إحياء الموتى أو عصا موسى عليه السلام بل هناك أدلة عقلية تثبت عظمة شريعة الإسلام وتثبت فشل العلمانية في الوصول للحق من الباطل في مجال العقائد والحرية والعدل والتأمل في حقائق هذا الكون المادية يثبت وجود خالق عظيم عليم حكيم رحيم و واجب العقل البشري أن يدرس العقائد والمبادئ وما هي الأدلة التي تستند لها وما نصيب هذه الأدلة من الصواب أو الخطأ فهذا كما قلت أهم واجبات العقل لأن العقائد الصحيحة هي أساس سعادة الإنسان لأن فيها الإيمان الصحيح والعدل الصحيح والحرية الصحيحة أما العقائد الخاطئة فهي مبادئ يختلط فيها أجزاء من الحق بأجزاء من الباطل مما يؤدي إلى شقاء الإنسان وتعاسته وعجز العقل العلماني عن تحديد الحق من الباطل وقال كل فرد يؤمن بما يقتنع به وقال علمانيون آخرون العقائد قضايا ثانوية بل هامشية لا تستحق أن نبذل جهودا فيها وقال بعضهم لا دور للعقل والعلم فيها فهي قضايا فلسفية أو ما وراء الطبيعة أي غيبيات تتعلق بالآخرة لا الدنيا وكل هذا هروب وجهل وعجز والمشكلة أن العقل العلماني يريد أن يفرض على العقول البشرية عجزه وضياعه وجهله ويطالب البشر بالإيمان بأنه لا يوجد ما يثبت أن هناك خالقاً ولا يوجد ما يثبت بأن هناك أنبياء ولا أحد يستطيع أن يثبت صواب أو خطأ الإسلام أو المسيحية أو الهندوسية أو الكونفوشية أو العلمانية الرأسمالية أو العلمانية الشيوعية أو العلمانية النازية أو غير ذلك

والطريف أن العلمانيين الرأسماليين يتمسكون بصواب عقائدهم العلمانية ويدافعون عنها ويسعون لتطبيقها على مستوى الأفراد والدولة فيقولون إن عقيدة فصل الدين عن الدولة عقيدة صحيحة وإن الاحتكام للتصويت الشعبي في كل القضايا عقيدة صحيحة هم مقتنعون بمبادئهم بأنها أفضل الموجود والممكن ولكن لم تصل إلى مرحلة الحق والصواب أي هم يدافعون عنها مع اعترافهم أنها آراء ظنية وليست حقائق يقينية والنتيجة النهائية التي يريدها العلمانيون هو أن يترك الناس القضايا الفكرية الكبرى بدون حسم وأن يتركوا ساحة السياسة والدولة للعلمانيين وأن ينشغل البشر بالمصالح الاقتصادية والسياسية والشهوات والأغاني والأفلام . . . . . . الخ هم باختصار أشد أعداء العقل لأنهم يريدون أن يبعدوه عن أهم واجباته وهو الوصول للعلم الفكري أي الحق والصواب في القضايا الفكرية الكبرى فالعلمانيون هم أكبر حلفاء الجهل لأنهم يقولون إن العقل عاجز عن بيان الحق من الباطل في القضايا الفكرية الكبرى فإذا قال العلمانيون لا توجد حقائق فكرية أي علم فإن هذا معناه لا فائدة من العقل في القضايا الفكرية لأنه لن يصل إلى علم فهم إذن أعداء العقل والعلم والمهزلة الكبيرة أنهم يقولون بأن العلمانية قائمة على العقل والعلم وحدث هذا لهم لأنهم رفضوا الأدلة العقلية الصحيحة التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى وصدق الأنبياء فمهما قدمت لهم من أدلة عقلية سيرفضونها حتى لو أحيا عيسى عليه السلام الموتى أمامهم أو حتى لو شهد كل علماء اللغة العربية بإعجاز القرآن واسألوهم ما الدليل الذي سيقنعكم حتى تكتشفوا عنادهم وغرورهم وبالتأكيد لن يقنعهم أي دليل فلو رأوا الملائكة تنزل من السماء لقالوا هذا سحر قال تعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن

يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (١٤٦) سورة الأعراف فالعلمانية تكفر بكل العقائد الفلسفية وليست فقط الدينية وفي نفس الوقت تتوقع أن يصل كل فرد علماني إلى ما يراه صواباً فكأن العقل العلماني الفردي قادر على الوصول للحق والعقل العلماني الجماعي عاجز أي هو أضعف وفي نفس الوقت لا تعارض ولا تؤيد العلمانية ما يصل له الأفراد العلمانيون ومن العلمانيين من قال القضايا الفكرية الكبرى لا علاقة لها بالحياة العملية فهي قضايا فلسفية أو نظرية أو أخروية وأقول القضايا العقائدية تتعلق بوجود الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه ولماذا خلقنا؟ وغير ذلك فما الأرض وما فيها من اقتصاد وسياسة وبشر ودول عظمى وصغرى إلا جزء صغير جدا من مخلوقات الله فالعقل السليم يعطي الأهم والأكبر الأولوية وبالتالي فالقضايا العقائدية هي الأولوية رقم واحد للعقل البشري وليست قضايا ثانوية كما أن الظن بأن القضايا العقائدية لا علاقة لها بالواقع ليس بصحيح فكل إنسان على وجه الأرض يتصرف منطلقا من عقائده سواء كانت دينية أو علمانية أو خليط منهما فالعقائد هي المنبع للأعمال والأقوال والسلوكيات والأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالمسلم يتعامل مع الحياة اليومية والسياسية منطلقا من عقيدته الإسلامية وكذلك يفعل المسيحي واليهودي والعلماني الشيوعي والعلماني الرأسمالي والزنديق . . . . . . الخ فحتى من لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى سيتصرف بناء على هذه العقيدة في تعامله مع الحياة فالعقائد إذن ليست قضايا نظرية أو فلسفية أو أخروية وبالتالي فالاقتناع العلماني بأنه يمكن تجاهلها أو تحييدها أو إبعادها عن الواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي اقتناع خاطئ تماما وهذا يعني أن محاولة التعامل مع الواقع بدون

تتبع جذور هذا الواقع العقائدية هو أشبه ما يكون بالتعامل مع الأمراض بدون معرفة بالطب بحجة أن الطب «كلام» والأمراض «واقع» وما ينطبق على الطب ينطبق على كل العلوم المادية فهي «كلام» بل حتى العدل والحرية هي (كلام واقتناعات) قبل أن تتحول إلى عمل وسلوك وأتمنى أن نتعمق جميعا في المنطلقات الفكرية التي تستند لها العلمانية وسنكتشف أنها قائمة على الخطأ والسطحية وأن العقل والعلم بريئان منها براءة الذئب من دم يوسف .

المبادئ العلمانية نصف صفحة

المبادئ هي العقائد والأحكام والأخلاق التي يؤمن بها العلمانيون ومبادئ العلمانية الرأسمالية لا تزيد عن نصف صفحة وإليكم الأدلة :-

١- اقتناع العلمانيين بأن ساحة العلمانية الفكرية تتسع لكثير جدا من الاختلافات يثبت أن ما يتفق عليه العلمانيون محدود جدا فلا توجد لهم في الساحة العقائدية ولا الاجتماعية مبادئ اللهم فصل الدين عن الدولة والديمقراطية والمساواة بين الرجل والمرأة والمساواة بين البشر بغض النظر عن عقائدهم ومبادئ أخرى قليلة وما عدا ذلك من عبارات مثل حريتك تنتهي عند حرية الجميع والدين لله والوطن للجميع فهي ليست مبادئ بل مفاهيم غامضة حتى لو كانت بعض معانيها مقبولة فاستعداد العلمانيين لمناقشة أي قضية فكرية لأنه ليس لهم رأي محدد فيها بما في ذلك وجود الله سبحانه وتعالى يعني أنه لا يوجد ما يعارض مبادئهم في أحيان كثيرة ويثبت أنهم لا زالوا في مرحلة البحث عن الحق والصواب حتى في المبادئ الأساسية ويثبت أن العقل العلماني لا زال ضائعا وحائرا في كثير من الأمور والطريف أن المبادئ القليلة التي وصل إليها العقل العلماني و التي لا تزيد عن نصف صفحة ليست كلها صحيحة وسأتطرق إلى إثبات جزء من هذا الرأي لا حقا .

٢ - قد يقول قائل إن في أمريكا دستور وقوانين كثيرة تتحكم بحياتهم وأقول المبادئ هي أشياء ثابتة والدستور ليس كله مبادئ بل هو عقد اجتماعي واتفاق شعبي ويمكن تغيير كثير من مواده بل كلها كما يشاء الشعب والمبادئ هي أشياء لا يتم تغيرها لأنها حقائق علمية وصلت لها العقول فهي ليست أراء شعب أو فرد وعلى سبيل المثال عندنا في

الإسلام طريقة لتوزيع الميراث وهذا يعني أننا نعتبر هذا التوزيع من مبادئنا أما في العلمانية الرأسمالية فلا توجد طريقة ثابتة ويتم تغيير قوانين توزيع الميراث ويختلفون من دولة إلى أخرى وعندنا القرآن كله وبه مئات الصفحات هو مبادئ نحتكم لها وكذلك أحاديث الرسول ﷺ فإذا كانت المبادئ العلمانية المتفق عليها بأصولها وفروعها هي نصف صفحة أليس كارثة ألا يصل العقل العلماني بعد البحث الطويل إلا إلى نصف صفحة من «الحقائق العلمانية» وما عدا ذلك يتم تجاهله باسم قضايا ما وراء الطبيعة أو حرية شخصية أو سنحتكم فيه للشعب .

٣ - إذا أخذنا المبادئ العلمانية الرأسمالية الأساسية وهي (الديمقراطية والرأسمالية وفصل الدين عن الدولة) سنجد أننا كمسلمين نؤمن بالشورى وبدور الشعب في اختيار حكامه وقراراته قال تعالى : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ وليس هذا مجال إثبات أن الشورى واجبة بل ملزمة أما الرأسمالية بمعنى أهمية القطاع الخاص والتنافس وغير ذلك فهي مبادئ مقبولة عند الغالبية الساحقة من البشر وهي مطبقة في حياتهم والفكر الشيوعي هو فكر شاذ واستثنائي وهذا يعني أن مبادئ العلمانية في مجال الديمقراطية والرأسمالية ليست اختراعاً علمانياً ولا خلاف أساسي بين الإسلام والعلمانية فيها أما مبدأها فصل الدين عن الدولة فهو العمود الفقري للعلمانية .

٤ - قد يقول قائل أن العلمانية تجعل الإنسان حرا في اختيار مبادئه وأنا أقول هذا يثبت أن مبادئ العلمانية محدودة جدا كما أن المبادئ ليست شخصية فالمبادئ تتعلق بالأصول والفروع الأساسية التي تبين الموقف الصحيح من الكون والدولة والشعب والأسرة والفرد والإيمان والعدل والحرية . . . . الخ فالآراء والاجتهادات الشخصية مجالها واسع ولكن لا يجوز أن تحتل ساحة المبادئ فواجبنا أن نتحرك تحت مظلة المبادئ لا

ننسفها بحجة الآراء الشخصية بكلمات أخرى ليس مقبولاً أن تكون المفاهيم الأساسية لعلاقتنا بالله سبحانه وتعالى خاضعة للاجتهادات بأن نعبد الله بأي شكل وأي طريقة ولا يجوز أن تكون عقوبة القاتل خاضعة لآراء شخصية فهذا مقتنع بضرورة قتله والثاني بحبسه خمسة وعشرين عاما والثالث بحبسه عشرين عاما وننبه هنا أن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الحرية التامة في أن يختار عقائده ومبادئه ولكنه بين له طريق الهداية وطريق الضلالة فالإنسان العاقل سيختار العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة أما الضال فسيختار العقائد الباطلة .

٥- قد يتصور البعض أن مبادئ العلمانية كثيرة فالمساواة بين الرجل والمرأة تدخل في كل المجالات وهي مساواة مطلقة وأقول إن الأمر ليس كذلك نظريا وعمليا وحتى في أمريكا فالجيش الأمريكي لم يكن يسمح بدخول المرأة للجيش حتى عقود قريبة كما أننا لم نجد رئيسة للولايات المتحدة خلال الثلاثمائة سنة بل لم تصل المرأة لمنصب نائب رئيس كما أن المناصب الرئيسة داخل الأحزاب تكون في الغالبية الساحقة من نصيب الرجال فهناك تصادم بين نتائج الانتخابات ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ولنتذكر أن الزوجة المسلمة أكثر مساواة وحقوقا ومكانة من الزوجة العلمانية بل إن للأم حقوقاً على أبنائها أكثر مما لأبيهم وأكثر مما هو متاح لها بكثير عند الغرب وهذا جزء من مبادئنا ولا أتكلم هنا عن حقوق مادية فقط بل يحرم على المسلم أن يقول كلمة أف لوالديه أما في العلمانية فالعلاقة بين الابن وأمه متروكة لإقتناعاته الشخصية والتي عند الكثيرين لا تزيد عن مشاركتهم احتفال عيد الأم وأي عاقل يعرف تضحيات الأم يعرف أننا بحاجة إلى مبادئ كثيرة تنظم هذه العلاقة لتنصف الأم خاصة عندما تكبر .

٦- عندما نقول إن مبادئ العلمانية هي نصف صفحة فإن هذا معناه أنها تركت صفحات كثيرة جدا من صفحات المبادئ للآراء الشخصية والتصويت والجدل الفلسفي وحوار الطرشان والعقول الضائعة والحلول الوسط المتأثرة بالمصالح والعصبيات العرقية والشهوات والانفعالات وموازين القوى والتجارب الشخصية فصفحة العلم والحكمة والبصيرة صفحة صغيرة عندهم ولهذا نرى الأمراض النفسية والجنسية تنتشر بينهم ولهذا نرى ضعفهم الشديد أمام مصائب الحياة ونرى غرورهم وطغيانهم أفرادا و دولا كما نرى التفاسير الخاطئة لمصطلحات مثل مصلحة الفرد والدولة ، والإرهاب والحرية الشخصية ، والفرح والسعادة ، والاعتدال والتسامح . . . . .الخ أليس كارثة علمية أن تعلن الولايات الأمريكية المتحدة وهي قائدة العالم العلماني الحرب على الإرهاب بدون أن تستطيع إعطاء تعريف واضح ومحدد له وسيصبح كثير من المسلمين في نظرها إرهابيين لأنها تتحرك بناء على الأهواء والعصبيات والمصالح والضياع والانفعال فهي دولة لا تحكتم للعلم ولا للعقل في أعمالها .

٧- يتفق العلمانيون فقط على ضرورة فصل الدين عن الدولة ويختلفون فيما عدا ذلك اختلافات جذرية وهذا يعني أنه ليس للعلماني مبادئ كثيرة محددة يلتزم بها وتعطيك الخطوط الرئيسة لشخصيته وآماله وأهدافه واقتناعاته في المجال العقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي فقد يكون العلماني زنديق وقد يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى وتجد هذا العلماني مقتنعاً بآراء أرسطو في حين أن العلماني الثاني مقتنع بآراء هيغل والثالث بآراء ماركس والرابع بآدم سميث والخامس بالمسيحية والسادس بالبوذية والسابع باليهودية وهكذا ولا تستغرب إذا وجدت من يقول أنا مقتنع بأن أبقى عازبا

طول حياتي أو من يقول ابتعد عن الناس وانعزل عنهم فلا يأتيك منهم إلا الشر ونجد من العلمانيين من هو مقتنع بقائد سياسي أو بالشعب الأمريكي أو بأن الحكم للعمال أو غير ذلك كل هؤلاء علمانيون أوصلتهم عقولهم الضائعة إلى عقائد واقتناعات متناقضة فليس لهم مرجع يحتكمون إليه وليس لديهم علماء يقتنعون بعلمهم لأن علماءهم فلاسفة متناقضون ولن تعرف اقتناعات هذا العلماني أو ذاك حتى يقولها وإذا كان صامتا فلن تعرف مبادئه بصورة محددة وإذا عرفت قليلاً منها فإن هناك الكثير قد لا تعرفه والطريف أنهم يدعون أنهم يتبعون العقل والعلم ولو كان هذا صحيحاً لوصلوا إلى نفس العقائد والاقتناعات لأن العقل الصحيح لا يوصل إلى اقتناعات متناقضة . وعندما نقول هذا مسلم ملتزم فإننا نعرف عقائده واقتناعاته أما عندما نقول هذا علماني ملتزم فنحن نجهل الكثير جدا عنه ولو أخذنا جزءاً من المبادئ العلمانية القليلة وسلطنا الأضواء عليها لعرفنا أن هناك أخطاء فادحة فلو طبقنا الفلسفة العلمانية المتطورة على علم الطب سنجد الأطباء يتناقشون ويتجادلون حول الأمراض والأدوية بلا أسس أو مراجع ولا معايير ولا حتى منطق وإذا تعبوا في آخر النهار صوتوا بلا ضوابط بأن علاج هذا المرض هو هذا الدواء أو ذاك وإذا ظهر أن هذا الدواء أو ذاك لا يحقق الشفاء بل قد يسبب الموت فإنهم سيجتمعون ويصوتون مرة ثانية ويغيرون هذا الدواء وسيستمر هذا المسلسل السخيف إلى ما لا نهاية . وهناك أمراض كثيرة سيسمح لكل طبيب أن يعطي الدواء الذي يراه مناسباً وكل مريض حر في أن يقبله أو يرفضه وعليه أن يتحمل نتيجة اختياره فهو إذا مات حرا أفضل من أن يفرضوا عليه دواء ليسوا متأكدين من صحته ولا حول ولا قوة أمام المريض غير المغامرة وتسليط الأضواء على

السيرة الذاتية للأطباء فالذي هو أكثرهم تأليفا أو نقاشا ومنطقا أو عمرا وخبرة فهو أفضل الاختيارات السيئة فالمسألة نسبية . باختصار لو طبقنا الأسلوب العلماني في علم الطب لعرفنا حجم الكارثة التي يعيش فيها العلمانيون فهم جعلوا العلم مرتبطاً بالمناقشة والجدل وبحجم ما تقرأ أو ما تؤلف من كتب فهم لا يفرقون بين العلم والثقافة وهم فتحوا أبواب العلم الفكري لمن يشاء من الفلاسفة والناس ليتكلموا بما يشاءوا ويقتنعون بما يرون أنه صواب حتى لو لم يكن صواباً أما جامعاتهم ومدارسهم فهي تعلم الآراء المتناقضة ولا تدري أيها الصواب وهي تعلن صراحة عجزها في الوصول للعلم الفكري وتقول إن ما عندها هو شرح لما هو موجود من عقائد ومبادئ ولا ندري كمؤسسات علمية أين الحق من الباطل فيها ولو سلطنا الأضواء على الإسلام لوجدنا عندنا علماً وعلماء فهناك علم له حقائقه المعروفة والكثيرة والمتكاملة والشاملة وهو بحاجة إلى دراسة وصبر وعندنا علماء متفقون على قضايا كثيرة جدا واختلافاتهم قليلة وفرعية واجتهادية ولها ضوابط وعلماؤنا حذرون في التحدث بالعلم بعكس الفلاسفة والعلمانيين الذين يتجرءوا في الحديث في مجال العقائد والحياة الاجتماعية والأخلاق ويصنفون الناس إلى رجعيين وتقدميين وغير ذلك ولو كان العلمانيون عقلاء لعملوا مقارنة بين أفضل عشرة مفكرين وفلاسفة لديهم مجتمعين أو منفردين وبين ما جاء به محمد ﷺ من عقائد ومبادئ وأحكام وسيشاهدون بعقولهم وبأعينهم الفرق الشاسع في الشمولية والتكامل والوضوح بين الفكر الإسلامي وبين المدارس الفكرية العلمانية وهذه عملية ليست صعبة ولا مستحيلة وستبين الكثير من الحقائق لمن يريد أن يرى الحق والباطل . ويحتكم المسلمون

(الملتزمون) في حياتهم الشخصية والعقائدية والسياسية . . . . . الخ إلى مبادئ كثيرة في القرآن والسنة تحدد لهم المواقف الصحيحة فمثلا التعامل مع المال له ضوابط كثيرة تمنع التبذير والربا والرشوة والبخل والمال الحرام والغش وتدعوا للزكاة والصدقات والإنفاق على الأسرة وصلة ذي القربى والسعي للكسب الحلال وهناك تفاصيل لهذه المواضيع يتجسد فيها الحق والصواب والعقلانية والحكمة وكذلك هناك مبادئ إسلامية كثيرة تبين للمسلم كيف يتعامل مع أسرته وجيرانه والناس والمناصب والجنس والأكل واللبس . . . . .الخ كما أن للمسلم تصوراً واضحاً يتعلق بأسماء الله وصفاته ولماذا خلقنا؟ وكيف نعبده؟ وما هو مصير الإنسان المؤمن والكافر ، وما هو الإيمان والكفر؟ . . . . .الخ ولو سلطنا الأضواء على الحياة الزوجية في المجتمعات الغربية لوجدنا اقتناعات خاطئة أنتجت الخيانة الزوجية والمشاجرات والكذب والأمراض الجنسية والطلاق وتشريد الأطفال والانتقام والكراهية والعزوف عن الزواج وهذا وغيره كثير يثبت أن العلمانيين لا يتبعون العقل ولا المبادئ الصحيحة لأن المبادئ الصحيحة تنتج السعادة والأسرة السعيدة والبيئة الصالحة والحب والصدق والتفاهم والأخلاق الفاضلة والمسلمون هم أصحاب المبادئ فالعقائد والقوانين والأخلاق والمعاملات الإسلامية الأساسية واضحة منذ خمسة عشر قرنا ولا تتغير لا بالتصويت أو بآرائنا الشخصية الضائعة ولا بقوانين تضعها دولة أو جماعات ضغط لأننا نؤمن بأنها حقائق علمية فكرية وهذا الإيمان وصلنا له بعقولنا وليس عن طريق التصويت أو التقليد أو اتباع الآباء والأجداد قال فولتير فيلسوف الثورة الفرنسية : «لم تشككون في وجود الله ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي» أي أن إيمان الزوجة والخادم بالله سبحانه

وتعالى يمنعانهما من الانحرافات أما القانون فيمكن الهروب منه في أحيان كثيرة وقيل رأس الحكمة مخافة الله سبحانه وتعالى فأكبر رادع للظلم هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأكبر معين له عن جهل أو علم هو الكفر والشرك والمعاصي أي العلمانية قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور(٥٣)﴾ سورة الشورى .

أعدموا مصطلح الليبرالية

تعريف الليبرالية «بأنها حركة تنطلق من نتائج العلم ، وبخاصة علم الاقتصاد السياسي لتبشر بالحرية في كل الممارسات البشرية في جميع ميادين الاجتماع البشري وذلك من أجل راحة البشر المادية والمعنوية» ص ٨٣ من عدد ٢ السنة الأولى لمجلة «حوار العرب» هذا أحد التعاريف من تعاريف كثيرة نقرأها أو نسمعها فبعضهم يربط بين الليبرالية والديمقراطية أو الحرية وآخرون يعتبرونها والعلمانية وجهان لعملة واحدة هي الفكر الرأسمالي الغربي وبعضهم يعرفها بأنها الانفتاح الفكري والتقدم العلمي والاستعداد لقبول الأفكار الجديدة وهناك من يرى أن الليبرالية مصطلح يتطور أو يتغير مع مرور السنيين وأقول أتمنى أن يتم إعدام مصطلح الليبرالية وإلغاءه من الساحة الفكرية العربية وذلك للأسباب التالية :-

١- بعض معاني الليبرالية صحيحة ولا خلاف حولها وبعضها يتعارض مع الإسلام كالعلمانية والحرية «الزائدة» ومن الصعوبة أن نتعامل مع مصطلح له معاني متناقضة كما قال لي مثقف عربي ليبراليتي تعني كذا وكذا أي المطلوب منا أن نطلب من كل من ينتمي لليبرالية أن يفسر لنا ماذا تعني ليبراليته حتى نعرف موقفنا من أفكاره ومنه قبولا أو رفضا والمشكلة أنه لا يوجد مرجع معتمد يحدد لنا الليبرالية وليست لها ملامح لا اختلاف حولها كما هو الأمر مع العلمانية أو الإسلام أو الشيوعية .

٢- أخطر ما في استخدام مصطلح الليبرالية أن المقصود بها عند البعض العلمانية أي فصل الدين عن الدولة والعلمانية مرفوضة جملة وتفصيلا من ناحية إسلامية ولا أعتقد أن من الأخلاق الفاضلة أن يخدع البعض شعبه وأمته بإعلانهم مصطلح الليبرالية والمقصود به

العلمانية وليس من الشفافية والمصارحة أن تكون الليبرالية هي حصان طروادة للعلمانية ولا شك أن الطريق إلى الوحدة أو على الأقل الاتفاق الكبير والتعاون الحقيقي هو الوحدة الفكرية والتي لن تتحقق إلا بالإسلام قال تعالى : ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (٦٣) سورة الأنفال .

٣- إذا كانت الليبرالية تعني الحرية العاقلة أو حرية النقد العلمي أو الديمقراطية أو الأسلوب العلمي فهذه أمور مقبولة إسلاميا وعلمانيا ولكنها في نفس الوقت ليست «مبادئ محددة» أي عقيدة أو فكر يمكن أن ننتمي لها فهي مبادئ قليلة لا تصلح أن ننتمي لها أي المفروض أن نصف الفرد بأنه مسلم أو شيوعي أو رأسمالي أو اشتراكي أو علماني أو غير ذلك أما أن نصف فرد بأنه يؤيد الحرية أو منفتح أو ديمقراطي فهذا لا يكفي لبناء فرد ناهيك عن حزب أو دولة وإذا كانت كلمة ديمقراطي محددة فإن الحرية كلمة غامضة فهناك حرية إسلامية وحرية رأسمالية وحرية شيوعية فأي حرية هي المقصودة أما استخدام مصطلح الحرية مجردا فلا يعني أي شيء .

٤ - يقصد البعض بمصطلح الليبرالية المطالبة بمزيد من الحريات مقارنة بما هو موجود في عالمنا العربي ويقصد بها البعض إعطاء دور أكبر وأهم للقطاع الخاص وهناك من يقصد بالليبرالية إتباع الأسلوب العلمي في الحوار وأقول ليطالب هؤلاء بما يريدون من مطالب بدون أن يستخدمون مصطلح الليبرالية وتحديد ما يطالبون به بصورة واضحة تجعلنا نؤيد ما يقولون من دون أن يحملوا معهم المعاني السلبية لليبرالية والعلمانية .

٥ - من الخطأ اعتبار مصطلح الليبرالية مصطلح تقدمي ومصطلح المحافظة مصطلح رجعي فليس كل ما هو محافظ أو قديم مرفوض حتى لو كانت الأخلاق الفاضلة

وليس كل حديث وعصري مقبول فنحن نقيس المقبول والمرفوض بميزان الإسلام ونحن أمة لا تحتاج إلى كثير من الكلام الكثير والتفلسف والجدل البيزنطي ومن الخطأ أن نغرق في مستنقع الفلاسفة والمفكرين العلمانيين فالصراط المستقيم واضح عندنا ونحن بحاجة إلى وضع الخطط التي تطورنا فكريا وسياسيا واقتصاديا وتعليميا . . . . .الخ لا أشغال أنفسنا بجدل لا ينتهي وبحوار الطرشان في مصطلحات مثل تقدمي ورجعي ومحافظ ومتحرر و وطني وقومي ويمين ووسط ويسار . . . . .الخ .

٦- انتشرت هواية التصنيف الفكري لدي الكثيرين من العرب وأثرت التصنيفات الخاطئة على تعاون المخلصين ومن الضروري تنقية الساحة الفكرية قدر الإمكان من مصطلحات غربية أو إسلامية تسبب التنافر والتباعد فلنرفض مسميات الليبرالية والعلمانية والاشتراكية واليمين واليسار وليقل كل فرد فينا أنا التزم بالقرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه هي مبادئي وفكري وهذا الأمر مطالب به كل مسلم ينتسب للفكر الإسلامي أيضا فمن الخطأ أن نتعصب لاجتهادات فكرية ونصنف المسلمين من أهل السنة والجماعة ناهيك عن غيرهم إلى تكفيرين وخوارج وسلف واخوان مسلمين ومتصوفة واشعرية وقطبيين ومدخلية وسرورية و وعاظ سلاطين . . . . .الخ فالفكر الإسلامي مصدره قال الله وقال رسوله وتأكدوا أننا كلما اتجهنا أي كان موقعنا الحالي من الأعراب الفكري والسياسي إلى التمسك بالكتاب والسنة كلما وجدنا عقولنا وقلوبنا تقترب مع بعضها البعض وكلما تخلصنا من كثير من الظنون والاتهامات والاجتهادات الفكرية الخاطئة للعلماء ولغيرهم .

نعم للعقل العلمي

يقول البعض لابد أن نعتمد على العلم في حياتنا كدولة وأفراد وإلا فلن نتقدم ونتطور وأقول العلم وحده لا يكفي فلابد من الإخلاص والعمل فالعلم بلا إخلاص وعمل يتحول إلى معرفة إبليسية فإذا عرفت أن الصدق والأمانة من العلم ولم تلتزم بهما فلن تستفيد من هذا العلم وتعالوا نناقش الاعتماد على العلم من عدة زاويا وهي :-

١ - مشكلة بعض المثقفين انهم ذوو اختصاصات أدبية أي في الاقتصاد والإدارة والسياسة فهم يجهلون حقائق وملامح كل من العلم المادي والإسلام والفلسفة والعلمانية ولهذا يظنون أن العلمانية تعني العلم ومن أكبر الأخطاء التعامل مع العلم كأنه نوع واحد كما يقول الغربيون «علبة سوداء» لأننا إذا قسمنا العلم إلى أنواعه الرئيسة وهي العلم المادي المتعلق بالعلوم والهندسة والعلم الفكري المتعلق بالعقائد والمبادئ والأنظمة وعلم الإدارة وعلم الواقع المتعلق بالدراسات الميدانية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك سيسهل علينا فهم موقع العلمانية من الإعراب . وأقول العقول البشرية متفقة على الحقائق العلمية في العلوم والتي ذكرتها ماعدا العلم الفكري أي أن البشر في هذه العلوم ذوو عقول علمية وضعف بعض الدول في هذه العلوم راجع لقلة إمكانيتيهم البشرية والمالية أو لضعف تخطيطهم وإداراتهم .

٢ - العلم المادي (التكنولوجي) لم يصنع العلمانية ولم تصنعه العلمانية فلم تثبت أبحاث الكيمياء أن فصل الدين عن الدولة حقيقة علمية كما أن تجارب الفيزياء لم توصلنا إلى أن الدين لله والوطن للجميع أو الإسلام منبع التعصب وهذا ينطبق على بقية عقائد ومبادئ العلمانية . والعلمانية ليست هي الاختراعات والتطور التكنولوجي لأن العمود

الفقري للاختراعات هو ارتباط العلم المادي بالاقتصاد والحرب لا العلمانية .

٣- يتعلق العلم الفكري بالحقائق في مجال وجود الله سبحانه وصفاته والإيمان والكفر والعدل والحرية والمساواة والحقوق الزوجية العادلة والعقوبات المناسبة . . . الخ وهنا اختلف البشر في تحديد حقائق العلم الفكري فبعضهم أوصله عقله إلى أن المسيحية هي العلم الفكري في حين أن آخرون أوصلتهم عقولهم إلى أنه الإسلام ومجموعة ثالثة أنها العلمانية ومجموعة رابعة أنها البوذية . . . الخ والسؤال هو من هو على حق ومن هو على باطل من هؤلاء؟ وسأركز على الإسلام والعلمانية لأنهما موضوع المناقشة .

٤- يثبت الإسلام أنه علمي لأنه يعتمد على أدلة علمية أثبتت وجود الله سبحانه وتعالى وصدق محمد ﷺ وبالتالي فالقرآن والسنه هما الحقائق الفكرية (العلم الفكري) في حين أن العلمانية تتعامل مع المواضيع الفكرية بصورة منفصلة فتدرس قضية الحرية ثم تحدد ما تراه أنه الحرية الصحيحة سواء على مستوى الدولة من خلال التصويت أو على مستوى الفرد من خلال اقتناعاته الشخصية . وكذلك تفعل مع موضوع الإجهاض وعقوبة القتل أو السرقة أو الحقوق والواجبات الزوجية وتعالوا لنناقش الأسلوب العلماني لنثبت أنه أسلوب غير علمي لأنه لا يوصل للحقائق الفكرية .

٥- أهم قضية يجب أن نعرفها أن الطريق العلماني هو الطريق الفلسفي وأن العلمانية هي الفلسفة فالعلمانية لم تبدأ في القرون الوسطى في أوروبا فالتفكير العقلي المجرد أي غير المرتبط بالحقائق الإسلامية أو المسيحية هو أسلوب فلاسفة اليونان وفلاسفة القرن العشرين وما بينهما وهو أسلوب العلمانيين فهذا العلماني يدافع عن هذا المعنى للحرية والآخر عن المعنى الثاني وهكذا يختلفون فيما بينهم كما كان ولا زال يختلف الفلاسفة حول هذه المواضيع والعلاقة بين آراء الفلاسفة كماركس وغيره والمبادئ العلمانية من

شيوعية ونازية ورأسمالية واضحة جداً ووصل العلمانيون إلى ما وصل إليه الفلاسفة وهو أنه لا توجد حقائق فكرية وما وصل إليه كل فرد منهم من اقتناعات هي في نظره آراء وليست حقائق ولهذا عندهم الحق والعلم والصواب نسبي لأنهم يقارنون رأياً بأخر وليس بالحق لأنهم لا يدرون أين الحق؟ وطبق العلمانيون نفس أساليب الفلاسفة فبعضهم جعل الإنسان مادة يطبق عليها أسلوب العلم المادي وبعضهم جعل المشاكل حقل تجارب يتعلم منها وغير ذلك وإذا كان هناك فرق بين العلمانيين والفلاسفة فهو أن العلمانيين يركزون على القضايا السياسية والاقتصادية في حين أن الفلاسفة اهتموا بهذه القضايا وبالقضايا العقائدية والنفسية كما أن جهل الفلاسفة أقتصر على المجال النظري وعلى أنفسهم في حين أن جهل العلمانيين تم ترجمته في أنظمة حكم وسياسة وتشريع .

٦- مما يثبت التناقص بين العقل العلمي والعقل العلماني أن العقل العلمي يصل إلى الحقائق من خلال أدلة علمية ولا يغير رأيه في حين العقل العلماني يصل إلى مبادئه ودساتيره وقوانينه من خلال التصويت أو الآراء الشخصية للأفراد أو للحكومة أو الحلول الوسط ويصل إلى اقتناعات متناقضة بين دولة علمانية وأخرى وبين فرد علماني وآخر وهذا يثبت أنهم لم يصلوا إلى حقائق لأن الحقائق ثابتة فحسم الاختلاف بالتصويت يثبت عجز العقل العلماني عن الحسم وهذا الاختلاف يثبت جهلهم وضياعهم فالتصويت حل سياسي وليس حلاً علمياً وضياع العلمانيين والفلاسفة لا يعني أن كل ما يقولونه باطل لأنهم يقولون كل الآراء المتناقضة فبعض ما يقولونه صحيح مثل الديمقراطية وأهمية القطاع الخاص وبعضهم يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالي وهكذا .

٧- إذا أخذنا الرأسمالية والشيوعية والنازية وما بينهما من اختلافات وتناقض في العقائد

والأحكام لاقتنعنا بخطورة العلمانية فالنازية ليست ديناً بل هي مبادئ علمانية متطرفة في عنصريتها وخرافاتها وحققت النازية العلمانية دماراً هائلاً لألمانيا وللدول المحيطة بها ويكفي أن نعرف أن عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية يزيد عن أربعين مليون ومن تزوير حقائق التاريخ أن يتم تجاهل المنبع الرئيس لهذا الدمار ألا وهو العقل العلماني الذي أقنع هتلر وكثيراً من الألمان بأن العرق الآرى عرق متفوق وأنه يجب أن يسيطر على البشر ولو قام حاكم في بلد مسلم وقال إن شعبه متميز عرقياً أو تبنى المبادئ الشيوعية لسخر الشعب من جهله وضياعه وهذا يثبت رقي المسلمين في العلم الفكري وجهل غيرهم .

٨ - قالت الفلاسفة الكثير من الآراء والإجابات على الأسئلة العقائدية مثل لماذا خلق الله سبحانه وتعالى البشر؟ وكل عاقل يعلم أننا لن نستطيع أن نعرف لماذا خلقنا الله؟ فلا العلم المادي يجيب على هذا السؤال ولا علم الواقع أو غير ذلك فكلام الفلاسفة لا يستند على أي دليل علمي لأن الله سبحانه وتعالى غيب لا نراه ولم يكلمنا مباشرة فالعقل الفلسفي هو عقل ضال وكذلك الأمر مع العقل العلماني حيث أن الآراء المتناقضة للعلمانيين في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية لا تستند للدليل العلمي فهي ليست علماً حتى لو كان بعضها صحيحاً لأنهم يقولون آراء كثيرة متناقضة .

٩- ليس صحيحاً أن العقل البشري كان معطلاً أو جامداً قبل القرون الوسطى فالمؤمنون على مدى التاريخ استخدموا عقولهم بل وصلوا للحقائق الفكرية (العلم الفكري) وكان الفلاسفة اليونانيون والكفار يستخدمون عقولهم وكما قيل لا جديد في الفلسفة فما قاله العلمانيون وفلاسفة القرن العشرين قاله الفلاسفة القدماء فالدعوة إلى استخدام العقل قضية بدهية والبحث عن الحق والصواب والحكمة (العلم) قضية لا

خلاف عليها وليس الأعتماد على العقل البشري اختراع علماني وليس صحيحاً أن العالم كان يعيش في ظلام فكري قبل أن تأت العلمانية بل العلمانية هي التي جاءت بالظلام الفكري بدليل ابتعاد البشر عن خالقهم وعن الأخلاق الفاضلة وازدياد تفكك الأسرة والعنوسه والأمراض النفسية والجنسية وانتشار سيطرة المال والكذب والفسق ومن المهم أن نذكر أن ازدياد أعداد المتعلمين والجامعات والكتب ليس دليلاً على وجود تطور علمي فكري لأن ثقافة الفلاسفة وحواراتهم وشهاداتهم لم توصلهم إلى السعادة وإلى معرفة الحقائق الفكرية وكذلك الأمر مع العلمانيين .

١٠- ليس صحيحاً أن العقل الإسلامي عقل جامد متخلف بل هو العقل العلمي فهو عندما يتمسك بالقرآن والسنة فهو يتمسك بالحقائق الفكرية ومن المستحيل أن يصل العقل البشري إلى حقائق مادية تعارض الإسلام كما أنه لا يمكن أن نصل إلى حقائق فكرية بعقولنا تعارض حقائق الإسلام ومن الخطأ أن نقول إن هناك نقلاً وعقلاً وأن بينهما تعارضاً فالأصوب أن نقول هناك حقيقة ورأي أو نص واجتهاد أو يقين وظن فالعقل هو الذي اثبت أن النقل (القرآن والسنه) حقائق فكرية فكيف يأت بعد ذلك يرفض بعضها .

احذروا فخ الاتهامات الباطلة

هناك طريقين سلكهما الناس للوصول للحقائق الفكرية المتعلقة بوجود الله سبحانه وتعالى وصفاته ومعاني الحرية والعدل . . . . . الخ الطريق الأول هو الطريق العلماني والذي أوصل العلمانيون والفلاسفة إلى عقائد متناقضة في القضايا الفكرية الكبرى وقدم كل فريق من هؤلاء أدلتهم ومبرراتهم المنطقية التي تؤيد مبادئهم الرأسمالية أو الشيوعية أو الوجودية أو غير ذلك ومن أهم ما وصل إليه هؤلاء أن مبادئهم أراء ظنية وليست حقائق يقينية وأن العقل والعلم عاجزان عن حسم اختلافاتهم وتناقضاتهم الجذرية وأن بالإمكان توجيه اتهامات ونقد لكل عقيدة علمانية تبين ضعفها أو عجزها أو خطأها مما يؤدي إلى التشكيك في صوابها مما أدى في النهاية إلى اتساع مساحة الشك وقلة مساحة الإيمان بالمبادئ العلمانية سواء كانت شيوعية أو رأسمالية أو عرقية أو غير ذلك أي تركز الاقتناع على القضايا السياسية والاقتصادية وهذا أدى إلى ضعف العلاقة بين العلمانيين ومبادئهم فنادرا ما تجد إيماناً قوياً عند علماني بمبادئه وهذا من الاختلافات الأساسية بين المسلمين الملتزمين والعلمانيين ويهمنا أن نذكر أن توجيه الاتهامات عملية سهلة جدا فبالإمكان توجيه انتقادات «منطقية» للرأسمالية والشيوعية والإسلام والمسيحية . . . . . . الخ والاتهامات بالخطأ والجهل واللاعقلانية يمكن أن توجه للزواج والكرم والعمل الجاد والحلم والقصاص من القاتل بالقتل والديمقراطية والتواضع وغير ذلك وحكاية جحا وابنه وحماره حكاية مشهورة تبين أن الناس يمكن أن ينتقدوا أي عمل وفي نفس الوقت يجد كل تصرف من يمدحه حتى لو كان التطهير العرقي لأقلية أو احتلال دولة أو الاستبداد أو الكذب أو العزوبية أو البخل أو الكسل وما أكثر الاتهامات التي توجه في عالم السياسة بالخيانة

والتطرف والعلمانية والمصلحة الشخصية والتعصب الحزبي والعرقي بناء على أدلة هزيلة قائمة على الظن وإذا أردنا للعقل البشري أن يتطور فلنحميه من فخاخ الاتهامات لأنها تفتح باب الجدل البيزنطي ولا توصل إلى الحقائق الفكرية إلا إذا كانت تتطرق إلى أدلة تستند لها أصول المبادئ فتوجيه الاتهامات إلى الفروع مضيعة للعلم والوقت في كثير من الأحيان والطريق الثاني للوصول للحقائق الفكرية يتمثل في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى بأدلة علمية تم إثبات صدق الأنبياء بأدلة علمية من خلال المعجزات وغيرها ويهمنا أن نذكر أن هذا الطريق لم يخترعه المسلمون بل هو ما قاله الأنبياء واليهود والمسيحيون من قبلهم فإذا ثبت أن موسى نبي فكل ما يقوله صحيح سواء ما يتعلق بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته أو أخبار يوم القيامة أو لماذا خلقنا الله؟ أو ما هي القوانين والأخلاق التي تناسب البشر أو حدود الحرية أو غير ذلك فهذه حقائق يقينية وليست أراء تحتمل الصواب والخطأ لأن الكتب السماوية أرسلها الله لنا وهو العليم الحكيم وبالتالي ليس من العلم والصواب توجيه الاتهامات لعقائد أو أخبار أو أحكام الأديان السماوية لأن العقل البشري هو الذي أثبت وجود الله وصدق الأنبياء فلا يحق له التشكيك في المبادئ السماوية لأنه يناقض نفسه و وقع في فخ الاتهامات الباطلة فنحن عندما نصدق الأنبياء نصدق عقولنا التي اقتنعت بأدلتهم العلمية من معجزات وغيرها فالإيمان بالإسلام ليس إيماناً أعمى أو وراثياً ولنفترض جدلا أننا قبلنا تصديق الاتهامات الباطلة للإسلام أو المسيحية فإن هذا معناه لا توجد مبادئ صحيحة ولا توجد حقائق فكرية لا في المبادئ الدينية أو العلمانية ومعناه لا فائدة من أن يبحث العقل والبشر في هذه الأمور وهذا يعني أننا لسنا قادرين على تحديد الإيمان من الكفر والعدل من الظلم والحرية من العبودية والخير من الشر وأنبه هنا أن الجهل هو الحيرة والضياع والظن والشك وأن العلم هو الثقة والوضوح

والتأكد واليقين فالذي لم يصل إلى اليقين (العلم) هو جاهل حتى لو كان فيلسوفا قرأ مئات الكتب وألف عشرات منها وحصل على أعلى الشهادات «العلمية» ولو صدقنا الاتهامات التي توجه للإسلام والأديان فسنعود للمربع رقم واحد أي إعلان العجز في الوصول للحقائق الفكرية وأذكر هنا أن اليهودية والمسيحية أديان سماوية ولكن تم تحريف بعض تعاليمها وسأتطرق الآن إلى بعض النقاط التي تبين خطأ الاتهامات التي توجه للإسلام ومن هذه النقاط ما يلي :-

١- **«الاتهامات الباطلة»** : وجدنا اتهامات من بعض العلمانيين والزنادقة تشكك في عدل الإسلام أو رحمته أو صدق الرسول ﷺ فالبعض يعتبر التدرج في منع الخمر أمر يرفضه العقل أو القبول بالرق يتعارض مع المساواة البشرية أو أن المسيح ولد من دون أب شئ غير مقنع علميا أو أن تنازل أهل القتيل عن قتل القاتل سيشجع القاتل على تكرار القتل أو أن رحلة الإسراء والمعراج لا يقبلها العقل وما فعله موسى هو نوع من السحر و وجود نسخ في بعض آيات القرآن دليل على أن القرآن ليس من عند الله . . . . إلخ والجواب على هؤلاء هو أن العقل هو الذي أثبت وجود الله وصدق الأنبياء وبالتالي لا يحق له أن يشكك بصحة ما يقولونه خاصة وأني ذكرت أعلاه أن الاتهامات يمكن أن توجه بسهولة إلى أي شئ خاصة إذا لم يكن هناك شئ قطعي يثبتها فلا يوجد ما يثبت أن العقل البشري يقول من الظلم أن يسامح أهل القتيل القاتل أو أن الله لا يقدر أن يخلق المسيح في من غير أب أو يعرج بمحمد ﷺ إلى السماء أو غير ذلك بل العقل يقول إن الله قادر على أن يخلق البشر كلهم من دون أب وأم فلا حدود لقدرته وعلمه فعندما قال الكفار لأبي بكر «أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح» قال : نعم ، فما يعجبكم من ذلك؟ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، فوالله

إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه .»
ص٢٣٩ مختصر الجامع في السيرة النبوية المجلد الأول - تأليف سميره الزايد «أما الأمر الثاني الذي يخفف كثيرا من الاتهامات الباطلة هو أن كثيراً ممن يوجهها جاهل بالإسلام ولم يدرسه ولم يقرأه من مصادر صحيحة ولم يسأل العلماء بل سمعها من هنا وهناك ويرددها لأهداف سياسية أو كراهية أو جهل فمن بدهيات العقول والموضوعية ألا يتكلم الإنسان في علم إلا بعد أن يتعلمه فمن السهل مثلا إن يقول إنسان إن علم الطب علم خاطئ فأحيانا يمنع طعام ما عن مريض وفي نفس الوقت يأمر مريض آخر بأكله ولكنه لو درس علم الطب لعرف أن المريض الأول يضره هذا الطعام في حين أن المريض الثاني لا يضره لاختلاف مرضه فعلم الطب ليس متناقضاً بل الاتهام الموجه هو الخاطئ وكتب علماؤنا الكتب الكثيرة التي توضح مبادئ الإسلام وترد على الشبهات ولكن الكارثة أن البعض يعتمد على مصادر معادية للإسلام في فهم الإسلام وكم وجدنا من علمانيين لا يعرفون أساسات علم التوحيد فهم لا يعرفون الفرق بين الإيمان والكفر ولا يعرفون الفرق بن الشريعة والفقه وليسوا على اطلاع على سيرة الرسول ﷺ ومع هذا يوجهون اتهاماتهم لعقائد الإسلام أو أحكامه أو نبيه ومما يثبت صواب الإسلام أنه قائم فكرا وممارسة على تعظيم الله سبحانه وتعالى وذكره وشكره وحبه ورجائه والخوف منه وعبادته وطاعته في حين أن العلمانية الرأسمالية قائمة على الاقتصاد والسياسة والشهوات والترفيه فهذا ما يهمها بل تعتبر التوحيد والإيمان والكفر قضايا هامشية لا تستحق أن ننشغل بها أو نختلف حولها والعلمانيون المؤمنون بوجود الله مقتنعون عقليا بعظمة الكون وبأن الله سبحانه وتعالى خلق البشر وأنه عليم حكيم وقادر ويؤمنون بوجود الجنة والنار والرسل أيضا وبالتالي فمن يتبع الرسل ويطيعهم

هـو الأقرب للصواب أما مـن يقيم حياته السياسيـة والاجتماعية والشخصية على اتباع هذا الفيلسوف أو ذاك أو على آرائه الشخصيـة فهؤلاء بعيدون عن الصواب وحياتهم تنطق ببعدهم عن الله سبحانـه وتعالـى ومبدؤهم صحيح لـو قـال الله سبحانـه وتعالـى لهـم افعلوا مـا شئتم فـي الحياة ولكـن ليس لديهم دليل واحد على ذلك .

٢- «**للعقل حدود**» من القضايا المهمة جدا في إبعاد العقل البشري عن الاتهامات الباطلة والشك هو أن يتبع قولا وعملا الكتب السماوية والأنبياء أي القرآن والسنة وهذا يعني أن نعلم يقينا أن الله سبحانه وتعالى عادل وحكيم وعليم ورحيم وقوي وعزيز . . . . الخ فله حكمة في إيجاد الفقراء والأغنياء والمرض والصحة والمؤمنين والكافرين ونعلم أن الدنيا دار اختبار وأن الآخرة هي دار الحساب ولن يظلم ربك أحدا ولن ينسى شيئاً وسيقتص حتى للشاة الجلحاء من القرناء ومن عدل ربك أنه بين للناس طريق الخير وطريق الشر وهم أحرار فيما سيختارونه والجزاء من جنس العمل وإذا اتبعنا القرآن فسنتعلم الأدب مع الله سبحانه وتعالى فلا نسأل ما ليس من حقنا قال تعالى : ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾(٢٣) سورة الأنبياء وقال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾(٣٦) سورة الإسراء وهذا ليس تقييداً للعقل بل ترشيد له والأغلبية الساحقة من البشر تتكلم في حدودها مع الحكام في حين أنها لا تفعل ذلك مع خالق السماوات والأرض والنهي عن الأسئلة الخاطئة في صفات الله أو غير ذلك منهي عنه لأنه بلا فائدة كما هو منهي عن الجدل والكلام الكثير اللامفيد والتجسس على الناس وغير ذلك فالتجسس يعطيك معلومات وعلماً ولكنه انحراف عن المبادئ الصحيحة له عقوبة ومن المهم في هذا الموضوع أن نبتعد عن الغرور العقلي الذي جعل إبليس يرفض السجود لآدم عليه السلام لأن عقله

قال إنه خير من آدم ونقول لنتواضع كثيراً فمن الحقائق المعروفة أن حصيلة عقولنا من العلم محدودة جدا قال تعالى : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ فالعقل مع مكانته من العلم الكبيرة هو في نفس الوقت ضعيف فليعرف حدوده وقدراته فكل فرد منّا يجهل تفاصيل ما يحدث في جسمه فما بالك فيما يتعلق بالصواب والخطأ في جوانب فكرية في الزواج والطلاق والمال والأبناء والانفعالات والعبادة والاقتصاد والسياسة فلنحذر الغرور والجهل فهذا من العقل لا من العجز . قال ابن الجوزي رحمه الله : «وإذا نظر العاقل إلى أفعال الباري سبحانه رأى أشياء لا يقتضيها العقل ، مثل الآلام ، والذبح للحيوان ، وتسليط الأعداء على الأولياء مع القدرة على المنع ، والابتلاء بالمجاعة للصالحين ، والعاقبة على الذنب بعد البعد بزلة ، وأشياء كثيرة من هذا الجنس ، يعرضها العقل على العادات في تدبيره ، فيرى أنه لا حكمة تظهر له فيها ، فالاحتراز من العقل به أن يقال له : أليس قد ثبت عندي أنه مالك ، وأنه حكيم ، وأنه لا يفعل شيئا عبثا» فيقول : بلى . فيقال : فنحن نحترز من تدبيرك الثاني بما ثبت عندك في الأول ، فلم يبق إلا أنه خفي عليك وجه الحكمة في فعله ، فيجب التسليم له ، لعلمنا أنه حكيم . حينئذ يذعن ويقول : قد سلمت» ص ٤٧٩ صيد الخاطر- للإمام أبي فرج عبدالرحمن بن الجوزي .

٣- **«الفرق بين الشريعة والفقه»** :- كثير من الاتهامات يتم توجيهها إلى مواضيع ليست من الشريعة بل من الفقه فالقرآن والأحاديث حقائق فكرية أما الفقه فهو اجتهادات تحتمل الصواب والخطأ فالاجتهادات والفتاوى التي قال بها علماء المسلمين وتبريراتهم لها ليست حقائق وإذا ثبت أن بعضها خاطئ فهذا أمر طبيعي جدا ونقول الذي يبحث عن أخطاء قال بها علماء المسلمين سيجد الكثير ولكنه لم يكتشف شيئاً جديداً

يجهله المسلمون لأن العصمة هي للرسول ﷺ وحده والاجتهادات تنوع في الآراء ودليل على حرية البحث العلمي ودليل على تعمق المسلمين في دراسة الآيات القرآنية والأحاديث والواقع والتفكير فنجد لأبي بكر رضي الله عنه اجتهادات في قضايا فرعية بالمواريث ونجد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتهادات تناقضها وهناك أمور كثيرة اختلف فيها الصحابة ولكنهم في نفس الوقت متفقون على قضايا فكرية كثيرة جاءت واضحة في القرآن والسنة وليس صحيحاً أن الصحابة والمسلمين مختلفون حول كل شئ كالفلاسفة والعلمانيين بل هم الأكثر اتفاقا مقارنة بالبشر جميعا فكل ما في القرآن والأحاديث النبوية متفقون عليه في حين أن العلمانيين الرأسماليين مثلا مختلفون حول قضايا كثيرة جدا ومتفقون على قضايا محدودة جدا ومرتبط بالاجتهادات أن نجد العالم المسلم يغير اجتهاداته وكذلك تفعل الدولة المسلمة بين فترة وأخرى فتسمح بشيء كانت تمنعه أو ترى أنه حرام وهذا يحدث في أمور فرعية وجزئية وهو وضع طبيعي وليس دليلاً على أن المسلمين يتخبطون لأن المبادئ الأساسية وكثيراً من المبادئ الفرعية واضحة وإذا أضفنا لذلك أن مجال الاجتهادات الفكرية مجال واسع وهذا من نعم الله علينا حتى يناسب أوضاع الشعوب والأفراد من غنى وفقر وأمن وخوف وقوة وضعف وعلم وجهل وتركيبات اجتماعية وسياسية متنوعة وغير ذلك وهذا يثبت أن للعقل في الإسلام دور كبير في المجال الفكري ولكن ضمن ضوابط تبعده عن التناقضات الفكرية الأساسية لأن الثوابت الإسلامية تمنعه من الانحرافات الكبيرة التي وقع بها العلمانيون والفلاسفة .

العقل السليم والعقل الضائع

دخل الضلال والضياع للعقل البشري من أبواب كثيرة نذكر منها ما يلي :-

١ - **التحديد المباشر لمعاني العدل والحرية** : عقول العلمانيين تريد أن تناقش قضايا الحرية والعدل والمساواة والظلم والديمقراطية وحقوق الإنسان وكذلك العقائد والمبادئ العلمانية والدينية دون أن تربطها بأكبر وأهم الحقائق الفكرية الكبرى المتعلقة بوجود الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه ولماذا خلقنا وخلق هذا الكون العظيم؟ ولماذا أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل؟ وما هي الرسالات التي جاء بها هؤلاء الرسل؟ وما هي معاني العدل والحرية والمساواة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها؟ ومناقشة قضايا الحرية والعدل والمساواة . . . . . الخ بالصورة التي يدعو لها العلمانيون تؤدي إلى اختلاف العلمانيين وكل العقول البشرية في تحديد المعنى الصحيح للحرية أو العدل أو حقوق الإنسان أو غير ذلك فللحرية مثلا معان كثيرة متناقضة ذكرها الفلاسفة والمفكرون العلمانيون في كتبهم وهذا رأيناه نظرية وتطبيقا في اختلاف المدرسة العلمانية الرأسمالية الأمريكية عن المدرسة العلمانية الشيوعية الروسية فحرية الرأي يعطيها الأمريكان مساحة كبيرة في حين أن الشيوعيين يعطونها مساحة صغيرة وهناك آراء كثيرة بينهما وهناك أيضا آراء أشد تطرفا في كلا الاتجاهين ولم تستطيع العقول البشرية إعطاء أدلة عقلية يقينية تثبت أن هذا المعنى أو ذاك للحرية هو الصحيح وأعلن العلمانيون عجزهم وبصوت عالي وبأدلة كثيرة من أقوالهم فهم يقولون ما يصل إليه كل طرف هو آراء وليس حقائق ولهذا لجأوا إلى حسم اختلافاتهم «العقلية» بالتصويت أو الحلول الوسط أو الاستبداد أو غير ذلك . والغريب فعلا أن العلمانيين الرأسماليين لا

زالوا يتهمون المسلمين بأنهم على باطل وخطأ في مفهومهم للحرية وحقوق الإنسان أو غير ذلك وإذا قلت لهم أين التعريف الصحيح الذي يقوله العقل قالوا لا نعرفه ولم نصل إليه لأن ما حددوه كحرية أو حقوق الإنسان هو ما اتفقوا عليه بالتصويت وليس ما حدده العقل العلماني بأدلة عقلية يقينية والفرق شاسع بين الاحتكام للعقل والاحتكام للتصويت فهم لا يعرفون الإجابة الصحيحة ومع هذا يقولون عن الإجابة الإسلامية لمعاني العدل والمساواة إنها خاطئة فهم كإنسان ضائع في الصحراء وإذا قلت له إن الاتجاه الصحيح هو كذا وكان عندك الدليل الذي يثبت كلامك قال أنت مخطئ وهذا هو الجهل الذي تشتكي منه البشرية اليوم وهو لا يختلف عن الجهل القديم إلا أن المدافعين عنه لديهم «شهادات علمية» .

٢ - **المبررات المنطقية** : ما يجب أن يعرفه كل عاقل أن العقل البشري يمكن أن يعطي مبررات ليدافع عن هذا التعريف أو ذاك للحرية أو للعدل أو للمساواة أو الفساد الجنسي أو غير ذلك فمثلا تجد من يعتبر الزنا حرية وليس فسادا ويبرر ذلك بأن الزنا يشبع غرائزنا ويحقق اللذة والمتعة وأن منعه كبت وحرمان وضد الفطرة البشرية . . . .الخ وتجد من يعتبر شرب الخمر حضارة ورقي فهي في ظنه تعطي الإنسان فرصة لينسى همومه وفي شربها لذة وفي المقابل تجد من يعتبر شرب الخمر و كذلك الزنا رذائل لما فيهما من شرور كثيرة منها تغييب العقل وإهدار المال وخلط الأنساب وتحويل الإنسان إلى كائن مخدر جنسيا باختصار العقل البشري يستطيع أن يمدح الحرية الشيوعية أو الحرية الرأسمالية أو الزنا أو شرب الخمر وكذلك يستطيع أن يذمهم والخطأ طبعا ليس في العقل ولكن في استخدامه بطريقة خاطئة فذكر الإيجابيات أو السلبيات للخمر أو الزنا أو هذه الحرية أو تلك ليس المعيار الصحيح الذي

يتم الاحتكام إليه في تحديد الحق من الباطل في القضايا الأساسية الفكرية والآن ما هو الحل؟ .

٣- **مناقشة الأصول لا الفروع** : الحل أن نرجع إلى الجذور والأصول في المبادئ ثم نحتكم بعد ذلك للأدلة العقلية لا أن نقارن ونفاضل بين الفرعيات والجزئيات فالتعاريف الإسلامية للحرية أو العدل . . . .الخ ترجع إلى أصلين وجود الخالق وصدق محمد والتعاريف الشيوعية ترجع إلى نفي وجود الخالق أما التعاريف الرأسمالية الأمريكية فلا أصل عقلي لها فهي ترجع للتصويت والحل الوسط أما المسلمون والشيوعيون فإنهم يقولون ما نقوله حقائق وبالتالي إذا أثبتنا وجود الخالق تسقط كل المبادئ الشيوعية وتعاريفها وإذا أثبتنا صدق محمد تصبح التعاريف الإسلامية هي الصحيحة وأيضا تسقط التعاريف الرأسمالية لأنها تخالف في بعض جوانبها الإسلام ولا يوجد طريق آخر كما أن ليس هذا مجال تفصيل أدلة الطرفين وذكرت ذلك باختصار في كتاب «عجز العقل العلماني» ويمكن الرجوع إليه .

٤ - **لا توجد حقائق فكرية** : لو وصل العلمانيون بعد قراءتهم وتأملهم وتفكيرهم ومناقشاتهم إلى رأي واحد في هذه القضية العقائدية أو تلك أو في معنى الحرية أو المساواة أو في الحقوق والواجبات الزوجية أو الطريقة المناسبة لتربية الأطفال أو الزنا أو الخمر لقلنا ما وصلوا له كارثة علمية لأنه رأي لم يستطيعوا أن يثبتوا صوابه بأدلة يقينية قاطعة فما وصلوا إليه هو ظن وشك وليس يقيناً ولكن حقيقة الأمر أن العقل العلماني بعد بحث طويل وصل إلى آراء متناقضة في الهدف من خلق الإنسان وفي التعامل مع الأديان وفي معنى الحرية . . . .الخ فهو بدأ بدراسة الآراء المتناقضة في هذه الأمور و وصل في النهاية إلى أراء متناقضة أي انتهى من حيث بدأ أي وصل إلى لا شئ

فهو انتهى بأنه لا يوجد حق و صواب بل كلها آراء وظنون فحتى وجود الله سبحانه وتعالى لا يعتبره بعض العلمانيين حقيقة علمية كان لهم رصيد من الحقائق «المسيحية» فانتهوا بلا رصيد منها وبدل أن يعلنوا عجزهم وفشل أسلوبهم العلماني في الوصول للحقائق لأنه أسلوب الفلاسفة قالوا : لا توجد حقائق في القضايا الفكرية كلها آراء والأمور نسبية وليختر كل إنسان ما يقتنع به والعقائد أمور غيبية لا تستحق أن نناقشها أو نختلف حولها وما يتعلق بحياتك الشخصية حرية شخصية لا نتدخل فيها واقتنع بما شئت من عقائد وأخلاق والقضايا التي تهم الدولة والقوانين سنحلها بالتصويت لا العقل فالعلمانيون اعتبروا كل المواضيع الفكرية قضايا اجتهادية فاستراحت عقولهم لأنهم رضوا بالجهل قيل تتلمذ شاب كثير الإهمال على أرسطو وقد نبهه إلى ملله وإهماله فاعتذر قائلا : «ماذا أعمل؟ وليس لي جلد على القراءة ، ولا صبر على ما يقتضيه العلم من مجهود وتعب؟ فأجابه أرسطو : إذا فلا سبيل لك إلا الصبر على الشقاء والجهل ص ٣٩١ كتاب الضاحكون . محمد قرة علي .

٥- **الحقائق ليست فردية** : لا يستطيع الكيميائي أو غيره من المتخصصين في العلوم المادية كالفيزياء والإحياء والحاسب الآلي أن يقول أنا من المقتنعين أن الأوكسجين لا يتحد مع الأيدروجين أو أن الذرة هي أصغر جزء في المادة أو غير ذلك لأنه سيقال أن هناك علم اسمه علم الكيمياء وأن التجارب العلمية أثبتت أن الماء يتكون من الأوكسجين والهيدروجين وأن هناك أجزاء أصغر من الذرة فاقتناعاته الشخصية مرفوضة جملة وتفصيلا والذي رفضها هو علم الكيمياء وحقائقه وبالتالي فالعلم الفكري المتعلق بالعقائد وحياتنا الاجتماعية والشرائع والمتعلق بالبحث في الإسلام والمسيحية والعلمانية بمدارسها المختلفة لا مجال أن يقول فيها شخص أنا مقتنع بالمساواة التامة بين

الرجل والمرأة أو المساواة بين البشر في رواتبهم أو أرى أن الزنا جزء من الحرية الشخصية أو أرى من العدل أن نفصل الدين عن الدولة أو أعتقد أن عقوبة قتل القاتل عقوبة قاسية فالحقائق ليست فردية أو اقتناعات شخصية فالاقتناعات الشخصية مقبولة في القضايا الفكرية الاجتهادية لا الأساسية وعلى كل عاقل أن يعرف أولا ما هي العقائد الصحيحة؟ وما هي أوامر الله سبحانه وتعالى ونهيه؟ وما هي الأحاديث الصحيحة؟ ويعتبر ذلك حقاً وصواباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإن ما خالفها باطل مرفوض ولهذا من الواجب دراسة علم الإسلام وسؤال أهل العلم قال تعالى : ﴿فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٤٣) سورة النحل وإذا عرف ذلك يمكن بعد ذلك أن تكون له آراؤه واقتناعاته الشخصية واجتهاداته ضمن حدود الحقائق الإسلامية .

٦- **من لم يصلوا للحقائق لا تناقشهم** : يجب أن نرفض أن يأت النقاش ممن لم يصل إلى الحقيقة فكثير ما يوجه الفلاسفة وبقية العلمانيين انتقادات للإسلام أو لغيره ويحاولون أن يثبتوا أننا على باطل في عقيدة أو مبدأ وأقول من العقلانية أن يصمت من يعرف ويعترف أن آراءه واقتناعاته هي آراء وليست حقائق فليس من حق الضائع الذي لا يعرف الحق أن يتهم المسلمين أو حتى غيرهم بأنهم على ضلال وباطل لأنه يفتقد في هذه الحالة ميزان الحق والصواب فالواجب أن يصمت ويبحث عن الحق ثم إذا وصل إليه يعلنه ويثبته بأدلة عقلية قطعية وليست ظنية فإذا قال قائل في القضايا الفكرية الأساسية أنا رأيي كذا نقول اصمت نحن نبحث عن الحقائق لا الآراء فلنغلق باب الآراء ولنغلق كذلك أبواب الاتهامات لهذا الطرف أو ذاك .

٧- **يتكلمون في مجال ليس تخصصهم** : أحد أهم أبواب الضياع هو تكلم كثير من الناس بأمور ليسوا هم أهلها فكم شاهدنا من أصحاب الدكتوراه في الهندسة أو الحقوق أو

الاقتصاد وهم يتكلمون عن الحرية والمبادئ الصحيحة ومفاهيم الإصلاح والتاريخ الإسلامي وهؤلاء ليسوا متخصصين في المجال الذي يتكلمون فيه حتى لو كانوا قرؤوا فيه فهذا استهتار بالعلم والحقائق فليس مقبولاً أن يتكلم مهندس في علم الطب ولا طبيب في علم الزراعة ولا محامي عن التاريخ فشهادة الدكتوراه أو الشهادة الجامعية لا تعطي لحاملها الحق في التكلم في كل أنواع العلم بل تعطيه شهادة بأنه جاهل في أغلبها إن لم نقل جميعها ما عدا المجال الذي حصل فيه على شهادة وطبعا يمكن أن يتقن الإنسان علما لا يحمل فيه شهادة إذا درسه بصورة صحيحة ولكن أغلبهم لا يفعلون ذلك بل يرددون كالببغاوات شبهات واقتناعات حول الإسلام أو التاريخ الإسلامي على درجة بالغة من الجهل والسطحية فتجد من يقول الإسلام لا يعارض العلمانية أو العكس وتجد من يتهم الإسلام بالاستبداد وهكذا والمشكلة أن بعض هؤلاء يؤلفون الكتب أو يكتبون المقالات في الجرائد فيضلون الناس وستحقق البشرية تقدماً حقيقياً في العلم الفكري إذا صمت الكثيرون وقيل قديما «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس» وتكون جريمة الجهل كبيرة جدا إذا كان الكلام في مجال الإسلام لأن الأمانة عظيمة وتشويه عقول الناس كارثة قال تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة من عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (١٠) سورة الحج ولا أطالب بتكميم الأفواه والأقلام بل أقول من يرد أن يتكلم في غير تخصصه فليدرسه دراسة صحيحة ولا يأت بكلام يخالف أقوال العلماء أو بديهيات العلم الذي يتحدث عنه .

٨- **الفرق بين العالم والعلم** : من الخطأ أن نعتبر «أقوال العلماء» هي العلم فنستشهد بقول

هذا العالم أو ذاك في إثبات صواب ما نقول بل المفروض أن نطالب العالم بدليله من القرآن والسنة فهذا هو العلم وما يناقضه هو الجهل . وبالتالي فاحترام العلماء والمتخصصين له ضوابط من أهمها أن يثبتوا صواب ما يقولون بأدلة من القرآن والسنة وما دام علماء الأديان والعقائد متناقضين ولا يوجد في العلم تناقض فإن كثيراً من هؤلاء ليسوا علماء حتى لو اعتبرهم البعض مراجع علمية كبيرة فالراهب المسيحي تجد عنده علماً صحيحاً في كثير من الأمور لأن التحريف لم يحدث في كل المسيحية ولكن عنده جهل في حقيقة المسيح وفي فهم الإسلام أو غير ذلك أما «علماء العلمانية» فجهلهم كثير وعلمهم قليل لأنه لا يوجد شئ اسمه علم علماني فمبادئهم ولا أقول علمهم لا تزيد عن نصف صفحة تدعو لتحكيم العقل والاحتكام إلى الشعب وكل فرد عليه أن يبحث عن المبادئ الصحيحة ويقتنع بما يظن أنه صحيح أما ما هي المبادئ الصحيحة فهذا أمر لا تعرفه العلمانية فعندها الحقائق فردية أي كل فرد يقتنع بما يراه حقاً . وما نقوله ليس اتهاماً أو حتى تجنياً عليهم بل هذه حقيقة «علمهم الفكري» ولهذا تجدهم يركزون على تضخيم دور فلاسفتهم ومفكريهم وكم ألفوا من كتب وما هي شهاداتهم وجامعاتهم وأضاف لها الفلاسفة مصطلحاتهم وجدلهم ومناقشاتهم وكل هذا ليس علماً لأنه قائماً على آراء وظن وإثباتات ضعيفة ولا يستحق هذا أن نضيع وقتنا في دراسته ومما يثبت ذلك أن الحوارات العلمانية مستمرة منذ أربعة قرون وحوارات الفلاسفة الذين هم «علماء العلمانية» مستمرة منذ آلاف السنين ولم يتفقوا فيما بينهم حتى على حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى فما بالك ببقية الحقائق الأخرى وهذا بحد ذاته يثبت أن الأسلوب العلماني في الوصول للحقائق الفكرية لم يقنع العلمانيين ويوحدهم لأنه لم يوصلهم إلى علم والمشكلة أن هذا الجهل الشديد مغلف بكتب كثيرة

لا أحد يقرأها ومغلف بجامعات عريقة ومفكرين «كبار» وفلاسفة «عظام» وصدق باسكال عندما قال «الفلسفة مضيعة للوقت - الفلسفة لا تستحق ساعة تعب وقال أيضا «التفلسف الحقيقي هو الهزء من الفلسفة» أي البحث الصحيح عن الحقيقة يفرض علينا أن نرفض الأسلوب العلماني الفلسفي لأنه ثبت يقينا وباعتراف الفلاسفة والعلمانيين أنه لا يوصل للحقائق الفكرية ومع هذا يدافعون عنه فكل ما يتطلبه النقد الفلسفي هو ترتيب الكلام حتى يبدو منطقيا وصحيحا .

٩- **الحق والعقل** : عندما نبحث عن الحق (العلم) فليس من أدلته أن نقول يقول عقلي أو العقل يقول كذا لأن العقول البشرية متناقضة فالحق (الحقائق) موجودة حتى لو لم يوجد بشر وعقول فإن الحقيقة حقيقة حتى لو لم يعترف بها أحد بل إنه لو أنكرت كل العقول البشرية وجود الله سبحانه وتعالى أو أن الشمس أكبر من الأرض فإن الحقائق تبقى حقائق فعلينا أن نفرق بين العقل والحق (العلم) .

١٠ - **العلمانية وعلاقتها بالعقل** : من الادعاءات الطريفة ادعاء العلمانية الرأسمالية أنها تعتمد على العقل وهذا يعني ضمنا أن المبادئ الأخرى لا تعتمد على العقل وأي منصف سيدرك أن كثيراً من المبادئ تعتمد على العقل حتى لو كانت مبادئ خاطئة فالشيوعية مثلا تعتقد أنها قائمة على العقل ومع هذا تناقض العلمانية الرأسمالية أما اليهودية والمسيحية والإسلام فهي مبادئ قائمة على العقل لأنها بالعقل آمنت بالأدلة العلمية التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى وكذلك بالعقل اقتنعت بالمعجزات وأن هؤلاء الرجال أنبياء فالأديان السماوية ليست قائمة على إيمان أعمى أو تقليد أو أساطير كما تدعي العلمانية بل قائمة على أدلة عقلية قاطعة وعلى حوارات عقلية و واقع مشاهد وإذا أضفنا إلى ذلك أن فلاسفة الإغريق وغيرهم وقبل أن تأتي العلمانية كانوا يفكرون

بعقولهم ويتناقشون ويؤلفون الكتب وهذا وغيره يثبت أن الحرص على الاحتكام إلى العقل هو بدهية طبقتها البشرية منذ آلاف السنين والخطأ الذي وقع به أغلبهم أن بعض أدلتهم العقلية خاطئة أما العلمانية الرأسمالية فأخذت تردد قول لا خلاف عليه وهو لنحتكم للعقل وأخذت توهم الناس أن المبادئ الأخرى لا تحتكم للعقل والطريف أن أصحاب بعض المبادئ الأخرى صدقوها فنجد بعض المسلمين يعتقدون أن هناك تعارضاً بين العقل والنقل بل أخذ بعضهم يطعن في العقل ونقول ونكرر لا يوجد شئ محدد اسمه العقل بل لكل إنسان عقل وما يراه هذا حقاً وصواباً قد يراه الآخر باطلاً وخطأ وموقف العلمانية من العقائد والمبادئ الاجتماعية والعبادات وغيرها التي يتبناها الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو البوذية أو الهندوسية . . . . الخ هو أيها الناس لقد أزعجتمونا باختلافاتكم وكل طرف فيكم يزعم أنه على حق وصواب ورأينا هو أن كل ما تقولونه مرفوض منا كعلمانيين وأن العقل البشري عاجز عن أن يحكم بينكم ويثبت بالأدلة العقلية صواب أو خطأ هذه المبادئ أو تلك والحل هو أن نهرب من كل ذلك ونحتكم إلى التصويت في القضايا التي لا بد أن نواجهها على المستوى التشريعي والسياسي فالعلمانيون هم الذين يعطلون العقل ويرفضون أن يعطي الأجوبة الصحيحة عن صفات الله سبحانه وتعالى؟ ولماذا خلقنا؟ وكيف نطيعه ونعبده؟ وما هي الحقوق والواجبات الزوجية؟ . . . .الخ وحتى تكتمل المؤامرة والتزوير يقولون هذه قضايا هامشية وثانوية ولنشتغل بالمال والاقتصاد والشهوات والأفلام والغناء . . . .الخ مع أن الله أن سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض والإنسان . . . . الخ لطاعته وعبادته أي أن هذه أهم قضية في حياتنا .

١١- **العلمانية وعلاقتها بالعلم المادي والإسلام** : لا توجد علاقة بين العلمانية والعلم المادي

لأن العلم المادي موجود قبل العلمانية ولأنه لا خلاف بين البشر على أهمية العلم المادي كالطب والزراعة والحاسب الآلي والكيمياء . . . الخ فالعلمانية علاقتها بالعلم المادي كالذئب الذي يلبس جلد الخروف فهذا الانتماء الشكلي كاذب لو امتدت يد ورفعت الجلد ولكن كثيراً من الناس لا يتعمقون ولنأخذ مثالاً أخر يبين كذب ادعاءات بعض العلمانيين حيث نجد هؤلاء يتهمون المسلمين بأنهم المتأسلمون والإسلاميون والمتاجرون بالدين والمتطرفون والخوارج وإذا تعمقنا فيما يقولون نقول اتهام المسلمين بأنهم خوارج أي خرجوا عن الدين الصحيح مقبول إذا كان من يتهمهم هم أصحاب الإمام علي رضي الله عنه أي كان من يوجه الاهتمام حريصاً على الالتزام بالدين الصحيح لا أن يكون أقرب إلى الكفار والمنافقين لأنه بعيد عن أساسات الدين كأن لا يصلي أو لا يريد تطبيق الشريعة الإسلامية أو لا علاقة له بعلماء الإسلام أما الاتهام بالمتاجرة بالدين لأغراض دنيوية فالاتجاه المعاكس له هو الإخلاص للدين لأغراض أخروية وهذا لا ينطبق بالتأكيد على العلمانيين فهم يريدون فصل الدين عن الدولة أي إبعاد الدين ورفضه فكما يقول المثل الكويتي «عنبر أخو بلال» فالعلمانيون والمتاجرون بالدين يشتركان في رفض الدين الصحيح الشامل والطريف أن الإنسان العاقل سيكشف أن اتهامات العلمانيين تشمل جميع المسلمين فهذا متطرف وهذا يتاجر بالدين وهذا متعصب وهذا من وعاظ السلاطين . . . . . الخ أي لا يوجد في قاموسهم من هو متمسك بالدين إلا قلة قليلة خاصة تلك التي لا تعاديهم أو تناقشهم وهذا تزوير لأن الأغلبية الساحقة من المسلمين هم مسلمون معتدلون ولنتذكر أن قوة العلمانية هي في توجيه الاتهامات الكثيرة (أسلوب الفلاسفة) للأديان السماوية وغيرها بدون أدلة صحيحة وفي هذا تشويه كبير للحقائق الفكرية والواقعية .

١٢- **العلماني الغامض** : لا شك أن هناك تناقضاً شديداً بين المسلم والعلماني فعندما نقول مسلم فإننا نعرف عقائده وأهدافه وأخلاقه وشريعته فهو ملتزم قدر ما يستطيع بذلك ويمكن أن تدخل معه في عمل أو صداقة أو حتى زواج فالزوج المسلم مثلا لا يشرب الخمر ولا يخون زوجته ولا يأكل مالها . . . . الخ في حين عندما نقول هذا زوج علماني فأنت لا تدري ما هي عقائده ولا أخلاقه ولا أهدافه في الحياة فقد تكتشف بعد الزواج بأنه يشرب الخمر أو يتعاطى المخدرات أو يعتبر العلاقات المحرمة حرية شخصية أو غير ذلك وقد يقول قائل إن بعض المسلمين يشربون الخمر أو غير ذلك وأقول أنا أتكلم عن المسلم الملتزم أما غير الملتزم فهو منحرف أما العلماني فلا يوجد علماني ملتزم وعلماني غير ملتزم فكلهم غامضون بمعنى أنهم مجهولون سنكتشف عقائدهم ومبادئهم النظرية والعملية مع الأيام لأنه لا يوجد في العلمانية مبادئ يلتزمون بها إلا ما ندر فكل فرد فيهم يتحرك بناء على اقتناعاته الشخصية ولا توجد معايير أو مراجع أو حتى علم يتم الاحتكام إليه في اختلافك مع العلماني لأن في اعتقاده كل ما يوجد من عقائد ومبادئ وأحكام هي آراء وليست حقائق وما دامت آراء فهو حر في أن يقبلها أو يرفضها فالأمر فوضى قل ما تشاء وافعل ما تشاء فلا توجد مبادئ نحتكم إليها تحدد الحق من الباطل والصواب من الخطأ .

١٣- **المبررات العلمانية للانحرافات** : إذا كانت المبادئ العلمانية آراء فإن هذا يجعل لمصالح الأغنياء ونفوذهم دوراً كبيراً كما في أمريكا في توجيه سياسة وتعاريف الدولة عن الإرهاب والحرية و«المصلحة الأمريكية» كما تجعل لأهل الشهوات والفساد مساحات كبيرة لأن الفساد كلمة غامضة كما أن المبادئ الأمريكية تتأثر كثيرا جدا بالإعلام ومن يملكه لأنه سيصيغ «الحقائق الوهمية» وغياب الحقائق الصحيحة سيفتح

الأبواب أمام الانفعالات الشعبية للتأثير في القوانين والسياسات والعمود الفقري لحركة الشعوب هو ما يريده الشعب لا ما تفرضه الحقائق الفكرية وما ينطبق على الشعب ينطبق على الفرد الأمريكي كما أن كثيرين يغيرون مبادئهم واقتناعاتهم إلى حد التناقض نتيجة تجاربهم الشخصية التي اكتسبوها من خلال العمل أو الزواج أو المشاركة في الحرب أو مصائب شخصية ولو كانت مبادئ الزوج تختلف عن مبادئ الزوجة في بعض الفرعيات لكانت مشكلة فكيف إذن سيحدث التوافق الأسري في ظل تناقض بعض أو كل المبادئ الأساسية للزوجين إن هذا شئ مستحيل وهذا هو أحد أسباب الطلاق الرئيسة في أمريكا وهو سبب سيزداد كلما ابتعدوا عن المسيحية والإحصائيات تثبت ذلك وأقول وأكرر الحقائق والعقائد والمبادئ ليست قضايا نظرية أو فلسفية بل هي الأساس الأول لبناء سعادة الفرد والشعب ولا يدرك كثير من العلمانيين أن عدم وصولهم للحقائق الفكرية فتح كثيراً من أبواب الضياع العقائدي كأبواب التعصب العرقي وأحد نماذجه المشهورة النازية الألمانية وما أحدثته من حروب وفتح الأبواب للعقائد الشيوعية التي نشرت الاستبداد والظلم والفقر في دول كثيرة في القرن العشرين هذا غير فتح أبواب الوجودية والانتقائية والمادية والشهوات فكل هذه الانحرافات وغيرها كثير أصبحت تجد من يدافع عنها فكريا أي مقتنع بأنها مبادئ صحيحة وأنها تحقق العدل والحرية وليست انحرافات و وجد أصحاب الضمائر الفاسدة في العلمانية وآرائها المتناقضة ما يستر عورات أفعالهم وأقوالهم ومواقفهم لأن الأسلوب العلماني يتيح لهم إعطاء تبريرات لكثير مما يفعلون وفي المقابل نجد أن الحقائق الفكرية الصحيحة أي المبادئ الإسلامية ثابتة ولا تتغير ولا يتم التلاعب بها لا من علماء الإسلام ولا المجالس النيابية ولا الاستفتاءات الشعبية ولا تقبل الحلول الوسط

وهي مبادئ راقية جدا لا تسمح بالسحر والانحرافات ولا الأحقاد الطبقية ولا التعصب العرقي ولا الزنا ولا النفاق ولا الكذب ولا الانتقام ولا الحقد ولا الحسد ولا الاستبداد ولا الظلم . . . . الخ فلا يستطيع أحد أن يدافع عن أي من هذه الانحرافات لأن المسلمين يعرفون أنها انحرافات فلا ينخدع أصحاب النوايا الطيبة بأي مبررات حتى لو كانت «مقنعة» .

١٤- **ليس من العلم** : ينسب بعض العلمانيين إلى العلم ما ليس منه فيقولون مثلا أثبت العلم المادي أن الإنسان تطور من قرد أو من كائنات أقل كنظرية دارون وأقول لم يثبت علميا أن الإنسان تطور من قرد أو غير ذلك ونظرية دارون لا تثبت ذلك وليس هذا مجال النقاش وأحيانا يقولون الطبيعة هي التي خلقت الكائنات وهذا كلام ليس علميا أي ليس من حقائق العلم المادي فما هي الطبيعة هل هي الماء والهواء واليابسة أم ماذا؟ وكيف تخلق؟ ومتى تم هذا الخلق؟ وقال الشيوعيون العلمانيون الكون خلق صدفة وهذا كلام ليس علمياً أبدا ولم يثبت عن طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج وبالتالي فالعقائد والمبادئ التي تستند إلي أدلة خاطئة علميا ليست مبادئ صحيحة لأنها قائمة على الخطأ وهناك من ينسب إلى علماء الإسلام أو علماء المادة ما لم يقولوه أصلا وهذا يسبب ضياعاً للحقائق ونقول ونكرر العلم الفكري هو الكتاب والسنة وما يخالفهما من أقوال العلماء يضرب به عرض الحائط كائنا من كان القائل وكثيراً ما نجد من ينسب إلى علماء الإسلام أو أهل السنة والجماعة أو غيرهم من الفرق الإسلامية وغيرهم وخاصة من حكام المسلمين ما لم يقولوه أو ما لم يفعلوه وهذا وغيره يسبب ضياعاً للحق والصواب وعموما فالكذب والجهل في هذه المواضيع كثير لا بد أن ينتبه له الباحثون عن الحقائق .

١٥- **النظرة الجريئة** : كثير من الناس لم يبدءوا في التفكير بالقضايا الكبرى في الكون مثل من خلق الكون؟ ولماذا خلقنا؟ وهل هناك أنبياء؟ بل تجاهلوا هذه القضايا الهامة أو اعتبروها هامشية أو أخروية وأخذوا يهتموا بالواقع الملموس وخاصة القضايا السياسية والاقتصادية فاهتموا بالإصلاح السياسي وبمشاكل أوطانهم أو ما فيها من اختلافات وأحزاب وأطروحات وهؤلاء تعاملوا مع الحياة بصورة جزئية كما أنهم تعاملوا معها بصورة سطحية لا علاقة لها بالقضايا الكبرى في الكون وهذا أحد أسباب الضياع فالحقائق العقائدية أهم من الحقائق السياسية والاجتماعية ومعرفتها ستجعلنا نفهم واقع البشر بجوانبه المختلفة بصورة صحيحة فتحقيق الإصلاح أحد المواضيع الهامة في الحقائق الفكرية ولكن كثيرين يجهلون المفاهيم الإسلامية للإصلاح ولهذا نجد أن كثيراً من المخلصين يقتصر اهتمامهم على الجانب السياسي وما فيه من صلاح وفساد ويتساهلون كثيرا بالفساد العقائدي والاجتماعي مع أن المبادئ «الحقائق» ذات صفة شمولية ونعلم أن البشر ليسوا مثاليين ولكن هناك حد أدنى من الالتزام بالمبادئ لا يقبل أقل منه ولنتذكر دائما أن النظرة الجزئية تكون دائما ذات حسابات خاطئة .

الطريق إلى الحقائق الفكرية

هم يقولون إن مبادئهم صحيحة ونحن نقول إن مبادئنا صحيحة وهناك كثيرون غيرنا على امتداد الكرة الأرضية مقتنعون أن مبادئهم صحيحة وقد قيل «كل بعقله راض» وأقول إن الحق والصواب لا يتم الوصول إليه بأنني مقتنع بذلك أو لأنه رأى الأغلبية في مجلس نيابي أو غير ذلك ولا يتم الوصول إليه لأن عقلي يقول ذلك لأن هناك عقولاً كثيرة مقتنعة بعكس ما نقول فالعقول تعطي إجابات متناقضة ولكن ليس معنى ذلك أن الحل هو ألا نحتكم للعقل بل لا وسيلة للوصول للحق إلا باستخدام العقل والتفكير والدراسة والبحث والنقاش وكثير من العقول ضلت لأنها اعتمدت على معلومات خاطئة أو طريقة تفكير خاطئة (كالأسلوب العلماني) أو لأنها تعبت من التفكير فأوقفت البحث ورضيت بما وصلت إليه من اقتناعات حتى لو كانت خاطئة وهناك عقول كثيرة جدا لم تبحث في قضايا العقائد والمبادئ والحق والصواب وأخذت عقائدها من آبائها وأمهاتها وبيئتها الاجتماعية أو تجاربها الشخصية . وهناك عقول كثيرة قلدت فلاسفة أو مفكرين أو علماء دين لاقتناعها أن هؤلاء أكثر علما وثقافة وبالتالي فما يقولونه هو الصحيح وهناك اختلافات جذرية بين مفكري العلمانية وفلاسفتها من رأسماليين واشتراكيين وشيوعيين ووجوديين . . . . الخ وكذلك بينهم وبين علماء الأديان السماوية وغير السماوية وكذلك الاختلافات جذرية بين علماء الأديان وحل هذه المشكلة المعقدة بسيط والحمد لله فالبداية أن نبحث عن الحق (العلم) فإذا وصلنا سنعرف من هم العلماء الحقيقيون؟ وما هي حدود علمهم واجتهاداتهم؟ كما قال الإمام علي بن طالب كرم الله وجهه «اعرف الحق تعرف أهله» فالحق لا يتم الوصول إليه بالكثرة أو القلة من المؤيدين والمعارضين ولا يتم

التوصل إليه من خلال اتباع أصحاب الشهادات أو العلماء أو المفكرين أو غير ذلك فالحقائق هي العلم وهي أشياء نكتشفها ولا نصنعها فهي لا تأتي بقرار أو نتيجة تصويت نيابي وليست اقتناعات شخصية فالحقائق لا يتم صناعتها في مصنع بل يتم اكتشافها في مختبر أو معهد أو من خلال القراءة والتفكير والبحث فالحقائق الفكرية موجودة حتى لو لم يوجد علماء وهي موجودة حتى لو لم يوجد بشر والحقائق المادية يتم الوصول لها عن طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج والحقائق الفكرية يتم الوصول لها عن طريق قال الله سبحانه وتعالى وقال رسوله ﷺ . والعلماء الحقيقيون هم من سلكوا الطريق الصحيح للحقائق الفكرية و وصلوا لها فعلا ولكن هناك مفكرين لم يصلوا إلى الحقائق الفكرية مع أنهم درسوا في جامعات وقرءوا الكثير من الكتب وبعض هؤلاء ألف الكتب ونجد في مجال العقائد متخصصين كثيرين يتناقضون في أقوالهم واقتناعاتهم في معاني الحرية والعدل وفي النظام السياسي الصحيح وغير ذلك فالحقائق في العلوم المادية كالفيزياء والكيمياء والطب والزراعة . . . . الخ يتم الوصول إليها عن طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج فلسنا من قرر أن الماء يغلي عند مائة درجة مئوية في الظروف العادية بل طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج هو الذي أوصلنا إلى هذه الحقيقة وهذه الحقيقة موجودة قبل أن نفكر نحن أو نعمل تجاربنا فالحقائق المادية لا يتم الوصول إليها عبر قرار علماء الفيزياء أو غيرهم أو من خلال تصويت الفيزيائيين أو كحل وسط بين الآراء المطروحة فالحقائق ليست آراء أو قراراً أو حلاً وسطاً فالطريق إلى الحقائق المادية يتم من خلال عمل التجارب العلمية والمشاهدة ولا يتم الوصول إليها مثلا من خلال إيجابيات أو سلبيات رأي يقول إن الماء يغلي عند ٥٠ أو ٧٠ أو ٨٠ درجة أو غير ذلك والمفاضلة بين هذه الإيجابيات والسلبيات ثم اختيار أحدالآراء فالبشر ليسوا هم الذين يحددون الحقائق المادية

سواء كان هؤلاء البشر شعباً أو تجمعاً لعلماء متخصصين فالحقائق ليست أراء ولا اجتهادات ويقول علماء المادة عن الآراء التي ليس لها دليل علمي قاطع إنها نظرية وليست حقيقة ولو انتقلنا إلى المجال الفكري لوجدنا أن الطريق الوحيد للوصول للحقائق الفكرية هو إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ثم إثبات صدق الرسول محمد ﷺ ثم سنصل للحقائق من خلال القرآن والأحاديث النبوية فهذا هو الطريق الوحيد وما عدا هذا كلام فارغ أعلن أصحابه قبل أعدائه فشلهم في الوصول للحقائق الفكرية فالفلاسفة وصلوا إلى نظريات وآراء متناقضة والعلمانيون وصلوا أيضا لآراء متناقضة كالشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والوجودية وتناقضوا في معاني العدل والحرية والمساواة فمبادئهم واقتناعاتهم هي آراء تحتمل الصواب وتحتمل الخطأ ولهذا حل الشيوعيون اختلافاتهم كأنظمة حكم بالاستبداد ورأي الحزب أو الحاكم في حين حل الرأسماليون الغربيون اختلافاتهم من خلال الاحتكام للشعب أي بالتصويت والحلول الوسط وكل هذه حلول سياسية وليست علمية وهم أعلنوا عجزهم باعترافهم بأن ما وصلوا إليه أراء قابلة للتغيير من خلال قرار الشعب أو الحاكم أما المبادئ الصحيحة فهي حقائق لا تتغير فلا تقبل أن يغير معنى الحرية أو العدل من فترة إلى أخرى وكذلك في الحلال والحرام أو في أساسات نظمنا الاقتصادية والسياسية فالعلمانيون لم يسلكوا الطريق الصحيح الذي يوصل للحقائق العلمية الفكرية وهو إثبات وجود الله وصدق الرسول بل أخذوا يفكرون ويبحثون ويتناقشون في قضايا الحرية والعدل والحقوق والواجبات الزوجية ومعاني الديمقراطية والاستبداد والإرهاب وأفضل الأنظمة الاقتصادية . . . . الخ وذلك من خلال ذكر الإيجابيات والسلبيات والمقارنة بين الآراء المطروحة وهذا أسلوب لا يوصل للحقائق الفكرية حتى لو تم تأليف مئات الكتب فيه وعمل آلاف الاجتماعات والمناقشات لأنه ليس

الطريق الذي يوصل للحقيقة ولهذا لا تتعجب إذا رأيت جامعاتهم وفي القرن الواحد والعشرين لا زالت في مرحلة البحث والتفكير في مجال العقائد والمبادئ فهي تطرح لك المطروح بالساحة من نظريات ومبادئ وأقوال المفكرين لكنها ليست قادرة كمؤسسات علمية على إعطاء أدلة علمية قاطعة على صواب عقائد محددة والحل «السحري» لهم هو ابحث أنت واقتنع بما شئت فكأن الحقائق فردية أي لكل فرد حقائقه الخاصة فكل فرد فيهم له اقتناعاته في الحرية أو الزواج أو العدل وهذه مأساة علمية ودليل قاطع على جهلهم وضياعهم أما على مستوى الشعب فالحقائق متغيرة بمعنى أن قوانينهم الأساسية وليست فقط الفرعية يمكن أن تتغير إذا حصل التغير الدستوري على ثلثي الأعضاء أو غير ذلك ومن الجهل الشديد أن تكون مبادئنا متغيرة وأن نأخذ مواقف سياسية أو عسكرية من دول وشعوب ونحن لسنا متأكدين أننا على حق لأننا نعيش في عالم من الظن والشك ولا شك أن وجود الله سبحانه وتعالى حقيقة علمية اقتنعت بها الأغلبية الساحقة من البشر سواء كانوا من أهل الأديان السماوية أو غيرها واقتنع بها أغلبية العلماء لأن أدلة وجود خالق واضحة في عظمة هذا الكون وما فيه من نجوم وكواكب وبشر وحيوانات ونباتات وما بينها من علاقات فكل ذلك وغيره يثبت بالدليل العقلي الواضح وجود خالق عظيم وثبت أيضا وبأدلة مختلفة كالمعجزات وغيرها وجود أنبياء منهم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم فوجود الأنبياء و وجوب اتباعهم ليست مقصورة على المسلمين وأثبت العقل أن القرآن الكريم معجزة حقيقية وبالتالي محمد رسول الله وبالتالي فكل ما جاء به الرسول ﷺ صحيح لأنه جاء به من الله الخالق العليم الحكيم الذي خلق البشر وما في هذا الكون والغريب أن بعض العقول لا تريد أن تفكر بصورة منطقية ومتسلسلة ولهذا تضل والخطوط العريضة للوصول للحقائق الفكرية هو بما يلي :-

١- **القرآن والأحاديث الصحيحة** : إذا ثبت لدينا وجود الله وصدق محمد فواجبنا أن نأخذ الحقائق الفكرية وعقائدنا وأخلاقنا وأحكامنا ومعاملاتنا من القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ونفهم هذه الأمور بصورة صحيحة بدون تطرف أو سطحية أو جزئية وهذا يتطلب بلا شك فهماً صحيحاً وليس مشوه لآيات القرآن وسيرة الرسول ﷺ واللغة العربية أما من يبني عقائده على أقوال أولياء أو علماء أو غير ذلك وليس على الكتاب فقد انحرف وكان ولا زال من فهم الإسلام بصورة صحيحة بعيدا عن الضياع والحيرة والتناقض والظنون والتطرف وهذا شيء طبيعي فما دمت قريبا من النور أكثر ستبصر أكثر وستكون بعيدا عن التأثر بالخاطئ من العقائد والمبادئ والاقتناعات وبعيدا عن التأثر بالاقتناعات الخاطئة التي تدفع لها العصبيات والأهواء والعواطف والتفلسف قال رسول الله ﷺ «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» وحدث فهم خاطئ لآيات قرآنية وأحاديث نبوية أنتجت عقائد واقتناعات تخالف الإسلام الصحيح ولكن الحمد لله أن الإسلام الصحيح هو السائد اليوم فالقرآن الكريم وترجماته بلغات عديدة متوفر للبشر وكذلك أحاديث الرسول ﷺ وأحب أن أنبه هنا أن الإسلام ليس ديناً معقداً أو صعباً بل هو واضح ومفهوم يفهمه عامة البشر وليس فقط العلماء ولكن علماء الإسلام هم الأكثر فهما وأقدر على الاجتهاد ودور العقل في فهم الآيات والأحاديث هو دور مطلوب كما أن للعقل دوراً كبيراً جداً في الاجتهاد في قضايا كثيرة ليس فيها نص من قرآن أو حديث ودور العقل في فهم الواقع العقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي وثقافة الآخرين دور كبير جدا ودور العقل في معرفة علوم الهندسة والطب والزراعة والإدارة والتجارة . . . . . الخ دور كبير فالظن أن لا دور للعقل في حياة المسلمين ظن خاطئ ولكن أنبه أن الاجتهاد في فهم الآيات

والأحاديث يجب أن يكون له ضوابط من فهم لسيرة الرسول ولغة العرب وأصول الفقه أما التفسير بلا ضوابط فهو كارثة علمية لأنه مثل أن يفتي المهندس في الطب أو الطبيب في الهندسة فهذا ليس من العلم في شئ .

٢- **تعلموا الإسلام أولا** : الفهم الصحيح للإسلام سيبعدنا عن اقتناعات خاطئة في فهم قضية القضاء والقدر أو النقل والعقل أو الجهاد أو في معاني العبادة أو في التعامل مع غير المسلمين أو في المبالغة في فهم تأثير السحر والحسد أو التعصب للاجتهادات والمذاهب الإسلامية أو لمفهوم الفرقة الناجية أو في قضايا التكفير ومفروض على المسلم وحتى غير المسلم أن يطرح عقائده ومفاهيمه بصورة واضحة وعلنية فلا يجوز أن يكون هناك غموض وصمت في العقائد والاقتناعات وذلك أن مناقشتها مع علماء الإسلام ستجعل المسلمين أكثر اقتناعا وإيمانا بإسلامهم وستجعل غير المسلمين يفهمون الإسلام وعقائده بصورة صحيحة بعيدا عن التشويه والمبالغة والسطحية فبدون الحوار الراقي العقلاني لن يعرف الحق من الباطل وفي عصرنا هذا يمكن الاتصال بالعلماء من خلال الهاتف والانترنيت واللقاء المباشر وكذلك هناك الكثير جدا من الكتب المتميزة التي تشرح الإسلام بصورة صحيحة فلنقرأها فمن الخطأ أن يكون الإسلام هو العلم الذي يتجرأ على التكلم فيه الناس بلا دراسة صحيحة أو فهم والمحزن أنه توجد لعلم السياسة والطب والهندسة والإدارة وحتى التمثيل والموسيقى أصول ومبادئ لا يتحدث فيها من لم يدرسها في حين أن علم الإسلام يفهمه البعض بلا دراسة جادة والدراسة الجادة هي التي تكون حول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأي قارئ للقرآن والأحاديث سيصل إلى كثير من الحقائق الفكرية بأقصر طريق قال الإمام احمد «من لم يتعظ بالقرآن فلا اتعظ» فمعاني التوحيد والكفر والعدل والحرية والعبادة . . .

الخ ستكون واضحة لمن يقرأ القرآن الكريم ويعرف سيرة الرسول ﷺ .

٣-**العقل والنقل** : يثير البعض شبهات حيث يظن أن هناك نصوصاً قرآنية أو نبوية تخالف ما أثبته العلم المادي من هندسة أو طب ونقول لا يوجد أبدا تعارض بين حقائق فكرية إسلامية وحقائق (وليس نظريات) مادية كما أن من الخطأ أن نقول أن العقل يقول أن المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان أو الحرية أو العدل فيه ظلم أو خطأ لأن العقل هو الذي أثبت بالأدلة أن وجود الله حق وأن محمد رسول فكيف يأت ليناقض ما أثبته وإذا أضفنا إلى ذلك أن القول الثاني للعقل لا يستند فعليا إلى أدلة يقينية فهو رأي وليس حقيقة بكلمات أخرى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حقائق وما خالفها من أراء للبشر هي أراء وليست حقائق فمن الخطأ أن يقول إنسان إنني أعتقد أن الإسلام ظلم المرأة أو أن بعض مبادئه السياسية خاطئة أو أليس من القسوة أن يعذب الله سبحانه وتعالى الكفار في نار جهنم . لأننا بالعقل المجرد «الفلسفي» نستطيع مدح أو ذم أي مبدأ أو عقيدة أو اقتناع فالسؤال هو من أين أتيت بقولك؟ وما الذي يثبت صوابه حتى نناقشه فقبل أن تنتقد الإسلام أثبت صواب ما تقول ولا تقول العقل يقول كذا فهذا ليس دليلاً علمياً ومن الخطأ أن يعتمد الإنسان في اقتناعاته على آرائه الشخصية كأن يحدد موقفه من الزواج أو المرأة بناء على فشله في زواج أو تجربة مريرة مع زوجة أو غير ذلك فمثلا حقائق الكيمياء والفيزياء والطب تم الوصول لها من خلال التجربة والمشاهدة والاستنتاج وبالتالي ليس من العقلانية أن يقول إنسان أن ما أثبته الدليل العقلي في هذه المجالات باطل وخطأ كأن يقول أنا لست مقتنعاً بأن الماء يغلي عند مائة درجة مئوية أو لست مقتنعاً أن الأرض تدور حول الشمس لأنه لا يوجد آلة تحرك الأرض فمعارضته الحقائق المادية بدون أدلة أو بأدلة خاطئة عملية واضح جهلها وكذلك من الخطأ أن يقتنع

الإنسان بآراء تخالف الحقائق القرآنية لأنه مهما ذكر من مبررات وأدلة فهي خاطئة وأنا هنا أتحدث عن حقائق قرآنية وليس عن تفسير أو اجتهاد لعالم والحقائق الإسلامية لا تقل وضوحا عن الحقائق المادية ولكن هناك من يريد أن يجادل ليحقق أهداف سياسية أو أعمى الله بصائرهم فهو لا ولن يقتنع حتى لو أثبت له الحق بألف دليل قال تعالى ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ (٤٤) سورة الفرقان وبالتأكيد أننا لن نرى النور الذي في الحقائق الإسلامية إذا لم نقترب منها ونلتزم بتطبيقها ويكون هدفنا رضى الله سبحانه وتعالى .

مداخل الضياع العلمي في الدائرة الإسلامية

لن يعرف البشر الحقائق الفكرية إذا لم يكن هناك حوارات علمية راقية وهادئة وفرق شاسع بين نقد الآخرين نقدا علميا وبين الجدل والشتم والسخرية من عقائدهم ومبادئهم فلا بد أن يسمع العقلاء لبعضهم البعض وأن يتعمقوا في فهم مبادئهم ومبادئ غيرهم وأن يتم التركيز على أصول المبادئ لا فروعها وأن يكون التركيز على الأدلة العقلية التي تثبت صواب هذه الأصول وكل من لديه ثقة بمبادئه لا يخشى من الحوار لأنه مقتنع بمبادئه وكم شاهدنا من أناس ضلوا وضاعوا لأنهم ليس لديهم استعداد للحوار ويجب أن يكون الحوار بين المسلمين وغيرهم وكذلك بين الفرق الإسلامية ويجب أن يحدد كل طرف عقائده بصورة واضحة ومحددة حتى لا يتحمل أخطاء فكرية قديمة أو حديثة قالها من لا يمثلون الدين أو الفرقة وحتى نبتعد عن الضياع داخل الدائرة الإسلامية علينا الاهتمام بما يلي :-

١ -الحقائق الإسلامية هي التي جاءت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية فهذه هي الحق والصواب وما خالفها هو الباطل والخطأ حتى لو قال به عالم من علماء المسلمين نتيجة اجتهاد فنحن لا نقيم ديننا على ما قال هذا العالم أو تلك الفرقة بل على ما قال الله وقال رسوله وهذا هو ما أمرنا به الله وما فعله الصحابة رضوان الله عليهم فأقوال علماء المسلمين لا تخرج عن شرح وتوضيح الآيات والأحاديث بصورة صحيحة أو اجتهادات في فهم آية أو حديث أو فيما استجد من أمور اجتهادية فالجزء الأول حق وصواب والجزء الثاني يحتمل الصواب والخطأ فإذا طبقنا ذلك على عقائدنا في صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه ومكانة الرسل ومعنى العبادة وغير ذلك سنرى الحق والصواب واضحا وسنرى أيضا الباطل والخطأ واضحا فالمسلمون يدورون مع الحق حيث دار

ويكونون قريبين جدا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة دراسة وفهما فهذا هو النور وكلما ابتعدنا عنه جهلنا وضللنا قال تعالى : ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (٢) سورة الأحزاب ، قال تعالى : ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (١٠٨) سورة يوسف وقال رسول الله ﷺ «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» وهذا الإمام علي رضي الله عنه عندما قال له رجل «هل تريد مني أن أحارب طلحة والزبير؟ فقال «ويحك اعرف الحق تعرف أهله» أي أن الحق لا يعرف بالرجال فالمسلمون لا يوجد لديهم تعصب لاجتهاد بل لا يوجد لدينا اهتمام كبير بالرجال والأحداث التي حدثت بعد موت الرسول ﷺ بمعنى أن ديننا هو القرآن والسنة فإذا وجدت من يتعصب في عقيدة أو عبادة لرأى بما يخالف بصورة واضحة آية أو حديث أو يؤمن ببعض آيات القرآن ويتجاهل بعضها فتأكد انه مخطئ والحمد لله أن المسلمين في هذا العصر رجع الكثير منهم إلى الالتزام بصورة صحيحة بالقرآن والسنة .

٢- قد يقول قائل هناك سنة وشيعة وخوارج ومتصوفة . . . . الخ فأيهم أهل الإسلام الصحيح؟ وأقول القريب من القرآن والأحاديث الصحيحة هم الأقرب للحق والصواب وبالإمكان دراسة هذه الفرق من مراجع مؤيدة لها ومعارضة لأن من الخطأ النظر لها بأعين مخالفيها وتوجد كتب كثيرة تطرقت إلى ذلك كما أن من المهم إجراء حوارات مع الآخرين بشرط أن يكون الآخرون من أهل العلم والإخلاص لا من أهل التعصب أو الجدل . وقد يقول قائل الكل يدعي اتباع القرآن والأحاديث وأقول : إن من يقرأ القرآن والأحاديث ويلتزم بهما بصورة شاملة وليست جزئية وبعيدة عن أي تفسيرات لا تحتملها اللغة العربية فإن كثيراً من حقائق الإسلام ستكون واضحة

فالإسلام ليس معقداً قال تعالى : ﴿حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون (٣)﴾ سورة فصلت والقارئ للقرآن الكريم يستطيع أن يكون صورة واضحة عن كثير من الخطوط العريضة للإسلام فالله سبحانه وتعالى سهل معرفة الإسلام الصحيح للناس والحمد لله على نعمه الكثيرة .

٣ - إذا كان الفلاسفة (علماء العلمانية) قاموا من حيث يدرون أو لا يدرون بإخفاء جهلهم بالحقائق الفكرية من خلال تأليف الكتب الكثيرة والدخول في مناقشات طويلة والتركيز على النقد والاتهامات وليس تحديد الحقائق مما جعل كثيراً من الناس يظن أنهم أهل علم وحقائق في حين أنهم أهل جهل وآراء بدليل تناقضهم واختلافهم حول القضايا الفكرية الأساسية فإن في المقابل نحن بحاجة إلى إبعاد التعقيدات والتفاصيل الكثيرة والجدل عن الإسلام وعلمائه ودعاته والمسلمين والمطلوب هو التركيز على آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ قال الإمام أحمد رحمه الله «الحديث الضعيف خير عندي من الرأي» فطلبة العلم الشرعي ليسوا بحاجة إلى قراءة كثير مما كتب في مواضيع العقائد أو المعاملات أو العبادات أو غير ذلك حتى يصبحوا علماء فيمكن اختصار كثير من المواضيع بصفحات قليلة وليس من المهم الدخول في اجتهادات وآراء تفصيلية لعلماء أو فرق فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا علماء ولم يقرءوا كتباً كثيرة فالمبادئ الإسلامية واضحة وبلسان عربي مبين وعلينا أن نتذكر دائما أن الإسلام دين عملي وأن الهدف من العلم هو تحويله إلى عمل فالعلم بلا عمل معرفة إبليسية وتشجيع الإسلام للعلم لا يعني أن ننشغل به عن الدنيا والتفاعل مع قضايا مجتمعاتنا فالعالم ليس راهباً في صومعته وليس فيلسوفاً بل هو رجل يركز على الأولويات والأساسات ويكون قريبا من الناس وأطالب بتقليل حجم كثير من الكتب الإسلامية

وأن يتحول جزء من جهود طلبة العلم إلى معرفة الواقع وإصلاحه كما أطالب بشدة بنشر العلم الشرعي في قضايا الشورى والعدل والحرية واللين والتسامح والعمل الجماعي والتعاون والمساواة والإنتاج . . . . .الخ .

٤ - أحد أهم أبواب ضياع الحقائق في الدائرة الإسلامية بل خارجها أيضا غياب الحوار العقلي الراقي واقتناع الكثيرين بأن عقائدهم واقتناعاتهم صحيحة بدون أن يكونوا على اطلاع عميق وصحيح لعقائد الآخرين ومبادئهم فالمبادئ الفكرية ليست مجال انغلاق أو سرية أو ضبابية بل لا بد من إعلانها بصورة واضحة حتى تكون خاضعة للنقد والحوار وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ومع وجود الانفتاح الكبير في عصرنا هذا إلا أن هناك كثيراً من سوء الفهم لكثير من المبادئ وكثيراً ما يقرأ الأفراد مبادئ الآخرين اعتماداً على علمائهم لا علماء الآخرين مما يعطي في الغالب صورة غير صحيحة وسنتطرق لما يسمى بالدعوة السلفية فأقول ظلم الدعوة السلفية بعض أعدائها وظلمها أكثر بعض أنصارها ولنبدأ بتعريف الدعوة السلفية لنقول أنها دعوة للالتزام بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وفهمهما بالصورة التي فهمها الصحابة والتابعون وهم ما يسمون بالسلف الصالح فهي دعوة اهتمت بالتوحيد والأحاديث الصحيحة ومحاربة الانحرافات الفكرية التي حدثت كالتصوف والتعصب المذهبي وعبادة القبور وإثارة الفتن السياسية . . . . .الخ هي دعوة مع الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين وظلم الدعوة السلفية خصومها لأنهم ظنوا أنها ضد العقل والاجتهاد لأنها تنادي بالالتزام بالنص ولو أحسنوا الظن لاكتشفوا أنها مع العقل وأن الالتزام بالنص (الدستور والقانون الإسلامي) ليس معناه أبدا تجميد للعقل وظن خصومها أنها لا تعترف بعلم العلماء ولا بإنتاجهم الفقهي ولو أحسنوا الظن لاكتشفوا أنها

الأقرب إلى العلماء وفقهم وكتبهم فهي تقف مع الدليل العلمي ولا تقدس اجتهاداتهم وظن خصومها أنها دعوة للتمسك بالجزئيات والمظاهر ولو تعمقوا لاكتشفوا أنها الأكثر اهتماما بالأصول والأساسات والقواعد (العقائد) وظن خصومها أنها موالية للحكومات ولو أحسنوا الظن لاكتشفوا أنها ضد الفتن وضد الإصلاح بواسطة العنف لأنه ليس الطريق الصحيح للإصلاح . وظن خصومها أنها مذهب جديد أو حتى بدعة جديدة ولو أحسنوا الظن لاكتشفوا أنها دعوة للعودة للمصادر النقية للإسلام وأنه ليس فيها شئ «جديد» أو مخالف لما كان عليه المسلمون الأوائل وظن خصومها أن علماء السلفية هم فقط ابن تيميه وابن القيم وابن عبد الوهاب ولو اقتربوا منها لوجدوا أن علماء السلفية هم كل علماء الإسلام الكبار كالإمام على كرم الله وجهه وأحمد بن حنبل والشافعي والحسن البصري ومالك وأبو حنيفة . . . . . الخ وإذا كانت الدعوة السلفية هي صحيحة بمبادئها وهي دعوة الإسلام الأصلية فإن هذا لا يمنع وجود انحرافات في بعض وأكرر بعض من ينتسبون لها ومن هذه الانحرافات الحدة في التعامل مع الخصوم والتكلم بجهل في قضايا التكفير والفهم الخاطئ لبعض جوانب ثقافة الغرب كالديمقراطية والنظام الحزبي ونجد كذلك عند بعضهم الفهم الخاطئ للواقع السياسي كما أن من الملاحظ أن بعضهم ينشغل كثيرا بجزئيات الأمور وبكتب التراث ويبتعد عن قضايا ذات أولوية عليا فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا كما أن بعضهم يخلط بين التمسك بنص القرآن والحديث النبوي والتمسك باجتهادات «سلفية» بل والتعصب لها وهذا يعني أن هناك انحرافات وأخطاء من بعض السلفيين وهذا لا ينفي أن أغلبية السلفيين وغيرهم كثير ممن لا يحملون اسم السلفية هم متمسكون بالإسلام الصحيح وإذا كانت الدعوة السلفية قد ظلمت من مخالفيها

لأنهم لم يفهموها فكذلك ظلمت أكثر من بعض من يتكلم باسمها لأنهم أعطوا نماذج خاطئة عنها وقد وضح هذه الحقيقة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله حين قال : «نجحنا في التصفية ولم ننجح في التربية» وهو يقصد أننا نجحنا في بيان الدين الصحيح وبيان الانحرافات والأخطاء ولكننا لم ننجح في إيجاد نماذج بشرية كثيرة ملتزمة بالدين الصحيح بين المسلمين . ونحن بحاجة إلى حوارات منظمة بين السنة والشيعة والإباضية والمعتزلة والزيدية والعلويين وغيرهم فكما أن اختلاف المسلمين حدث نتيجة فهم خاطئ أو أحداث سياسية أو معلومات خاطئة فإن مساحة الاتفاق ستصبح إن شاء الله أكبر إذا شجع العقلاء المخلصون الحوارات العلمية الكثيرة ومن الضروري جدا الابتعاد عن أهل التعصب والتطرف ممن يعارضون الحوار فهؤلاء وإن كانوا مخلصين إلا أنهم يضرون الأمة ضرر كبيراً جداً .

التفسير العلماني للإسلام

هناك أكثر من إسلام وهناك أكثر من مسلمين هذه حقيقة لا خلاف عليها فهناك إسلام أهل السنة وهناك إسلام الشيعة وهناك إسلام الخوارج وهناك إسلام المتصوفة وغير ذلك وعندما نقول الإسلام الصحيح فالمقصود به الإسلام الذي يأخذ عقائده وأخلاقه وشريعته من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ولابد من توضيح نقاط هامة جداً حتى تتضح لنا صورة الإسلام الصحيح .

١- **الأحاديث الصحيحة** : قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧ سورة الحشر) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣ سورة محمد) . فأحاديث النبي ﷺ جزء لا يتجزأ من الإسلام وقد قام الصحابة والتابعون بالاهتمام بمعرفة الأحاديث الصحيحة وقام علماء الإسلام بتصنيف الكتب التي تبين الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة وليس صحيحاً أن المسلمين بدءوا بجمع الأحاديث الصحيحة بعد مائتي سنة بل كان جزء منها موجوداً في موطأ الإمام مالك وموجودة في صدور الرجال وعدم تدوين الأحاديث في مرحلة مبكرة كما حدث للقرآن لا يعني أنها ضاعت وقد بذل علماؤنا الجهود العظيمة في تدقيق صحة الأحاديث متناً وسنداً فأزالوا عنها الأحاديث الموضوعة التي ألفها البعض حباً في فئة أو كراهية لفرد أو فئة أو في ترويج بضاعة أو في انتصار لأهواء وأزالوا عنها التغيير الذي تم بحسن نية كالخطأ والنسيان ودققوا في معانيها وفي أمانة الرجال الذين قالوها وسافروا من بلد إلى آخر شهوراً طويلة وقضوا عشرات السنين في إنجاز هذا العمل العظيم . وبالقرآن

والأحاديث يصبح الإسلام واضحاً ومعروفاً فإذا التزم المسلمون بذلك أصبحت لا توجد بينهم اختلافات جذرية لا في صفات الله سبحانه وتعالى ولا أحكام الشريعة إلا ضمن ما تحتمله اللغة العربية والفهم من اختلاف اجتهادي وهذا هو الطريق الوحيد لتوحيد المسلمين ولن يتحد المسلمون على القرآن وحده والقرآن كما ذكرت يبين ضرورة الالتزام بطاعة الرسول ﷺ فمعرفة الأحاديث الصحيحة تجعلنا نفهم الآيات القرآنية بصورة صحيحة ولهذا طلب الإمام علي كرم الله وجهه من ابن عباس رضي الله عنه مناقشة الخوارج في السنة لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أخطأوا في فهم القرآن وكفروا المسلمين . وأقول كل ما ينسب أو ينتسب للإسلام قديماً أو حديثاً ويخالف آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ يضرب به عرض الحائط . والتشكيك بالأحاديث الصحيحة قضية يتضح فسادها بأن نقرأ هذه الأحاديث وسنجد أنها تنسجم مع آيات القرآن ولا تعارضها بل هي تفسرها وإذا كان هناك «تشكيك علماني» في صحة بعض الأحاديث فهذا في أحاديث قليلة أما الأغلبية الساحقة فلا خلاف على معانيها وهذا القليل الذي تم التشكيك به تم بدون أدلة علمية قاطعة بل اعتمدوا على الظن والهوى ومصالحهم السياسية للطعن في صحة حديث قتل المرتد والعلمانيون لم يدرسوا الحديث دراسة علمية فهم ليسوا علماء به فكيف يحق لهم أن يتكلموا في علم لا يفهمون حتى بدهياته فهؤلاء لا ينطلقوا من علم بل من جهل أو حقد . ولو أنهم تعاملوا مع أحاديث الرسول ﷺ كمفكر وليس كنبي لوجدوا فيها أكبر كنز بشري من الحكمة والعقل مقارنة مع ما أنتجه المفكرون العلمانيون والمسلمون قديماً وحديثاً . وقد أظهرت دراسة غربية أن محمد ﷺ هو أكثر المفكرين تأثيراً في البشر فالعقل يدعو لأن نستفيد منه ولكن

العلمانيين لا يريدون أن يستفيدوا من علمه حتى لو كان أكثر المفكرين تأثيراً في البشر لخمسة عشر قرناً .

٢- **المسلمون ليسوا مختلفين :** يصر العلمانيون والمتأثرون بالعلمانية على القول بأن المسلمين مختلفين وأنه لا أحد لديه الحقيقة وأن كل طرف يعتقد أن لديه الحقيقة وأقول هذا صحيح إذا كنا نقصد كل من يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأدخلنا في الإسلام الأحاديث الموضوعة وكل الفرق الإسلامية وكل الاجتهادات الخاطئة فسنكون مختلفين حول مبادئ وأحكام كثيرة . ولا شك أن كل أصحاب عقيدة ومنهج حتى خارج الدائرة الإسلامية مقتنعون بأن لديهم الحقيقة ولكن بالتأكيد من يملك الحقيقة هو من لديه الأدلة العقلية التي تثبت أنه يتبع الله سبحانه ورسله بصورة صحيحة بدون تحريف وتغيير أو نقص . فحجر الزاوية هو الالتزام بالقرآن والأحاديث الصحيحة لا بإعطاء عصمة لعقول العلماء أو لعقول الفلاسفة أو للعقل الشخصي فهذا لا شك يبعدهم عن الصواب والحقيقة فالمسلمون الملتزمون بالكتاب والسنة ليس عندهم مشكلة في فهم القرآن والسنة وهم لا يستطيعون إقناع من لا يريد أن يقتنع أو إقناع من لا يريد أن ينطلق في فهمه من كتاب الله وسنة رسوله فمن يريد أن يبقى محتاراً أو مختلفاً أو مجادلاً فهو حر . ومن المهم أن أذكر أن وجود الاختلاف العقائدي والتشريعي بين المسلمين على مختلف فرقهم بل حتى بين المسلمين وغير المسلمين لا يمنع التعايش السلمي بينهم واتفاقهم على ما ينفعهم ولنا قدوة حسنة في الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه حيث قال عن الخوارج الذين يكفرونه هم أحرار ما لم يرفعوا علينا سلاحاً فالإسلام الصحيح اتسع لغير المسلمين فكيف بالمسلمين والطريق الحاسم للوصول للحقائق داخل الدائرة الإسلامية بالتعرف على الأحاديث الصحيحة أولاً

وهذا أمر يمكن دراسته وفهمه .

٣- **التفسير العلماني للإسلام** : «قام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوقف ما يعطى للمؤلفة قلوبهم بعد أن اصبح المسلمون أقوياء وهذا الاجتهاد والفهم للنص القرآني ليس معناه أن عمر خالف نصاً قرآنياً وأن الباب مفتوح لمخالفة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بلا فهم ولا ضوابط فإذا رأى العقل العلماني أن قطع يد السارق عقوبة قاسية لا تصلح لهذا العصر غيرناها وإذا رأى العقل أن المرتد لا يقتل لم يقتل وهكذا فإن هذا معناه أن كثيراً من أحكام وأخلاق ومبادئ الإسلام بل حتى عقائده سيتم تغيرها بحجة أنها جاءت في بيئة قديمة أو أنه كان الهدف من هذا الحكم كذا وكذا كما يقول البعض جاء الحجاب ليفرق بين الحرة والأمة ولأنه لم يعد هناك إماء فلا داعي للحجاب بل قد يأت هذا البعض باجتهادات خاطئة بل شاذة لعلماء مسلمين قديماً أو حديثاً ليبرر ما يقول ونقول كل ما يعارض القرآن والسنة يضرب به عرض الحائط ولو تتبعنا رخص وفتاوى المسلمين في كثير من القضايا لأصبح الربا والخمر والسرقة أشياء مقبولة فمن المسلمين من قال لا مانع للمسلم أن يسرق في بلاد الكفر لأنه يظن أن لا حرمة لمالهم . وعموماً فبناء فلسفة علمانية تفسر الآيات والأحاديث وتستند أحياناً لأقوال خاطئة لمسلمين هي عملية تريد تفريغ الإسلام من عقائده ومبادئه وما يفهمه كل عاقل لديه علم باللغة العربية فهي فلسفة تعلن إيمانها بالإسلام نظرياً ولكنها تكفر به عملياً من خلال تغيير مفاهيم الإسلام والطريف أن (العقل العلماني) يصل دائماً إلى نتائج تبعد المسلمين عن التمسك بدينهم فهو ليس هدفه تقديم الأدلة العقلية التي تثبت فوائد الأخلاق والعفة والإيمان والأمانة والعبادة لأن هدفهم أن يدافعوا عن الزنادقة والمشركين والمنافقين واللصوص والفاسقين وعموماً فالتفلسف في فهم الآيات والأحاديث ومعانيها

والحكمة منها تحريف الكلم عن مواضعه قال تعالى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥ سورة البقرة) . وعندما تسمع لهؤلاء تتعجب من قدرتهم على تأليف التفاسير الغريبة للآيات القرآنية ثم تصديقها وإضافة حلقات أخرى منطقية للوصول لهدفهم في إلغاء الحجاب أو إباحة الربا وللأسف أن بعض المسلمين أخذوا يصدقون بعض هذه الأقوال مع أن علماء المسلمين من السنة والشيعة لم يقولوا إن الحجاب هدفه التمييز بين الحرة والأمة أو يطبق على نساء النبي ﷺ بل قالوا إنه واجب على كل مسلمة إلى يوم القيامة وهذا ما طبقته السعودية وإيران . والكارثة أن «المجتهدين» من العلمانيين والضائعين من المسلمين ينسبون «اجتهاداتهم للعقل الواعي» وهذا العقل ليس «واعياً» لأنه يخالف بدهيات وأساسات فهم القرآن والسنة من معرفة بمعاني اللغة العربية ومعرفة بسيرة الرسول ﷺ وضرورة تعلم العلم على أيدي علماء متخصصين واعين كما يحدث في كل العلوم فأصحاب التفكير العلماني في الإسلام ليسوا علماء ولا حتى طلبة علم ولا حتى أصحاب ثقافة إسلامية فاكتساب العلم لا يتحقق من خلال قراءات لكتب علماء بفهم خاطئ ولا يتحقق من خلال قراءة كتب مشوهة ولا يتحقق من خلال اختراع معاني وتفاسير ما أنزل الله بها من سلطان وإذا كان العقل الواعي أوصلنا بأن وجود الله سبحانه وتعالى حقيقة وأن صدق الأنبياء حقيقة فكل ما يقوله الأنبياء حقائق فكرية علينا الالتزام بها بلا لف ولا دوران فكيف يأت العقل «الواعي» بعد أن وصل للحقائق الفكرية فيبدأ بتغيير معانيها الواضحة ويقول ليفهمها من شاء كيف يشاء ولا يحدث هذا التغيير إلا في القضايا التي تفرق أهل الإسلام عن أهل الزندقة والكفر والنفاق والعلمانيين فهذه حرب غير مباشرة للإسلام والمسلمين لأنهم يريدون أن يبقى الناس

مقتنعين بأنهم مسلمون ولكن في حقيقة الأمر أنهم لا يختلفون عن غير المسلمين في مفاهيم للحجاب والحرية والعدل قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢سورة التوبة) وإذا كانت مبادئ الإسلام يفهمها من يريد كما يريد فلن يبقى قضية في الإسلام متفق عليها إلا وجود الله سبحانه وتعالى وبعض القضايا الأخرى فلا عقائد معروفة ولا أحكام ثابتة ولا عبادات محددة وبالتالي فلا ثواب ولا عقاب لأن الاختلاف والتناقض مقبول وجزء لا يتجزأ من الإسلام . ولابد أن نفرق بين التفسير العلماني للإسلام الذي ينطلق بلا ضوابط وهدفه تحريف معاني الإسلام «النصوص القرآنية أو الحديثية» وبين الاجتهاد الذي هو العقل والنص والواقع في التعامل مع المتغيرات في الحياة فعندما يجتهد المسلمون في قضايا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عبادية فهذا في أمور ليس فيها نص أو لربطها بصورة صحيحة مع نصوص قرآنية فمثلاً عندما يجتهدون في قصر الصلاة فهذا بهدف تحديد مسافة السفر ومعنى السفر وغير ذلك وما يجوز الاختلاف فيه يسمى اختلافاً اجتهادياً والأصوب فيه هو الأكثر قرباً من نصوص القرآن وسيرة الرسول والأدلة المنطقية كما أنه من المهم جداً أن نبين أن اجتهادات علماؤنا لها وزن كبير جداً في القضايا التي اتفق عليها أغلبهم فهم مثلاً وضعوا ضوابط لقضايا الإيمان والكفر مما جاء في القرآن والسنة حتى لا يضل المسلمون كما ضل الخوارج وفرقوا بين الكفر والكافر كما أنهم وضعوا ضوابط من القرآن والسنة للفهم الصحيح لصفات الله سبحانه وتعالى ولمكانة الرسول ﷺ ولمعنى القضاء والقدر ولحدود العبادة والزهد ولحقوق أهل الذمة وغير ذلك . فالطريق إلى الوصول للعلم هو العلماء فليحذر البعض من بناء فهمهم على قراءة خاطئة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية قال تعالى ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ

إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل) وهناك من لا يستطيع أن يعرب جملة عربية واحدة بصورة صحيحة لأنه جاهل بعلم النحو ومع هذا يفتي في اللغة والدين .

ونحن لسنا ضد التفكير العقلي ولكننا ضد إضاعة الوقت في الاستماع إلى أراء واقتناعات وتفاسير وإضافات يكذبها القرآن والأحاديث الصحيحة واللغة العربية والتاريخ قال تعالى ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٧٣ سورة الرعد) فإذا كان الأطباء والكيميائيون وغيرهم من أهل العلم المادي يرفضون إضاعة وقتهم في الاستماع لمن يتكلم في الطب أو الكيمياء وليس لديه علم بهما فكذلك علينا أن نفعل مع أصحاب التفسير العلماني للإسلام وفي نفس الوقت نحن على استعداد تام لمناقشة ومحاورة من يريد أن يصل للحقائق الفكرية حتى لو لم يكن يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى ما دام لا يجعل نفسه عالماً في علوم لم يتعلمها فإذا بينت له خطأه رجع عنه بالدليل العقلي ما نطالب به من يدعون أتباع العقل أن يكونوا طلبة مجتهدين يتعلمون العلم على أيدي علماء مسلمين واعين يشهد الناس بعلمهم ثم يتكلموا بعد ذلك في العلم لا أن يظنوا أنفسهم علماء في الفكر الإسلامي وكل معلوماتهم أخذوها من قراءات لكتب مشوهة أو لكتب صحيحة ولكنهم لم يفهموها بطريقة صحيحة فتجدهم يتكلمون في صفات الله سبحانه وتعالى والحرية والقضاء والقدر والأحاديث وغير ذلك بأراء غريبة لم ينزل الله بها من سلطان فهذا يرى أن الله سبحانه وتعالى أجبر الناس على عمل الخير وعمل الشر ثم يحاسبهم بالجنة والنار وهذا فهم خاطئ بدليل ما جاء في القرآن قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (٢٩ سورة الكهف) وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦ سورة فصلت) وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (٣٨ سورة الدخان) . وليس هنا مجال تسليط

الأضواء على القضاء والقدر أو غيره من المواضيع التي يثيرها العلمانيون الضائعون ولكن من المهم جداً أن أحذر من التكلم في دين الله سبحانه وتعالى عن جهل فهذا ليس حديثاً في السياسة أو التاريخ لأن في هذا تشويه لعقائد الإسلام وأحكامه قال تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤سورة الأنعام) .